

# تأليف شيخنا

المستحق

روضة الأفكار والأفهام

لمرئاد هال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام

تأليف

الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام

حسين بن غنام

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بفضله دار كرامته

ومشائخه والمسلمين آمين

## الجزء الثانى

٩٨١٨٦٩

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

على نفقة

الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبا بطين

صاحب المكتبة الأهلية - بالرياض نجد

مكتبة مطبعة النجاشي في مكة المكرمة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية وذكر السبب الذي حمل على ذلك فنقول :

لم يزل الشيخ رحمه الله مقيماً في بلد العيينة على الحالة الموصوفة والطريقة المعروفة ،  
يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعلم الناس دينهم ويميت ما قدر عليه من البدع ،  
ويقوم الحدود ويأمر الوالي بإقامتها ؛ وفي تلك الأيام جرت قضية استنكرتها قلوب  
أهل الزيغ والجهل والردى الذين لم يستنشقوا من عرف الشريعة ريح الهدى وهي :  
أن امرأة من أهل العيينة زنت فأقرت على نفسها بالزنا وتكرر ذلك منها أربعاً ،  
فأعرض الشيخ عنها ثم أقرت وعادت إلى الإقرار مراراً فسأل عن عقلها فأخبر  
بتامه وصحته فأمهلهما أياماً رجاء أن ترجع عن الإقرار إلى الإنكار ، فلم تزل مستمرة  
على إقرارها بذلك فكانت أقرت أربع مرات في أيام متواليات . فأمر الشيخ رحمه  
الله الوالي برجمها لكونها قد أحصنت ، وبذلك الإقرار قد صرحت وأعلنت . فأمر  
الشيخ عند ذلك أن تشد عليها ثيابها وترجم بالحجارة على الوجه المشروع ؛ فخرج  
الوالي عثمان وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت ، وكان أول من رجمها عثمان  
المذكور ، فلما ماتت أمر أن يغسلوها وأن تكفن ويصلى عليها . فلما جرت هذه  
القضية كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال ، وطارت قلوبهم خوفاً وفزعاً ،  
وانخلعت ألبابهم رهباً وجزعاً ، وداخلهم من حصول تلك القضية السوية ، والخصلة  
المرضية السنية ، والفعلة المحمودة السنية مالم يعاينوا قبله مثله حزن ، ولم يعرج على  
أسماعهم في سابق الزمن ، وذلك لما ألفوه من الضلال والشرك ، وما عاشوا فيه من  
الفواحش والإفك ، كيف وقد أتاها مالم يحتسبوا ودهمهم مالم يرتقبوا وطاف بهم مالم  
يسعهم منه أن يهربوا ، ومجت الأسماع ونفرت تلك الطباع ما ليس لهم به دفاع مع كونه  
الحكم المشروع بالسنة والإجماع . فيالله العجب كيف تنكر القلوب والعقول سنة

الرسول وتناولت السنة العلماء على من نصر الشريعة وحميت، ولكن الحب يعمى ويصم لم يكن لهم عدول ولا إباء عن سنة الأسلاف والآباء، وكذلك شأن النفوس إلى الباطل تميل، ولا يجدوا زعاً من نفسه إلى الحق إلا القليل. فنحمد الله المولى الجليل أن جعل الشيخ من هذا القبيل، وبنصر السنة كفيل. ثم إن الشيخ لما أعياهم رد ما قاله من تلك المسائل الجليلة عدلوا إلى ردها بالمرء والحيلة فشكوه إلى شيخهم الظالم سليمان آل محمد رئيس بني خالد والحسا، وكان قبجه الله مغرماً بالزنا مجاهراً به غير محتف بذلك، وحكاياته في ذلك مشهورة، وقصصه فيه غير محصورة، فأغروه به وصاحوا عنده وقالوا إن هذا يريد أن يخرجكم من ملككم، ويسمى في قطع ما أتم عليه من الأمور ويحسم مادة الأمكاس والعشور. فلما خوفوه بزوال محبوبه وتفويت مطلوبه كتب إلى عثمان المذكور يأمره بقتله أو إجلائه عن وطنه وألزم عليه في ذلك غاية الإلزام، وشدد عليه في حصول القصد والمرام، وصرح له في المكتوب بأنك إن لم تفعل المطلوب فما لك عندي مستباح، وليس علينا في ذلك من جناح، فأثر الدنيا على الدين وسلك منهج المبطلين، وأمر الشيخ بالخروج ولم يكن إلى قتله سلم ولا عروج، وذلك لما اقتضته الحكمة الإلهية والعناية الصمدانية من إحياء دارس السنة المحمدية والآثار السلفية، فخرج الشيخ إلى بلد الدرعية والسدة المرعية المحروسة إن شاء الله من كل بلية، فنزل على عبد الله بن سويلم تلك الليلة فأقام عنده ذلك اليوم. ثم بعده انتقل إلى تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم. فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود أسكنه الله دار الخلود، قام من فوره مسرعاً إليه ومعه إخوته ثنيان ومشاري، فأثاه في بيت أحمد بن سويلم فسلم عليه وبادره بالقبول والتقبيل، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنع بما يمنع به نساءه وأولاده من جميع من عاداه وكاده، إلا أنه طلب من الشيخ رحمه الله العهد والميثاق أن لا يرحل عن بلده إلى سائر الآفاق، وهذا من عناية الله تعالى بهذا الرجل وتوفيقه وإهدائه إلى سبيل الخير وطريقه و (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وكان الأمير محمد بن سعود في جاهليته بحسن السيرة معروفاً، وبالوفاء وحسن المعاملة موصوفاً، مشهوراً بذلك دون من هنالك. فعند ذلك أعطاه الشيخ عقد المرام أن لا يخرج عنه إلى بلاد، وبعد ذلك قام يدعو الناس إلى ما خلقوا لأجله ويحث على ذلك بخيله ورجله حسب الاستطاعة لا يفتر عن ذلك ساعة،



وكذلك قام معه وزراؤه وأعوانه وأنصاره من أهل الدرعية وإخوانه . ومن مشاهيرهم ثنيان بن سعود ومشاري بن سعود وفرحان بن سعود والشيخ أحمد بن سويلم والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الحزيمي وعبد الله بن دغيث وسليمان الوشيقرى وحمد ابن حسين وأخوه محمد وغيرهم ؛ فجدوا للدعوة أمضى سنان ، وأرخوا في ذلك العنان من غير تراخ ولا نوان ، وشهروا سيف العزم وبازر الهمة والحزم ، جزاهم الله خيراً . وكانت هذه الأمور المذكورة والأفعال المقررة المسطورة في حدود سنة سبع وخمسين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية . فلما استقرّ به الفرار في محروسة تلك الديار وساعده على إعلان تلك الدعوة الملك القهار ومن ذكرناهم آنفاً من الأخيار حشرهم الله في زمرة الأبرار ، بقي رحمة الله عليه وأجزل ثوابه لديه قريباً من سنتين من غير شك ولا مین يناصح الناس ، ويكشف عن الحق حجب الالتباس ، ويشيد السنة النبوية بأقوى أساس . وفي خلال هذه المدة أقبل إلى الدرعية للهجرة من أحسن الله قصدهم : منهم عبدالله بن محسن وإخوته زيد وسلطان المعامرة وعبد الله بن غنام وأخوه موسى ، وهاجر مع هؤلاء خلق كثير . وبعد أيام قليلة لم يجد عثمان من القدوم على الشيخ وابن سعود من حيلة لما رأى من جماعته وشاهده ، وعلم أن الله رفع للدين مصاعده . فأقبل إليهم وقدم عليهم وحاول الشيخ في الرجوع إلى بلده فأحال الأمر على محمد بن سعود فأبى ولم يسعفه بالمقصود ، فرجع على عقبه ولم يفز بغاية طلبه . فأضمر العداوة والشر وجدّ في العذر والمكر . وفي أثناء تلك المدة أيضاً ناصح الشيخ والأمير محمد بن سعود دهام بن دواس رئيس البلدة المعروفة بالرياض ، فاجتهدوا في ذلك غاية الاجتهاد . فلم يكن له إلى قبول الحق ارتياض ، بل أعرض عنه نهاية الإعراض واعتاض الدنيا عن الآخرة وبئس الاعتياض ، وحمله على ذلك البنى والحسد اللذان قلّ أن ينخلو منهما جسد وينجو منهما أحد ، وإلا فهو قد أقر بأن هذا هو الدين وأن ما يدعو إليه هو الحق المبين ، وقد صح النقل عنه والنطق بذلك منه ، ولكن حقت عليه كلمة العذاب وسبق له ذلك في أم الكتاب ، فأبطن عداوة هذا الدين ، وأظهر موالة المبطلين ، وكان هذا الدين قد فشا في بلده ودخل فيه كثير منهم ، فإذا رأى من جماعته من يحب هذا الدين ويفشيئه أخذ يصادره ويؤذيه ، وإذا رأى عدوا يقربه ويؤويه ، فجعل يترأد في العداوة ويتظاهر بقمع الحق لما كتب له من الشقاوة ، ويعلم



بالقبائح الشنيعة والفضائح الفظيعة ، إذ كانت من أخلاقه القديمة وأفعاله القبيحة الذميمة .  
وكان أبوه رئيساً في بلد منفوحة متغلباً عليها فقتل أناساً من جماعته من المزاريع ظالماً وعدواناً ، فبقي بعد ذلك زماناً ثم مات . وتولى بعده ابنه محمد ، فقام عليه ابن عمه زامل بن فارس هو وبعض أهل منفوحة فقتلوه وأجلوا إخوانه ، ومن جملتهم دهام وإخوته عبد الله وتركى ومشلب وفهد ، فاستوطنوا الرياض وكان واليها إذ ذاك زيد بن موسى أبا زرعة . فلما قتل زيد المذكور على غير سبب ماثور ، وكان الذي قتله أحد بني عمه ، وكان معتوه العقل صعد إليه وهو نائم في عليّة له فذبّحه بسكين معه . فلما قتله جاءه عبد لزيد يقال له خميس فقتله ورماه من رأس العليّة ، فتغلب العبد المذكور على بلد الرياض ، وكان أولاد زيد إذ ذاك صغاراً وزعم أنه قابض لهم حتى يتأهلوا لذلك . فأقام والياً عليها مدة يسيرة نحو ثلاث سنين ثم هرب خميس من الرياض خوفاً من أهلها لأمر جرت منه . فأقام في الحائر مدة ثم أتى منفوحة فأقام بها مدة ، ثم عدا عليه رجل من أهلها كان قتل أباه زمن رياسته على الرياض فقتله ثم بقيت الرياض مدة يسيرة بلا رئيس ، وكان دهام بن دواس مدة تغلب خميس على الرياض خادماً له . فلما بقيت الرياض بعد هروب خميس بلا رئيس ترأس فيها دهام ابن دواس بشبهة أن ابن زيد أبا زرعة هو ابن أخت دهام ، فزعم أنه يكون نائباً عنه في ذلك حتى يكبر ويعقل ثم بعد ذلك يتخلى له عن الولاية ويتصل ، وهيئات الرجوع عن الأخلاق والطباع وردع النفوس المجبولة على البغي والأطماع ، جرى مع ابن أخته على عادته وسنته وعامله بما رسخ فيه من جورهِ وسطوته ، فأجلاه عن البلاد وأخلفه ذلك الميعاد ، فبعد صدور هذه القضية واشتهاره بهذه الفعلة الرديّة كرهه أهل الرياض وسعوا في عزله إذ لم يكن لهم حيلة إلى قتله ، فاجتمعوا عليه وأحاطوا بقصره وحصلوه فيه ؛ وكانوا عامة وغوغاء ليس لهم رئيس يرجعون إلى أمره ولا مصدر يصدر عن رأيهِ وفكرته . فأرسل أخاه مشلباً راكباً فرساً إلى محمد بن سعود أمير الدرعية يطلب منه النجدة والنصرة على تلك الرعية ، ويتضرع أن يعينه على دفع تلك البلية فعند ذلك قام له محمد بالنصرة أتم قيام ، وأرسل إليه من الجنود فئام ورئيسهم مشارى بن سعود ، فبلغ دهام بمجيئهم المرام والمقصود ، فخرج من قصره مع تلك الجنود وقتلوا من أهل الرياض ثلاثة أو أربعة رجال ثم فروا بلا توان ولا إمهال ، فبعدها

قر ملكه فيها ، وأقام رئيسها وواليتها وأقام مشاري عنده شهورا ، ولم يتوقع ما صدر من الخبيث من الشرور ، فاستفحل أمره وتعاضم جفره ونكره وتزايد على الرعية شره وتوالى عليهم ضره وتظاهر بأمور ، وأعلن بفجور تحاكي الأفعال النمرودية والقضايا الفرعونية : فمنها أنه غضب يوما على امرأة فأمر بفمها أن يخاط ويتكرر في شفيتها تردد المخاط . ومنها أنه غضب يوما على رجل فقطع من خذه قطعة وقال : لا بد أن يسيغها مضغة مضغة فحاول الرجل المعضب بعد أن لم يجد له مهربا أن يأكلها بعد أن تشوى فلم يسعفه بذلك فأكلها نعوذ بالله من البلوى . ومنها أنه غضب يوما على رجل مسجون ذكر له أنه فك بأسنانه الحديد ، فأمر بمقمة من حديد فضربت بها أسنانه فتساقطت في مرة بلا ترديد . ومنها أنه غضب على رجل آخر فأمر بقطع لسانه فقطعه بعض أعوانه ، وله قضايا مثل هذه كثيرة ، ونظائر محققة شهيرة ، فلم يزل في تلك الحال وأهل بلده يعانون منه التنكيل والوبال ، ثم لما من الله تعالى بظهور هذا الدين ولعلت شوارق الحق المبين ونادى منادى المولى الكريم (إنك لعلي هدى مستقيم) دهم إلى هذا الحق الواضح والبرهان الساطع الأملح ، فأبى ونفر وأعرض واستكبر بل صد الخلق عن الدخول فيه وحدّر ، وأخذ يسعى لأهله بالملكائد ويترصده في عداوتهم المراصد ويستليح كل معاند وجاحد . فأول ما تظاهر في هذا الدين بالعداوة والحراية وجمع لذلك أعوانه وأحزابه أخزاه الله تعالى وجعل النار مآبه أنه خان أهل منفوحة وهم إذ ذاك قد دخلوا في هذا الدين ، ولالأمر محمد بن سعود من المتبعين ، وهو إذ ذاك مظهر لمحمد بن سعود الصداقة والاتفاق ، ولم يتبين منه قبل هذه الخيانة شقاق . وحاصل ما جرى منه ، وصفة ما صدر عنه أنه عدا عليهم صباحا ومعه بعض البوادي فرقان من آل ظفير وأهل منفوحة على غرة وغفلة ، لم يتبين من العداوة لهم شيء ، فكمن لهم في أحد دور البلد ليلا وأمر البوادي والخييل أن تغير على بعض الزروع والنخيل لكي يخرج أهل البلد فيعقبهم السكين على البيوت . فلما أصبح الصباح وغارت الخيل والبادية على النخيل وفزع أهل البلد عليهم ، ولم يبق في البلاد أحد من المقاتلة ، خرج السكين ودهام معهم فلم يخطئوا قصر الإمارة فصعدوه وقهروا البلد وأقاموا في ذلك ساعة . فلما علم بذلك من خرج رجع على عقبه وانزعج وهموا بالرحيل والنقلة بلا تثبيط ولا مهلة حتى إن الله أعقبهم بالنصر والفرج . فالشرح

صدر كل موحد وابتهج . وسبب ذلك أن علي بن مزروع وطائفة معه من أهل الدين ثبت الله أقدامهم وأعانهم وأعظم إكرامهم سعدوا بعض البيوت المشرفة على قصر الإمارة ، وبقوا يرمونهم منه حتى قتلوا منهم أناسا . فلما أعييتهم الحيل وضائق عليهم السبل ، وتحققوا أنهم إن بقوا ساعة هلكوا ، بعد ماجزموا أنهم ولوها وملكوا ، رموا بأنفسهم من وراء الجدار إذ لم يكن لهم على معاينة الحمام اصطبار ، فهربوا وقد لبثوا ثياب الخزي والخيانة والعار ، وتردوا برداء الردى والشنار ، وصاروا عقي من ثاؤاهم وأخفاهم عنده في تلك الدار . شناعة السمعة ، وحلول الدمار ، وقتل من أشرارهم ورؤسائهم وفجارهم درع الصمعر وخضير الصمعر وزهمول الفضلى ، وغيرهم نحو الأحد عشر ، وأصيب دهام صوابين وقتل حصانه وقطعت أصابع رجله وهرب هو ومن معه بعض أنامله من شؤم فعله ، ويتجرع حرارة الجرح والصلف ، ويتحسى مرارة الندم والأسف . ثم لما تظاهر بعداوة الدين وعداوة بن سعود وتمزى بذلك وتميز ، وسوّل له الشيطان أنه للسياسة قد أحرز حاربه ابن سعود . فلما تيقن ذلك حمّله الشيطان من التيه والطغيان على نذر جزور لتاج بن شمسان إن قطع ابن سعود على الفوارة عادين على بلادى . فلما بلغ ابن سعود وإخوانه المسلمين ذلك تعاهدوا على أن أول عدوة يعدونها عليه تكون في قصره فوفوا بذلك الوعد ، وبذلوا لتحقيقه الجهد فأتوا إلى باب القلعة التي فيها قصره فشذبوا الباب بالمنشار ، ودخلوا بيت ناصر بن معمر وتركى بن دواس ، فعقروا فيهما إبلا كثيرة ورموه بالرصاص وهو في عليته ثم خرجوا سالمين والله الحمد ، ثم بعد ذلك بيسير عدا ابن دواس على العمارية فقتل عبد الله بن علي وعقروا إبلاه . فلما باغ ابن سعود ذلك جمع أهل الدرعية وأهل عرقة فرأى أنه يرصدهم ، ويكن لهم في فيضة ابن لأنها طريقهم الذي يرجعون منها ، وكان ابن دواس قد كمن فيها ورصد هو وإخوانه خوفا على عدوته أن يسد عليهم الطريق ، ولم يشعر بذلك ابن سعود وجماعته حتى توافى الفريقان في الفيضة ، واقتتلوا ساعة ثم انهزم دهام وجماعته والمسلمون بأثرهم ، حتى طلعت عليهم عدوة ابن دواس التي صدرت من العمارية ، فلم يشعر المسلمون إلا وهم خلفهم فانكسروا ، ولم يقتل إلا رجلان أو ثلاثة منهم أكرمهم الله بالشهادة ورجع كل منهم وقصد بلاده . ثم بعدها بمدة يسيرة جرت واقعة مذكورة شهيرة تدعى وقعة الشياب لأنه قد قتل منها شياب



من آل ابن شمس من أهل الرياض . وصفتها أن عثمان بن معمر مع جماعته من أهل العيينة ومحمد بن سعود مع جماعته من أهل الدرعية ساروا جميعاً إلى أهل الرياض ، فلما قربوا من البلد أغار بعضهم على نواحيها وكمن بعضهم . فخرج دهم مع أهل الرياض فالتقوا بمكان يسمى الوشام خارج السور . فلما خرج الكمين عليهم انهزموا ولم يأل أحد على أحد ، بل كل منهم عربد وشرد ، وقتل منهم نحو العشرة من المشهورين : منهم أحمد بن علي بن ناصر وشايبان من آل شمس . ثم بعدها الواقعة المسماة بوقعة العبيد ، وذلك أن ابن سعود خرج في أهل الدرعية وقرأها خاصة ، وصار على أهل الرياض وعبأ كمينه في جرف يقال له جرف عبيان ، ثم أغار على البلد فخرج ابن دواس ومن معه من المقاتلة خارج السور . فلما التقى الفريقان خرج الكمين فرجع دهم ومن معه مكسوراً ، وقتل منهم نحو العشرة غالبهم عبيد ، ولهذا سميت بهم الواقعة بلا ترديد ، وتسمى أيضاً وقعة غيبة لأن القتلى بقوا فيها أياماً بلا دفن . وكفى بذلك مصيبة ، وبقي دهم بعدها متحسراً ، وفي أمره متندماً متحيراً إلا أنه للحرب في تهيو واستعداد ، وفي التأهب للملاقاة وجمع الأمداد طلباً للمقاضاة والأخذ بالثأر ليشفي الفؤاد . فأجمع أمره وصمم رأيه وفكره أن يأتي إلى الدرعية ويغير ويجعل الكمين فيما خفي من الحفير ، فجمع الحاضرة والبادية فأصبحت خيله على البلاد عادية ، فخرجوا إليه سرا ولم تأل المقاتلة غير القتال دفاعاً . بل باعوا النفوس دفعاً عن الحرم حتى كشفه الله تعالى فانهزم ، غير أن المسلمين لما ظهر عليهم الكمين ولى غالبهم مدبرين وقتل خمسة من المسلمين ومن مشاهيرهم فيصل بن الأمير محمد بن سعود وأخوه سعود ابن الأمير محمد ، وكان الأمير محمد رحمة الله عليه حين خرج ورأى أن الغارة لم تفد ولم تعرج على نقش أحد أشار برأى مبارك ميمون ، وهو أنهم إلى بلادهم يرجعون ولا يناشبونهم القتال خوفاً من الكمين بالرجال ، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطوراً وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وبعد هذه شمر الأمير محمد للحرب ساعده ولم تكن همته عن القتال قاعدة ، بل كانت إلى ذرى المعالي صاعدة ، وفي هذه الواقعة من الفوائد النافعة والمصالح الجامعة لمحمد والمسلمين ما لا نحدّه ولا نعدّه تحريراً ، (وعسى أن تكرر هوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) ، وكانت هذه الوقائع المسطرة والأفعال المقررة في حدود السنة التاسعة والخمسين بعد المائة والألف . ثم دخلت سنة

الستين بعد المائة والألف ، وفيها وقعة تسمى وقعة دلة . وذلك أن أهل العينة وأهل حريصا وأهل الدرعية وقراها وأهل منفوحة خرجوا في ربيع الأول يريدون الرياض ومصادمة أهلها فيها ، فانفلت رجل من أهل حريصا يقال له أبو شيبة من آل داود فأنذر دهما وجماعته ، فلم يأتهم المسلمون إلا وهم مستعدون للقتال فصباحهم المسلمون في جوف البلد فلذا سميت وقعة دلة فاقتتلوا فيها قتالا شديداً وحمل القتل عند باب القصر والتقى دهام بن دواس مع حمد بن محمد بن منيس وكان فاتكا وتقاتلا راجلين ، فضرب حمد بن محمد دهما ضربات بالسيف في جسده ورأسه حتى أتى موسى ابن عيسى الحريص إلى حمد بن محمد من خلفه فقتله وصار سبباً لسلامة دهام بعد أن أشرف على الحمام ، ثم لم يكن جزاؤه له مع فعله فيه الجميل إلا المعاقبة والتنكيل ، وذلك أن موسى بن عيسى بان للإسلام وأراد الهجرة فذكر ذلك لدهام فأمر بقطع يده ورجله فقطعتا ونفاه إلى الدرعية فلم يرح إلا ثلاثة أيام فمات ، وقتل في ذلك اليوم من أهل الرياض محمد بن سوداء وسرحان البكاي وابن مسيفر وثمانية غيرهم . وأما الجراحات فكثيرة ، واستشهد من المسلمين حمد بن محمد وحمود بن حسين بن داود وسليمان الزير وحسن الشميري وغيرهم ، وكانت تلك الغزوة من غير رضا عثمان بن معمر ومشورته لما يهتمونه من النفاق وموالاته لأهل الباطل خفية إلا أن هذه الواقعة زادت رجسا إلى رجسه وخبت بها دغل نفسه ، ثم لما رجع كل إلى بلده وآب إلى مسكنه ومعهد ومرا أهل حريصا على العينة طلب عثمان بن معمر من أمير حريصا محمد بن مبارك العهد والميثاق على الإخاء والمصافة والاتفاق ، وذلك لما أبطن من الشر كما كان شأن ذوي النفاق مع أن قلبه قد ملئ من الرعب والوجل وخالطه الخوف والذل والحجل ؛ ثم إن عثمان غشيه الندم وجلله الفشل حيث لم يكن مع الغزاة قد عزم وخشى وقوع الازلال والإهانة وتصديق ما يرمى به من النفاق والخيانة ، فأرسل إلى الشيخ وإلى الأمير محمد بن سعود يستشفع إليه بكل صديق وودود في قبول العذر والاعتذار والصفح عن التخلف الذي صار . فقبلا منه جلي عذره رجاء منهما أن لا يعود إلى مكره ثم إنه قدم إليهم ووفد عليهم ومعه وجوه أهل حريصا والعينة وعاهد الشيخ ومحمد بن سعود على الجهاد والقيام بالنصرة والاستعداد ولو إلى أية بلاد فتوهما فيه الصدق والوفاء وغاب عنهم ما كمن بقلبه واختفى ، فعندها رأسوه وكبروه ورفعوه على المسلمين

وأمره وصار ابن سعود له منقاداً ولأمره طالباً مرتاداً ولا يخالفه ولا يشاققه بل يتابعه ويوافقه في السفر والبلاد والغزو والجهاد ، وكان من أعظم ما على عثمان به تقم وأوضح ما رمى به واتهم ، أنه أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ترمدا وأمره أن يركب إلى دهام مع جماعته ويسوسه ويزين له الاتفاق مع عثمان والقدوم عليه إلى العيينة ويتفوه في المجالس والمحافل أنه لمنهج الإصلاح مائل ولتشكير سواد المسلمين فاعل والله أعلم أنه خائن خاتل ، فحسن له تلك الأفعال وقدم إبراهيم مع دهام بلا إمهال فاجتمعوا عند عثمان في ذلك المكان وكان ذلك من غير مشورة للشيخ وابن سعود ولا غيرها من الأعيان فصار سبباً لما ناله من الذل والهوان فحين علم بذلك أهل البلد ورأوا دهاما إليه قصد شق عليهم ذلك وعابوه ، ولكنهم من الفتك به هابوه ، وذلك أنهم عرفوا مراده وقصده وتحققوا ما بذل فيه طاقته وجهده لما يشاهدونه منه ويأثرون عنه من موالاته أهل الضلال والمبطلين وإبعاده عن حزب الموحدين ، فاجتمع أهل البلد جميعاً وساروا إليه سريعاً ، فلما اجتمعوا عنده ورأى ما أصابهم من الكآبة والشدة موّه عليهم مطلوبه وقصده ، وقال لهم ليس لي مراد إلا الإرسال للشيخ من تلك البلاد حتى يحضر عقد الصلح ويتم بمجيئه المرام والصلح ويدخل دهام في دائرة الإسلام ويحكم عليه العهد غاية الأحكام ، فاطمأنت نفوس القوم لأجل قوله ذلك اليوم ؛ ثم إنه أرسل إلى الشيخ تلك الليلة وأعملوا في قدومه الحيلة يحثه على المجيء والحضور ويستدعيه إلى ما دبره من الأمور ، وقد ألقى الله في روع الشيخ خيائته وتحقق أنه لم يوف أمانته بل حكى أن الشيخ جاءه النذير يحذره عن الحضور والمسير ، وأبدى غاية الامتناع واعتذر عن الموافقة والاجتماع ، فلما أخبرهم الرسول بعدم القدوم والمشول عرف المسلمون من أهل البلد ما أعمله عثمان من المكر واجتهد فحصروا ابن دواس في قصر عثمان وهموا به إذا خرج بلا استئذان فلما جن الظلام خرج دهام هارباً ولبده طالباً وللهوان والحزى كاسياً ، وكان صدور هذا الأمر منه والتفوه بالمكر عنه قبل أن يأتي إلى الشيخ والأمير محمد ويأخذ منهما العهد المجدد ، فلما تحقق عثمان من جماعته الغيظ والغضب خاف من وقوع الشقاق وارتقب وأخذ يصانعهم ويرضهم بقوله ويعتذر إليهم بمصادر عن فعله لعلهم إلى ما كانوا من محبته يرجعون ، وماربك بغافل عما يعمل الظالمون ؛ ثم لما أبطل الله تعالى كيدهم وما أرادوا وعلموا أنهم تضمخوا بقدر



الخيانة وما أفادوا ، ووصل إبراهيم بن سليمان إلى ثرمدا تدرع لباس الحراة وارتدى وتنصل عن الدين واعتدى وفارق منهج الحق والهدى وبادر المسلمين بالحرب وابتدا . ثم دخلت السنة الحادية والستون بعد المائة والألف وفيها جرت وقعة تسمى وقعة البنية وذلك أن عثمان بن معمر لما أعطى العهد وأمر كما ذكرنا سار بمن معه من أهل العينة وأهل حريملا ومجد بن سعود وأهل الدرعية وقراها وأهل ضрма إلى الرياض فأتوها من شرقها يمشون في وادي الوتر حتى نزلوا بين العود والبنية ، فلم يجر ذلك اليوم قتال إلا أن رجالا من المسلمين تراموا مع أهل البلد من بعيد ، فقتل من أهل الرياض سليمان بن حبيب وأناس معه وأصيب منهم كثير ودخل قلوبهم من الرعب أمر كبير واستشهد من المسلمين عبدالله بن عبيكة وابن عقيل ، فلما كان آخر اليوم سار المسلمون إلى منفوحة وأقاموا بها ثلاثة أيام يتداولون الرأي ويبرمونه غاية الإبرام حتى انتظم الرأي واتفق واجتمع الفكر وانتسق على المسير إلى الرياض والمكابرة ومنازلتهم بالجدة والمصابرة ، فتعبأ المسلمون للقتال وافترقوا فرقتين للمحال فعمدت فرقة إلى صياح فدخلوه وقت الصباح فاستولوا على ما فيه من الأموال وذلك بعد شدة القتال وقتل من مشاهيرهم موسى بن عبد القادر والفرقة الأخرى ساروا إلى أهل حريملا وأهل عرقة فعمدوا إلى مقرن فدخلوها حتى وصلوا إلى الظهيرة وكان جملة أهل البلد قد اجتمعوا فيها عند قصر دهام بن دواس فاقتتلوا مليا ، ثم خرج من ذكرنا من المسلمين بعد ما اجتمع عليهم أهل البلد منهزمين وقتل من المسلمين خمسة وعشرون رجلا فخرجوا مسرعين ، ثم إن دهاما وقومه لما فرغوا من قتال تلك الطائفة أسرعوا في المسير إلى صياح وكان من وليها من المسلمين إذ ذاك في البيوت والنخيل متفرقين فدهمهم فيها دهام وأكرم الله بالشهادة من قرّب له الحمام وجاءهم بمن معه بغتة وكان افتراقهم ذلك اليوم فلتة فقتل منهم عشرين وكان جملة من استشهد ذلك اليوم خمسة وأربعين ، ثم لما ظهر المسلمون على البلاد اجتمعوا خارجها فهدموا جدران البنية ، وهدموا تلك المربعة المبنية فلهذا سميت بهذا الاسم ووسمت بهذا الوسم ثم رجع كل إلى بلاده ووطن أهله وأولاده ، وفي السنة المسطورة جرت وقعة تسمى وقعة الحزيرة وسميت بذلك لكون القتال في مكان يقال له الحزيرة وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العينة وحريملا وعبد العزيز بن مجد بأهل الدرعية وقراها وأهل ضрма ، فساروا

جميعاً وأميرهم عثمان بن معمر حتى نزلوا بصياح، فلم يكن لأهله عن الخروج من براح، فخرجوا إليهم سراعا وراموا عن البلد دفاعا فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل من أهل الرياض ستة تقريبا لاتحديدا، وقتل من أهل العيينة نحو عشرة رجال ومن أهل الدرعية ومنفوحة ستة بلا إشكال، وقطعوا من الثمار المعلقة أربعة من النخيل محقة ثم رجعوا إلى بلدانهم وساروا إلى أوطانهم . وفي السنة المسطورة أيضا جرت وقعة عظيمة تسمى وقعة البطين لكون الواقعة والقتال صدر في مكان يقال له البطين وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العيينة وحرعلا وعبد العزيز حرسه الله تعالى بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرما والأمير على الجميع عثمان فساروا إلى ثرمدا فنزلوا بها ليلا حتى انفلق الصبح وبدا وقد جعل المسلمون لهم خارج البلد كميناً يكون لهم إذا نشب القتال معينا، فلما أصبح الصباح واتضح النور ولاح خرج أهل البلد إليهم وأقبلوا للقتال عليهم وتناشبت الرجال وضاق مجال القتال خرج إذ ذاك عليهم الكمين فولى الكفار مدبرين ومنح الله تعالى المسلمين أكتافهم وقتل أشرفهم وكانت القتلى نحو السبعين على سبيل التحقيق لا التخمين، ثم بعد ذلك التجئوا إلى قصر يسمى قصر الحرّيص فتحصنوا فيه وخلت البلاد من المقاتلة فأشار عبد العزيز وجماعة معه على عثمان بدخول البلد والمعالجة فأبى عثمان من ذلك وكانت منه مكيدة ومخاتلة، فعند ذلك استطال عليه عبد العزيز بالكلام ووبخه ولامه غاية اللام ثم إن عبد العزيز حفظه الله تعالى نهض مريدا دخول البلاد من غير توقف ولا استرداد وأمر بذلك جميع أتباعه فبادروا لامثال أمره وأتباعه ولكن كان الذي معه ذلك اليوم نزر يسير ومع عثمان الجم الغفير، ثم إن عثمان بن معمر بعد تلك المراجعة وصدور تلك المنازعة ارتحل راجعا إلى بلاده وبقي عبد العزيز متحيرا بين الدخول فيفوز بمراده أو اللحق بعثمان فيوافقه في ارتياده حتى اختار الله تعالى له ما اختار فجذب في لحوقه فلم يأت إلا آخر النهار وأعظم ما صرف رأى عبد العزيز عن دخول البلاد قلة من بقي معه من الأجناد فأشار عليه وجوه من بقي معه أن يلحق بعثمان فلحق به وتبعه إلا أن الأحوال متغيرة والقلوب بينهما متنافرة فلما أضاء صبح الليلة وأسفر جمع عبد العزيز حرسه الله تعالى جميع الغنيمة وأحضر ونادى بالرحيل في قومه وثور وأخذ سائرا على طريق الخبرة لما أجمع على المفارقة أمره وقال لا بد من إحضارها عند الشيخ وابن سعود حتى يقسمها على

المنهج المحمود فقدم بها عليهم وأحضرها لديهم . وفي تلك السنة أيضا غزا المسلمون ثرمدا مرة ثانية ، ولم تكن همتهم عن الجهاد وانية والأمير عليهم عثمان ، ولم يخرج من أهل البلد للقتال إنسان فدمر المسلمون المزارع إذ لم يحل دونها من مدافع ، ثم انقلبوا مسرعين وإلى بلدهم راجعين . وفيها أيضا غزا المسلمون ثادق فلما وصلوا إلى قرب تلك الثرافق وكان وصولهم ليلا وعبثوا بالجيش واستعد الكمين حتى ينشب القتال ويستبين فلما خرج المقاتلة ظهر الكمين بالمعاجلة فأخذوا عند ذلك منهج الفرار ولم يكن لهم على لقاء المسلمين من قرار ، وقتل منهم عند الانكسار محمد بن سلامة وستة معه وأخذوا جميع الغنم المرتبة . ثم دخلت السنة الثانية والستون بعد المائة والألف وفيها وقعة تسمى الحبوئية سميت بذلك لأن القتال بها صار وهدم ما بها من جدار ، وذلك أن المسلمين ساروا إلى الرياض وأميرهم محمد بن سعود رحمه الله تعالى ، فلم يصلوا إليها إلا وضوء الصبح قد انتشر وخرج أهل البلد إذ لم يأتهم ما يوجب الحذر هذا وجيش المسلمين قد استعلى على تلك البروج ، فلم يكن لأهل البلد إليها من عروج وأخذوا يترامون معهم بالرصاص ، ولكن ليس إلى المقاربة من سبيل ولا مناص ، وقد قتل بينهم رجال في ذلك المجال فقتل من المسلمين ثلاثة عبد الله بن شاذب وعبد الله بن حمود وغنام بن دعيج وقتل من أهل الرياض سبعة منهم عبد الله ابن سبيت ، فلما غربت الشمس ذلك اليوم سار المسلمون إلى منفوحة ، وقد وقعت في هذه السنة وقعات كثيرة لكنها صغار فلهذا لم يكن لنا إلى تعدادها اعتبار . ثم دخلت السنة الثالثة والستون بعد المائة والألف وفيها مقتل عثمان بن معمر جزاء لما أبطنه وأضره وذلك أنه لما تزايد شره على أهل التوحيد وأخذ يعمل في إذلالهم بلا تردد وظهر للمسلمين بغضه وبدا لهم منه هجرانه ورفضه وتبين لهم موالاته لأهل الباطل وماربك عما أراده بغافل وتحقيق تقريبه للمنافقين واستئلافه واشتهر شقاقه للمسلمين واختلافه وكانت حاله بذلك شهيرا ( ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ) فلما تحقق الشيخ عنه ما ذكر وتيقن ما سطر وجاءه أهل البلاد كافة وشكوا إليه خشية الغدر والخافة وتثبت في تسطير هذه الانتقال وتحرير ما يرمى به من سوء الأفعال وتحقيق ماله أنى وخشى على المسلمين وقوع ما به رمى قال لمن قدم إليه ووفد عليه من أهل العينة أريد



منكم البيعة على دين الله ورسوله وعلى موالاة من والاه ومعاداة من حاربه أو ناواه ولو أنه أميركم عثمان فأعطوه على ذلك صفقة الايمان فتتابعوا على البيعة أفواجاً فملئ قلب عثمان من ذلك رعباً وانزعاجاً ؛ فعند ذلك زاد ما به من الغل والحقد وزين له الشيطان أنه لا يفوز بالقصد حتى يفتك بأهل الإيمان ويحلى من يسلم لأقصى البلدان فينجلى ما بقلبه من الهم والأحزان ، فأرسل لابن سويط وإبراهيم بن سليمان يحثهم ويدعوهم إلى الحجة عنده والاجتماع حتى ينفذ ما عزم عليه بالمسلمين من الايقاع ، فلما تحقق أهل الإسلام ما عزم عليه من ذلك المرام وأبرز الملك العلام لدوى الألباب من الأنام مصداق قوله ( إن الله عزيز ذو انتقام ) فتعاطى الأيمان على قتله من أهل التوحيد أناس أرادوا بذلك القربة وإراحة الناس وإزاحة ما عزم عليه من إيقاع النعمة والبأس ومن مشاهيرهم حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد فأبطل الله بهم ذلك المكر والكيد ، فلما انقضت صلاة الجمعة وخرج سرعان الناس مسرعين قتلوه في مسجده ومصلاه وأريج المسلمون من أذاه فلم ينتض لذلك سنان بل لم تنتطح لمقتله عنزان بل أغمدت والله المحمود قواضب الفتنة وأخذت لواهب الحنة واطمأنت المسلمون ( أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون - ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ) فلما قدم إلى الدرعية بتحقيق هذه القضية وأسرع بذلك إلى الشيخ والأمير محمد البشير عجل الشيخ إلى العيينة المسير ، وذلك لما خشيه من الاختلاف وعدم الموافقة والائتلاف ، وقدم عليهم ثالث يوم فهدأت لمقدمه نفوس القوم وتجاوزوا عنان الرأى والمشورة والقضية في ذلك مشهورة في التريث والتأخير وتفويض الرياسة والتدبير ، والكل بما يوافق مراده مشير ، إلا أن أهل التوحيد والإيمان ، لاسيما من باشر أو سعى في قتل عثمان ، حاولوا أن لا يؤمر من حمولة ابن معمر ولا يولى عليهم منهم إنسان ، خشية أن ينالهم منه ذل وهوان ، فلم يوافقهم الشيخ في مرادهم ، ولم يعرج على اجتهادهم ، بل أبى وأعرض عن ذلك ، وجنح إلى تمهيد المسالك وإيضاح المحجة للسالك ، فرأس عليهم مشارى بن معمر وكبره فيهم وأمر ، وكان ذلك منتصف رجب ، كما حققه من حسب . وفي هذه السنة أيضاً ، وقعتا البطحاء ، وذلك أن المسلمين عدوا على الرياض ليلا فدخلوا البلاد ، واستحرق القتال والجلاد عند باب المروة بعد ما دخلوها فجوة ، فلما تراجع على المسلمين الإفزاع نهض غالبهم إلى الخروج والإسراع ، ودارت

رحى الحروب على سبعة ، وحصلت لهم من الله إعانة ومنعة ، منهم على بن عيسى الدروع ، وسليمان بن موسى الباهلي ، ومحمد بن حسن الهلالي ، وعلى بن عثمان ابن ريس ، وعبد الله بن سليمان الهلالي وإبراهيم الحر ، فاقتتلوا أشد القتال مع ضيق المعترك والمجال ؛ فقتل تلك الساعة من مشركة تلك الجماعة : ناصر بن معمر وجنيدل وخمسة آخر ، ولم يقتل من المسلمين إلا عبد الله بن سليمان ، وسليمان بن جابر من الأولين . وفيها أيضاً جرت وقعة تسمى وقعة الوطية ، وكانت من أعظم قضية ، وذلك أن المسلمين غزوا وأميرهم عبد العزيز حفظه الله وساروا إلى ثرمدا سريعا ، فجاءهم النذير ، فاجتمعوا مع أهل وثيثا ومراة جميعا ، فلم يأتهم الجيش والأجناد إلا وهم في أتم الاستعداد ، وتأهب للجلاد ، وقد برزوا خارج البلاد ، ولكن المسلمون قد أعدوا لهم كمين ، فلما استمر القتال مليا خرج عليهم ذلك الكمين ، فانهزموا مدبرين ، وقتل منهم خمسة وعشرون ، منهم أمير وثيثة علي بن زامل ، وسيهان وكثير من تلك الشجعان . ثم دخلت السنة الرابعة والستون بعد المائة والألف ، وفيها عدا المسلمون على الرياض فاقتتلوا داخل البلد حتى ذهب الصبر والجلد ، وتلاحقت أهل البلاد على المسلمين فخرجوا بعد القتال منهزمين ، وقد قتل أناس من المشركين وقتل نحو الثمانية من المسلمين ، منهم على بن عيسى الدروع خانه القضاء ، فلم يفر لما كثرت عليه الجموع رحمه الله ، وكان من الفتاك والشجعان المشهورين بالعلو على الأقران والصبر عند الطعان في ذلك الوقت والزمان . وفيها ارتد إبراهيم بن محمد ابن عبد الرحمن أمير ضرما ، ورجع عن الإسلام وخان وقتل من أشرف جماعته وقومه لشؤم فعله ولؤمه عمر الفقيه ورشيد العيزار وابن عيسى لكونهم من أهل الإسلام والدين ، وفي الدنيا من أهل الثروة والتمكين ، فأخذ ما لهم بعد قتلهم أجمعين ، فلم يقم بعد هذه الفعلة سوى أربعة شهور في المهلة حتى قتل هو وأولاده عيدان وسلطان وأناس غيرهم من الأعوان المشهورين بالتعدي والطغيان ، وهرب من سلم إلى سائر البلدان . وصفا ما صدر أن آل سيف السيارة صقر وإخوانه وإبراهيم ابن سلطان آل ذباح ، تعاهدوا وتعاطوا الأيمان على الفتك به لما ارتد وخان فأتوه مع جماعته وهم في المجلس قعود ، فقتلوههم وفازوا بالمقصود ، ثم بعد هذه القصة المسطورة ، ولي الأمير محمد بن سعود عبد الرحمن إمارة ضرما المذكورة ، وفيها

غزا المسلمون الزلفى وأميرهم إذ ذاك عبد العزيز ، فلما وصلوا الحسا حمّ عبد العزيز حفظه الله فأمر على الغزو عبد الله بن عبد الرحمن وانقلب راجعا فأغار الغزو على الزلفى وأخذ غنا كثيرة ثم رجع . ثم دخلت السنة الخامسة والستون بعد المائة والألف ، وفيها جرت خيانة أهل رغبة ، لأهل سدير والوشم ، وذلك أن أهل سدير والوشم وجرواد معهم آل ظفير وحزبوا على أهل رغبة ، وهم إذ ذاك قد دخلوا في الإسلام وجرت عليهم الأحكام فحصرهم في البلد أيام ؛ ثم إن بعض أهل البلاد جنحوا إلى طريق الفساد وأدخلوا تلك الأحزاب والأجناد وحقن الله دماء أهل التوحيد من ذوى الإفساد ، إلا أنهم أخذوا جميع أموال البلاد وصب الله على أهلها سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد ، فأصبحوا بعد حلول هذه المصائب عليهم والنقم يعضون أنامل الأسف والندم ، على ما حل بهم ودهم . وفيها أيضاً حزب أهل الضلال ، أهل الوشم ، وأهل سدير ، وأهل الجنوب ، وآل ظفير وجلوية ضرما ، فساروا إلى ضرما وحصروا أهلها أياما ، وعزموا أن يطيلوا بها مقاما ، وفي مدة هذه الإقامة كل شد للقتال ساعده ، وشدد سهامه حتى إنهم في بعض أيام الحصار نصبوا السلام على رفيع ذلك الجدار وأرخصوا في نيل مطلوبهم غالى الأعمار طلبا للفوز بالمنى والأوطار وأخذوا بأنفة الثار ، فصعد منهم السور من قرب أجله من الحضور ، وكانوا نحو الثلاثين ، فلم يرجع منهم أحد ، وقتل غيرهم خلق كثير يزيدون على العشرين في العدد ، وغالب القتلى من أهل الحريق ، ومنهم حمد بن عثمان الهزاني على التحقيق؛ ثم رجعوا بعد ذلك خاسرين ومن مرادهم خائبين . وفيها غزا المسلمون الحرج وأميرهم في تلك الغزوة ، مشارى بن معمر فأغار على الدلم وأخذوا جميع سوايم الغنم ثم انقلبوا راجعين ولبدانهم طالبين ، فاقتفى طلب أهل الحرج آثارهم بعد ما تحقق عدتهم وعرف أخبارهم فوقعت في عفجة الحار الموافاة وحصلت المصادمة والملاقاة فأناخ لهم المسلمون وكلهم للموت مستوطنون ، لأن عددهم على الأربعين لا يزيد ، والفزع فوق المائة بالتوكيد ، فوطنوا نفوسا عن الفرار أية ، وأخلصوا عند ذلك النية لخالق البرية ، وصبروا عند هذه البلية ، فجرى القتال من بعيد والكل يرمى بالبنادق ويحيد ، فلما رأى المسلمون ذلك لا يجدى ولا يفيد ، نهضوا عليهم للاختلاط وعاجلواهم لقصد الارتباط ؛ فلما عاينوا من المسلمين الموت عرفوا أن لا منجى سوى



لهروب والفوت ، فكل منهم امتطى راحلته ونادوا إثر الهروب والفرار ، ولم يكن  
هم على ملاقة المسلمين اضطبار ، وقتل المسلمون منهم قريبا من الثلاثين رجلا ، منهم  
مريقان قرب له الأجل وأخذوا كثيرا من الركائب والسلاح ، وبدا للمسلمين  
، ذلك الطلب الفلاح ، وكان خيرة لهم وصلاح كما قيل :

الصبر كالصبر مرّ في مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

وأعلى من ذلك وأرفع وأعلى منه وأنفع قوله تعالى : ( إن الله مع الصابرين ) .  
وفيهما غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز متع الله به المسلمين وأغاروا على فريق  
بدو يقال له دهمان ، فأخذوهم أجمعين ، وقتل من المسلمين اثنان : علي بن عثمان  
ابن ريس وابن جرى عمران . وفيها وقعت من أهل حريملاء الردة والافتتان ،  
 واجتمع على ذلك كل إنسان من أهل الفساد والعصيان ، وتمائثوا على قتل من  
عندهم من أهل التوحيد والإيمان ، وحملهم على ذلك الشيطان وزين لهم ما كانوا  
عليه سابقا من البغى والطغيان ، وزخرف لهم سنتهم القديمة في غابر الزمان ،  
وأظهر لهم أن شوارق الدين والإيمان تعقبها الذلة والهوان ، فصار كل منهم إلى  
الفتنة ظمآن ، وإلى لقاء الردة ولهان ، فلهذا أوضحوا سبيل الفتنة والردة ، وأخذوا  
في تهيئة أسبابها المعدة وأقاموا جهرا أعوجها ، وشادوا طريقها ونهجها ، وتبينت لها  
منهم أسباب ، وتوهم المسلمون منهم قبل وقوعها فتح باب ، وعرفوا أنهم على الدين  
ليسوا بما كثرين ، بل ناقضين للعهد ناكثين ، واستنشق الشيخ من أخيه سليمان أنه  
لأسباب الردة معوان ، وأنه يلقي إلى الرؤساء وخاصة من الجلساء شبا كثيرة ، وإنما  
دعاه إلى هذا الحسد لأخيه والغيرة ، فلاجل إلفائه عليهم الشبهة وتروجه عليهم بما  
خفى علينا واشتبه كاتبه الشيخ وناصحه ، بل أنبه وكافحه وحذره شؤم العاقبة ، وبين له  
أنه لا يدرك مطالبه ، فلم تجدد النصائح والإنذار ، ولم يجنح إلى منهج الاعتبار ومحجة  
الاستبصار والطمأنينة والسكنى في تلك الديار ، بل طلب واختار ركوب كواهل  
الأخطار ، وكان سليمان قبل أن يطير من الردة اللهب حين عذله الشيخ وعتب ،  
أرسل إلى الشيخ رسالة خبر فيها كلامه ومقاله وزخرف فيها أقواله — ولكنها للعهد  
قد تضمنت ، — اتقد الإيمان قد حوت وأحكمت — أنه إن وقع من أهل حريملاء ارتداد  
لا يقيم يوما في تلك البلاد ؛ فلم يف بذلك الوعد بل أخلف الميثاق والعهد وآثر  
السكنى والبقاء أيام الفتنة والشقاء ، كيف لا وهو أبو عذرهما ، والباعث على تأسيس  
( ٢ — تاريخ نجد — ثان )

أمرها والداعى إلى تأسيس قبيلتها ونكرها ، وصفة ما جرى وصدر وظهر منهم وبدر ، أن كبار القرية الذين تعاهدوا على الفرية عزلوا محمد بن عبد الله بن مبارك وكان هو الأمير وولى التنفيذ والتدبير ، وأصابه منهم إنسان يسمى ابن وحشان ثم أجلوه مع أولاده عن مسكنه وبلاده وفر غيره من أهل الدين إلى بلدان المسلمين : منهم عدوان بن مبارك ، وابنه مبارك بن عدوان ، وعثمان بن عبد الله أخو الأمير وعلى بن حسن وناصر بن جذيع وغيرهم ، فأتوا إلى الشيخ وإلى الأمير محمد ابن سعود فأخبروهم بذلك الأمر المشهود وشرحوا لهم تلك الأفعال وبينوا لهم من نهد فيها من الرجال ثم بعد ذلك بأيام قلائل أرسلوا حمولة الأمير وعصابته إليه الرسائل وزينوا له المجىء ، والقُدوم وحسنوا له الإقبال والهجوم ووعدوه بعد الوصول المساعدة على المأمول والقيام معه والتبيين ورده في منصبه والتمكين ، فاستشار الشيخ في ذلك والأمير ، ولم يكن أحد منهما بذلك مشير ، وقالوا إن كان لابد أنت فاعل فأنى لمددك معك جاعل يكون لك عوناً على من هو خاتل ، فأبى عن المراد وأقبل بمن معه من العباد حتى دخل تلك البلاد ، وكان دخوله في غسق الدجى ، فلم يشعر به جماعته إلا حين توغل وجفا ، فلما تلاً من الفجر نوره وولى من الظلام ديجوره تبين عند أهل البلد مجيئه وحضوره ، فلم يكن لهم عليه بد من القيام . فأقبل عليه منهم فثام وجرعوه كأس الحمام وكتب له الشهادة ومن معه الملك العلام إلا مبارك بن عدوان ، فهرب وأعجزهم في الطلب ، وكان جملة المقتولين ثمانية ، كانت مناياهم دانية ، ولم يحصل من رفاقته النصرة له والنجدة ولم ينحوا مراده وقصده ، بل خذلوه وتركوه مع من جاء وحده ، ولا ينفع الحذر إذا حمَّ القدر (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها) بل ينقطع أمدّها وأملها ، ثم بعد ذلك اجتهدوا في أسباب الخرابة وأعدوا للحرب عدته وأسبابه ، وانتفخ منهم السحر لما جرى وصدر ، ولم يكن لهم عزم ولا همّ بعد إتيانهم تلك المدلّمة إلا البناء على البلاد والتسوير مخافة الخراب والتدمير ، ثم أرسلوا إلى مشارى ابن معمر أن يدخل معهم في هذا الأمر المقرر ، فأعرض عن ذلك وأنكر ، وبقوا على ذلك الحصار ومكابدة الأضرار بقية تلك السنة لا تخالط أجفانهم في الدجى سنة ، وكانت تلك القضية في شوال من غير شبهة ولا إشكال . ثم دخلت السنة السادسة والستون بعد المائة والألف ، فعدا أهل حريملا على أهل الدرعية فلم يحصلوا من

ذلك بالأمنية ، ثم عدا المسلمون عليهم مرات وكروا عليهم في بلادهم كرات ؛ وفي أواخر تلك السنة ارتد أهل منفوحة عن الدين ونبذوا عهد المسلمين وطرّدوا محمد بن صالح إمام المصلين (والله لا يهدي كيد الخائنين) . فلما وقعت هذه الواقعة خرج مهاجرا من نفسه إلى الحق وازعة ، وإلى الدين نازعة ، وللباطل وأهله رادعة ، وللشيطان قامعة ، وفي أسباب الخير طامعة ؛ وكان من خرج منهم في يوم سبعين ثم بعده تلاحق أناس منهم مسترسلين . ثم دخلت السنة السابعة والستون بعد المائة والألف وفيها طلب دهام ، من الأمير محمد بن سعود الدخول في الدمام ، وأن تجرى عليه وعلى بلاده أحكام الإسلام ، ويقوم بتلك الوظائف والأحكام ، وقصده بذلك الخديعة وإحكام حبيلها أشد الأحكام ، فطلب منه خيلا وسلاحا ، فلم ير بذلك بأسا ولا جناحا ، ورغب في منهاج الإصلاح فبذل ما طلب ، وجنح للمهدية ورغب ، واستدعى من الشيخ رجلا إماما يطيل عنده مقاما ، وينشر في بلده للرعية أحكاما ، فأرسل إليه عيسى بن قاسم فكان بشرائع الإسلام حاكم وبتعليم التوحيد ، قائم يقوم بذلك ويقعد ويدل على الله تعالى ويرشد ، ويمجد حسب طاقته ويمجد ، فانتفع به من أهل الرياض جماعة حصلوا من التوحيد على بضاعة ، وصارت لهم فيه قدم ولهذا هاجروا لما نبذ دهام العهد وخرم ، وسيأتي ذكرهم في محله عند تحرير الارتداد ونقله . وفيها جمع الشيخ أهل الإسلام من جميع البلدان وبين المواعظ في الكلام غاية البيان ، لما تظاهر من تظاهر بالردة والخذلان ، وأوضح ما يجري على أهل التوحيد من فجار العبيد (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وكشف لهم معاني آيات القرآن ، وما ذكر في محكم التبيان ، وكلهم لقوله رحمه الله منصتون ، ولما يلقيه من الحكم والمواعظ يسمعون ، ويتلوا عليهم ما به ينتفعون (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وبشرهم بالنصر والظفر وحصول المنى وقضاء الوطر إن برحوا على الدين واستقاموا ، ولم يبرحوا عنه بل ثبتوا عليه وداموا وأمرهم بالرجوع إلى الله والتوبة وصدق النية والأوبة وتصدقوا بصدقات كثيرة وسألوا الله النصر وتيسيره . وفيها مقتل أولاد سيف السيارة صقر وإخوانه لما قاموا مع الباطل وأعوانه وهموا بقتل الأمير فأخبره بذلك النذير ، فبادر إلى قتلهم خشية فعلهم ، فبادر بذلك وأسرع وقتلهم بغوره أجمع ، ولم يعاود على قتلهم أحد بل جد في ساعته واجتهد ؛ وفيها مقتل سليمان بن خويطر . وسبب ذلك أنه قدم بلدة حريملا خفية وهم

إذ ذاك بلد حرب ، فكتب معه سليمان بن عبد الوهاب إلى أهل العيينة كتابا وذكر فيه شبهها مزخرفة ، وأقاويل مغيرة محرفة ، وأحاديث أوهى من نسج العنكبوت ، وأمره أن يقرأها في المحافل والبيوت ، وألقى في قلوب أناس من أهل العيينة شبها مضررة شينة غيرت قلوب من لم يتحقق بالإيمان ، ولم يعرف مصادر الكلام بالإتقان ، فكان يفعل ما به أمر ، فلما تحقق حاله واختبر أمر الشيخ به أن يقتل فقتل وامتلأ أمره وقبل ، ثم إن سليمان على حاله لم يزل يرسل الشبه في الكتب لأهل العيينة مع من خرج منهم ودخل ، ويبذل في ذلك الجهد في العمل . ثم إن الشيخ أرسل لأهل العيينة رسالة أبطل فيها ما موه به سليمان وما قاله وعطل فيها كلامه وأقواله ، نحا فيها منهج الصدق وبين واضح الثواب والحق ، فهي تجر زخر تياره وطمى وسحاب همل ودقه ، وهي زين فلكها بنجوم الحق الزواهر وأشجن فلكها بعلوم التوحيد الزواجر ، تلين قلوب السامعين لقولها ويصغى لها أهل الهدى بمسامع دلائلها محروسة عن كل معارض وآياتها محفوظة عن كل مدافع وهذا فصلها بحروفها .

## فصل

قال الشيخ رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم . روى مسلم في صحيحه عن عمرو ابن عبسة السلمي رضى الله عنه قال : « كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان ، قال فسمعت برجل في مكة يخبر أخبارا فقدمت على راحتي حتى قدمت عليه ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا جراء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت وما أنت ؟ فقال أنا نبي ، قلت وما نبي ؟ قال أرسلني الله . فقلت بأي شيء أرسلك ؟ قال أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيئا ، فقلت ومن معك على هذا ؟ قال حر وعبد ، قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال . فقلت إني متبعك ، فقال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني . قال فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكنت في أهلي ، فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم نفر من أهل يثرب من أهل المدينة . فقلت ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة ؟ فقالوا : الناس إليه سراعا وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك ، فقدمت المدينة



فقلت يا رسول الله أتعرفني ؟ قال أنت الذي لقيتني بمكة ؟ قال : فقلت يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله ، أخبرني عن الصلاة ، قال صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وحتى ترتفع فإنها تطلع حين تطالع بين قرني شيطان وهي حينئذ يسجد لها الكفار ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم اقصر عن الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم فإذا أقبل الفجر فإن الصلاة محضورة حتى تصلي العصر ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار» وذكر الحديث.

قال أبو العباس رحمه الله : فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وأنه حينئذ يسجد لها الكفار ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله ، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان ولا أن الكفار يسجدون لها ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسبا لمادة المشابهة . ومن هذا الباب أنه كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله على حاجبه الأيمن ولم يصمد إليه صمدا ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله في الجملة ، ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدي الرجل لما فيه من مشابهة السجود لغير الله انتهى كلامه . فليتأمل المؤمن الناصح لنفسه ما في هذا الحديث من العبر فإن الله سبحانه وتعالى يقص علينا أخبار الأنبياء وأتباعهم ليكون المؤمن من المستأخرين عبرة فيقيس حاله بحالهم ، وقص قصص الكفار والمنافقين ليتجنب ويحتنب من تلبس بها أيضا ؛ فما فيه من الاعتبار أن هذا الأعرابي الجاهل لما ذكر له أن رجلا بمكة يتكلم بالدين بما يخالف الناس لم يصبر حتى ركب راحلته فقدم عليه وعلم ما عنده لما في قلبه من محبة الدين والخير ، وهذا فسر به قوله تعالى : ( ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ) أي حرصا على تعلم الدين لأسمعهم أي أفهمهم ، فهذا يدل على أن عدم الفهم في أكثر الناس اليوم عدل منه سبحانه لما يعلم ما في قلوبهم من عدم الحرص على الدين ، فتبين أن من أعظم الأسباب الموجبة لكون الإنسان من شر الدواب هو عدم الحرص على التعليم ، وإذا كان هذا الجاهل يطلب هذا الطلب فما عذر من ادعى اتباع الأنبياء وبلغه عنهم ما بلغه وعنده من يعرض عليه التعليم ولا يرفع بذلك رأسا ، فإن حضر أو استمع

فكما قال تعالى : ( ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون .  
 لاهية قلوبهم ) . وفيه من العبر أيضا أنه لما قال أرسلني الله قال بأى شئ أرسلك قال  
 بكذا وكذا فتبين أن زبدة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هي توحيد الله بعبادته  
 وحده لا شريك له وكسر الأوثان ، ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا بشدة العداوة  
 وتجريد السيف فتأمل زبدة الرسالة ؛ وفيه أيضا أنه فهم المراد من التوحيد وفهم أنه  
 أمر كبير غريب ولأجل هذا قال من معك على هذا قال حر وعبد ، فأجابه أن جميع  
 العلماء الملوك والعامة مخالفون له ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر ، فهذا أوضح دليل  
 على أن الحق قد يكون أقل القليل وأن الباطل قد يملأ الأرض ، والله در الفضيل  
 ابن عياض رحمه الله حيث يقول : لا تستوحش من الحق لقلة السالكين ولا تغتر  
 بالباطل لكثرة الهالكين ، وأحسن منه قوله تعالى ( ولقد صدق عليهم إبليس ظنه  
 فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ) . وفي الصحيحين « إن بعث النار من كل ألف تسعة  
 وتسعون وتسعمائة ، وفي الجنة واحد من كل ألف . ولما بكوا من هذا لما سمعوه  
 قال صلى الله عليه وسلم : إنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ  
 العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين » قال الترمذي حسن صحيح .  
 فإذا تأمل الإنسان ما في هذا الحديث من صفة بدء الإسلام ومن اتبع الرسول  
 صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ثم ضم إليه الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم أيضا  
 أنه قال صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا » تبين له الأمران  
 هداه الله وانزاحت عنه الحجة الفرعونية . ( فما بال القرون الأولى ) والحجة القرشية  
 ( ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ) وقال أبو العباس رحمه الله تعالى في اقتضاء الصراط  
 المستقيم في الكلام على قوله تعالى ( وما أهل به لغير الله ) وأيضا فإن قوله ( وما أهل  
 لغير الله به ) ظاهره أنه ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر  
 من تحريم ما ذبح للحم ، وقال فيه بسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى  
 الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه بسم الله فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له  
 أعظم من الاستعانة باسمه في فوائح الأمور والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة  
 بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقربا إليه لحرم وإن قال فيه باسم الله كما يفعله طائفة من  
 منافقي هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع

في الذبيحة مانعان ، ومن هذا مايفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن انتهى كلام الشيخ ، وهو الذي ينسب إليه بعض أعداء الدين أنه لا يكفر المعين . فانظر رحمك الله إلى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الأمة وتصريحه أن المنافق يصير مرتدا بذلك وهذا في المعين إذ لايتصور أن تحرم إلا ذبيحة معين . وقال أيضا في الكتاب المذكور وكانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة اللات والعزى ومناة ، وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب فكانت اللات لأهل الطائف وذكروا أنه في الأصل كان رجلا صالحا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره . وأما العزى فكانت لأهل مكة قريبا من عرفات ، وكانت شجرة يذبحون عندها ويدعون . وأما مناة فكانت لأهل المدينة ، وكانت حذو قيد من ناحية الساحل ، ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه حتى يتبين له تأويل القرآن فلينظر إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال العرب في زمانه وما ذكره الأزرق في أخبار مكة وغيره من العلماء .

ولما كان لأهل الشرك شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمون بها ذات أنواط فقال بعض الناس يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال الله أكبر إنها السنن « لتركبن سنن من كان قبلكم » فأنكر صلى الله عليه وسلم مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه إلى أن قال : فمن ذلك عدة أمكنة بدمشق مثل مسجد يقال له مسجد الكف الذي فيه تمثال كف يقال إنه كف على بن أبي طالب حتى هدم الله ذلك الوثن . وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد ، وفي الحجاز منها مواقع ؛ ثم ذكر كلاما في نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند القبور فقال العلة لما يفضى إليه ذلك من الشرك وذكر ذلك الشافعي وغيره ، وكذلك الأئمة من أصحاب أحمد ومالك كأبي بكر الأثرم عللوا بهذه العلة ، وقد قال تعالى (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولا سواعا، ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيرا ) ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ، ذكر هذا البخاري في صحيحه وأهل التفسير كابن جرير وغيره . ومما يبين صحة هذه العلة أنه لمن يتخذ قبور الأنبياء مساجد ،

ومعلوم أن قبور الأنبياء لا يكون تراها نجسا ، وقال في نفسه « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد » فعلم أن نهيه عن ذلك كنهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فسدت الذريعة لئلا يصلى في هذه الساعة وإن كان المصلى لا يصلى إلا لله ولا يدعو إلا إياه لئلا يفضى ذلك إلى دعائها والصلاة عندها وكلا الأمرين قد وقع ، فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من السكواكب ويدعوها بأنواع الأدعية ، وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام . وصنف فيه بعض المشركين كتابا على مذهب المشركين مثل أبي معشر البلخي وثابت بن قرة وأمثالهما ممن دخل في الشرك وآمن بالجبوت والطاغوت وهم ينتسبون إلى الكتاب كما قال تعالى ( ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ) انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى .

فانظر رحمك الله إلى هذا الإمام الذي نسب عنه من أزاغ قلبه عدم تكفير المعين كيف ذكر عن مثل الفخر الرازي وهو من أكابر أئمة الشافعية ، ومثل أبي معشر وهو من المشهورين المصنفين وغيرها أنهم كفروا وارتدوا عن الإسلام والفخر هو الذي ذكره الشيخ في الرد على المتكلمين لما ذكر تصنيفه الذي ذكر هنا قال وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين وسيأتي كلامه إن شاء الله تعالى ، وتأمل ما ذكر أيضا في اللات والعزى ومناة . وجعله بعينه هذا الذي يفعل بدمشق وغيرها ، وتأمل قوله على حديث ذات أنواط هذا قوله في مجرد مشابهم في اتخاذ شجرة فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه فهل للزائغ بعد هذا متعلق بشئ من هذا كلام الإمام ، وأنا أذكر لفظه الذي احتجوا به على زيغهم . قال رحمه الله أنا من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية إلا إذا علم أنه قد قامت الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى انتهى كلامه .

وهذا صفة كلامه في المسألة في كل موضع وقفنا عليه من كلامه لا يذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الإشكال أن المراد بالتوقيف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة ، وإذا بلغت حكم عليه بما تقضيه تلك المسئلة من تكفير أو تفسيق أو عصيان ، وصرح رضي الله عنه أيضا أن كلامه أيضا في غير المسائل الظاهرة ، فقال



في الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الإسلام كثيراً قال وهذا إذا كان في المقالات الخفية فقد يقال إنه مخطئ ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها ، لكن يصدر هذا منهم في أمور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبين وغيرهم فإن هذا أظهر شعائر الإسلام ، ومثل إيجابه للصلاة الخمس وتعظيم شأنها ، ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين ، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازي يعني الفخر الرازي قال وهذه ردة صريحة ، فتأمل هذا وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة التي يذكرها أعداء الله ، لكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ، على أن الذي نعتقده وندين الله به ونرجو أنه يثبتنا عليه أنه لو غلط أو أجل منه في هذه المسألة وهي مسألة المسلم إذا أشرك بعد بلوغ الحجة أو المسلم الذي يفضل هذا على الموحدين أو يزعم أنه على حق أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذي بينه الله ورسوله وبينه علماء الأمة أنا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله ولو غلط من غلط ، فكيف والحمد لله ونحن لانعلم عن واحد من العلماء خلافاً في هذه المسألة ، وإنما يلجأ من شاق فيها إلى حجة فرعون (فما بال القرون الأولى) أو حجة قريش (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق . أنزل عليه الذكر من بيننا) .

وقال الشيخ رحمه الله في الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين ، وأمره صلى الله عليه وسلم بقتالهم . قال فإذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حق أمر صلى الله عليه وسلم بقتالهم ، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام ، وذلك بأسباب منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الآية ، وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقتلهم فيها واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق ، وهو قول أكثر الصحابة وقصتهم معروفة عند العلماء ، وكذلك الغلو في بعض المشايخ بل الغلو

في طي بن أبي طالب ، بل الغلو في المسيح ونحوه ؛ فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول ياسيدي فلان انصرني أو أغثنى أو ارزقني أو اجبرني وأنا في حسبك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه إله آخر ( والذين يدعون مع الله إلها آخر ) مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون ( مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى — ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ) فبعث الله رسوله ينهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولادعاء استغاثة . وقال تعالى ( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يمكن كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ) الآية . قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة ثم ذكر رحمه الله آيات ، ثم قال عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين وهي أصل التوحيد الذي بعث به الرسل وأنزل الكتب قال تعالى ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) وقال ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) . وكان صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل « ماشاء الله وشئت قال أ جعلتني لله ندا ؟ بل ماشاء الله وحده » ونهى عن الحلف بغير الله ، وقال « من حلف بغير الله فقد أشرك » ، وقال في مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر مما فعلوا ، وقال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد » وقال « لا تتخذوا قبري عيدا ، ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا علىّ حينما كنتم فإن صلاتكم تباغنى » ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء مسجد على القبور ولا الصلاة عندها ، وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور ، ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق ، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملا إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما قال تعالى ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ) .

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه ؛ فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ( الله لا إله إلا هو الحي القيوم ) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة » والإله هو الذي يأله القلب عبادة له واستغاثة له ورجاء له وخشية وإجلالا انتهى كلامه . فتأمل أول الكلام وآخره فيمن دعا نبيا أو وليا مثل أن يقول : ياسيدي فلان أغثنى ونحوه أنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل هل يكون هذا إلا في المعين والله المستعان . وتأمل كلامه في اللات والعزى ومناة وما ذكر بعده يتبين لك الأمر إن شاء الله تعالى ، وقال ابن القيم رحمه الله في شرح المنازل في باب التوبة : وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله ، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبتهم لله ويغضبون لمتنقص معبودهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر وإن استوحش لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده وهكذا كان عباد الأصنام سواء ، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأوائك كانت آلهتهم من الحجر وغيرها اتخذها من البشر قال الله تعالى حاكيا عن أسلاف هؤلاء (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ) . فهذا حال من اتخذ من دونه وليا يزعم أنه يقربه إلى الله تعالى ، وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادى من أنكره ، والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وأسلافهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك ، وقد أنكر الله ذلك عليهم في كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له ، ثم ذكر الشيخ رحمه الله فصلا طويلا في تقرير هذا الشرك الأكبر ، ولكن تأمل قوله : وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادى من أنكره يبين لك بطلان الشبهة التي أدلى بها الملحدون ، وزعم أن كلام الشيخ في هذا الفصل أعنى الفصل الأول في الشرك الأكبر على الآية التي في سورة سبأ ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ) وتكلم عليها ، ثم قال والقرآن مملوء من أمثالها ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول

الواقع تحته ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، كما قال عمر بن الخطاب : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشئ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية . وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وما ذمه وقع فيه وأفره . وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية فتنتقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ، ومفارقة الأهواء والبدع . ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا، والله المستعان .

## فصل

وأما الشرك الأصغر فليسير الرياء والхلف بغير الله وقول هذا من الله ومنك وأنا بالله وبك مالى إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله وقصده . ثم قال الشيخ رحمه الله بعد ما ذكر الشرك الأكبر والأصغر: ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ. ومن أنواعه التوبة للشيخ فإنها شرك عظيم . ومن أنواعه النذر لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره والتوكل على غير الله والعمل لغير الله والإنابة والخضوع والذل لغير الله وإضافة نعمه لغيره . ومن أنواعه طلب الحوائج من عند الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عما استغاث به أو سأل أنه يشفع إلى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، فإن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، والله لم يجعل سؤال غيره سببا لإذنه ، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد ؛ فجاء هذا الشرك بسبب يمنع الإذن والميت محتاج إلى من يدعو له كما أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ، ونسأل الله لهم العافية والمغفرة فمكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى تنقص الأموات . وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بدمهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم



راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم ، والله در خليه إبراهيم حيث يقول ( واجنبني وبنّي أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ) وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلى الله انتهى كلامه .

والمراد من هذا أن بعض الملحدين نسب إلى الشيخ أن هذا شرك أصغر وشبهته أنه ذكره في الفصل الثاني الذي ذكر في أوله الأصغر ، وأنت رحمك الله تجد الكلام من أوله إلى آخره في الفصل الأول والثاني صريحا لا يحتمل التأويل من وجوه كثيرة أن دعاء الموتى والنذر لهم ليسفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر الذي بعث عليه النبي صلى الله عليه وسلم فكفر من لم يتب منه وقاتله وعاداه ، وآخر ما صرح به قوله آتقا وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين إلى آخره ؛ فتأمل أن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل هذا الشرك فإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله . وقد ذكر في الإقناع عن الشيخ تقي الدين أن من دعا على بن أبي طالب فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر ، فإذا كان هذا حال من شك في كفره مع عداوته له ومقتته له فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده فكيف بمن أحبه فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته ؟ وتعذر أنا لا نقدر على التجارة وطلب الرزق إلا بذلك وقد قال تعالى ( وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ) ، فإذا كان هذا قول الله تعالى فيمن تعذر عن التبیین في العمل ومعاداة المشركين بالخوف على أهله وعياله فكيف بمن اعتذر في ذلك بتحصيل التجارة ، ولكن الأمر كما تقدم عن عمر إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية فلهذا لم يفهم به معنى القرآن وأنه أشرف وأفسد من الدين قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ، ومع هذا فكلام هؤلاء الكفار نفاق وإلا فهم يعتقدون أن أهل التوحيد ضالون مضلون وأن عبدة الأوثان أهل الحق والصواب كما صرح به إمامهم في الرسالة التي أتتكم قبل هذه خطه بيده ، ويقول بيني وبينكم أهل هذه الأقطار وهم خير أمة أخرجت للناس وهم كذا وكذا ؛ فإذا كان يريد التحاكم إليهم ويصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس فكيف يصفهم أيضا بالشرك ومخالطتهم للحاجة ، وما أحسن قول أصدق القائلين ( والسما ذات الحبك إنكم لنفي قول مختلف . يؤفك عنه من أفك - بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر

( مريج ) فرحم الله امرأً نظر لنفسه وتفكر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله بمعادة من أشرك بالله من قريب أو بعيد وتكفيرهم وقتالهم حتى يكون الدين كله لله وعلم بما حكم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن أشرك بالله مع ادعائه للإسلام وما حكم به في ذلك الخلفاء الراشدون كعلي بن أبي طالب وغيره لما حرقهم بالنار مع أن غيرهم من أهل الأوثان الذين لم يدخلوا في الإسلام لا يقتلون بالتحريق والله الموفق . وقال أبو العباس بن تيمية في الرد على المتكلمين لما ذكر أحوال بعض أئمتهم قال وكل شرك في العالم إنما حدث برأى جنسهم فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له ، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه بل يقر هؤلاء وهؤلاء وإن رجح الموحدين ترجيحاً فقد يرجح غيره المشركين ، وقد يعرض عن الأمرين جميعاً ، فتدبر هذا فإنه نافع جداً ولهذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمررون بالشرك ، وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد بل يسوّغون الشرك أو يأمررون أو لا يوجبون التوحيد ، وقد رأيت من مصنفاتهم في عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارقة أنفس الأنبياء وغيرهم ما هو أصل الشرك وهم إذا ادّعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له وهذا شيء لا يعرفونه ، فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة بل لا بد أن يعبد الله ويتخذة إلهاً دون ما سواه ، وهو معنى قوله لا إله إلا الله انتهى كلام الشيخ ؛ فتأمل رحمك الله هذا الكلام فإنه مثل ما قال الشيخ فيه نافع جداً ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبين لك حال من أقر بهذا الدين وشهد أنه الحق وأن الشرك هو الباطل ، وقال بلسانه ما أريد منه ولكنه لا يدين بذلك إما بغضاله أو عدم محبته كما هو حال المنافقين الذين هم بين أظهرنا ، وإما إشاراً لدنيا مثل تجارة وغيرها فيدخلون في الإسلام ثم يخرجون منه كما قال الله تعالى ( ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ) الآية ، وقال ( من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ) وقوله ( ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ) . فإذا قال هؤلاء بالسنتهم نشهد أن هذا دين الله ورسوله ونشهد أن المخالف له باطل وأنه الشرك بالله غر هذا الكلام ضعيف البصيرة ، وأعظم من هذا وأطم أن أهل حريملا ومن وراءهم

يصرحون بمسبة الدين وأن الحق ما عليه أكثر الناس ويستدلون بالكثرة على حسن ما هم عليه من الدين ويفعلون ويقولون ما هو من أكبر الردة وأخسها فإذا قالوا التوحيد حق والشرك باطل وأيضا لم يحدثوا في بلدهم أو ثانا جادل الملحد عنهم وقال إنهم يقولون أن هذا شرك وأن التوحيد هو الحق ولا يضرهم عنده ما هم عليه من السب لدين الله وبغى العوج له ومدح الشرك وذبحهم دونه بالمال واليد واللسان والله المستعان . وقال أبو العباس أيضا في الكلام على كفر مانع الزكاة والصحابة لا يقولون هل أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة بل قال الصديق لعمر رضى الله عنهما : والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، فجعل المسيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب ، وقد روى أن طوائف كانوا يقولون بالوجوب لكن بخلوا بها ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة وهى قتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم والشهادة على قتلاهم بالنار وسموهم جميعهم أهل الردة وكان من أعظم فضائل الصديق عندهم أن ثبته الله عند قتالهم ولم يتوقف كما توقف غيره فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله . وأما قتال المقرين بنبوة مسيئة فهو لاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم انتهى ، فتأمل كلامه في تكفير المعين والشهادة عليه إذا قتل بالنار وسبي حريمه وأولاده عند منع الزكاة فهذا الذى ينسبون عنه أعداء الدين عدم تكفير المعين . قال رحمه الله بعد ذلك وكفر هؤلاء وإدخالهم في أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة انتهى كلامه . ومن أعظم ما يجلو الإشكال في مسألة التكفير والقتال عند من قصده اتباع الحق إجماع الصحابة على قتال مانع الزكاة وإدخالهم في أهل الردة وسبي ذراريهم وفعلهم فيهم ما صح عنهم ، وهو أول قتال وقع في الإسلام على من ادعى أنه من المسلمين ، فهذه أول واقعة وقعت في الإسلام على هذا النوع أعنى المدعين للإسلام وهى أوضح الواقعات التى وقعت من العلماء عليهم من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا وقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل لما صعبت التكليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندى كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بى كذا وكذا وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى كلامه ؛

والمراد منه قوله وهم عندي كفار بهذه الأوضاع . وقال أيضا لقد عظم الله الحيوان لاسيما ابن آدم حيث أباحه الشرك عند الإكراه ، فمن قدم حرمة نفسك على حرمة حق أباحك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه لحقيق أن تعظم شعائره ، وتوقر أوامره وزواجره ، وعصم عرضك بإيجاب الحد بقذفك ، وعصم مالك بقطع يد مسلم في سرقة ، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك ، وأقام مسح الحف مقام مسح الرجل إشفاقا عليك من مشقة الخلع واللبس ، وأباحك الميتة سدا لرمقك وحفظا لصحتك ، وزجرك عن مضارك بمحذاجل ووعيد آجل وخرق العوائد لأجلك ، وأنزل الكتب إليك ، أيحسن بك مع هذا الإكرام أن ترى على مانهاك منهمكا وعمما أمرك مرتكبها ، وعن داعيه معرضا ولداعى عدوك فيه مطيعا ، يعظمك وهو هو وتهمل أمره وأنت أنت هو حظ رتب عباده لأجلك ، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجدها لك ! هل عادت خادما طالت خدمته لك لترك صلاة ؟ هل نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهى ؟ فإن لم تعترف اعترف العبيد للدوالي فلا أقل أن تقتضى نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المكافى المساوى ، وما أوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان بينما أن يكون بحضرة الحق ، وملائكة السماء سجودا له تتراعى به الأحوال والجهالات إلى أن يوجد ساجدا لصورة في حجر أو لشجرة من الشجر أو لشمس أو لقمر أو لصورة ثور خائر أو لطائر صفر ! ما أوحش زوال النعم وتغير الأحوال والخور بعد الكور ، لا يليق بهذا الحى الكريم الفاضل على جميع الحيوانات أن لا يرى إلا عابدا لله في دار التكليف أو مجازى لله في دار الجزاء والتشريف وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير موضعها انتهى كلامه .

والمراد أنه جعل أقبح حال وأخشها من أحوال الإنسان أن يشرك بالله ، ومثله بأنواع : منها السجود لشمس أو لقمر ، ومنها السجود لصورة كما يسجد للصور التى فى القباب على القبور . والسجود قد يكون بالجهة على الأرض ، وقد يكون بالانحناء من غير وصول إلى الأرض كما فسر به قوله تعالى (ادخلوا الباب سجدا) قال ابن عباس أى ركعا . وقال ابن القيم فى إغاثة اللهفان فى إنكار تعظيم القبور ، وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلى أن صنف بعض غلاتهم فى ذلك كتابا سماه مناسك المشاهد ، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول فى عبادة الأصنام ، وهذا الذى ذكره



ابن القيم رجل من المصنفين يقال له ابن المفيد فقد رأيت ما قال فيه بعينه فكيف ينكر تكفير المعين . وأما كلام أتباع سائر الأئمة في التكفير فنذكر منه قليلا من كثير . أما كلام الحنفية فكلامهم في هذا من أغلط الكلام حتى إنهم يكفرون المعين إذا قال مصيحف أو مسيجد أو صلى صلاة بلا وضوء ونحو ذلك ، وقال في النهر الفائق : واعلم أن الشيخ قاسما قال في شرح درر البحار إن النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصالحاء قائلا ياسيدي فلان إن ردغائي أوعوفي مريض فلك من الذهب والفضة أو الشمع أو الزيت كذا باطل إجماعا لوجوه إلى أن قال : ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر ، واعتقاد هذا كفر إلى أن قال : وقد ابتلى الناس بذلك ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي انتهى كلامه . فانظر إلى تصريحه أن هذا كفر مع قوله إنه يقع من أكثر العوام . وأن أهل العلم قد ابتلوا بما لا قدرة لهم على إزالته . وقال القرطبي رحمه الله لما ذكر سماع الفقراء وصورته قال هذا حرام بالإجماع ، وقد رأيت فتوى شيخ الإسلام جمال الملة أن مستحل هذا كافر ، ولما علم أن حرمة بالإجماع لزم أن يكفر مستحله ، فقد رأيت كلام القرطبي وكلام الشيخ الذي نقل عنه في كفر من استحل السماع مع كونه دون مانحن فيه بالإجماع بكثير كثير . وقال أبو العباس رحمه الله : حدثني الحضيرى عن والده الشيخ الحضيرى إمام الحنفية في زمانه . قال : كان فقهاء بخارى يقولون في ابن سينا كان كافرا ذكيا ، فهذا إمام الحنفية في زمنه حكى عن فقهاء بخارى أنهم يقولون في ابن سينا وهو رجل معين مصنف يتظاهر بالإسلام . وأما كلام المالكية في هذا فهو أكثر من أن يحصر ، وقد اشتهر عن فقهاءهم سرعة الفتوى والقضاء بقتل الرجل عند الكلمة التي لا يظن لها أكثر الناس ، وقد ذكر القاضي عياض في آخر كتاب الشفاء من ذلك طرفا . ومما ذكروا أن من حلف بغير الله على وجه التعظيم كفر ، وكل هذا دون مانحن فيه بما لانسبة بينه وبينه . وأما الشافعية فقال صاحب الروض رحمه الله : إن المسلم إذا ذبح للنبي صلى الله عليه وسلم كفر ، وقال أيضا من شك في كفر طائفة ابن عربى فهو كافر وكل هذا دون مانحن فيه ، وقال ابن حجر في شرح الأربعين في الكلام على حديث ابن عباس «إذا سألت فاسأل الله» مامعناه أنه من دعا غير الله فهو كافر، وصنف في هذا النوع كتابا مستقلا سماه [الإعلام بقواطع الإسلام] ذكر فيه أنواعا كثيرة من الأقوال ( ٣ - تاريخ نجد - ثان )

والأعمال كل واحد منها ذكر أنه يخرج من الإسلام ويكفر به المعلن وغالبها لا يساوى عشر معشار ما نحن فيه . وتعمم الكلام في هذا أن يقال الكلام هنا في مسألتين : الأولى أن يقال هذا الذى يفعله كثير من العوام عند قبور الصالحين ومع كثير من الأخبار والأموات والجن من التوجه إليهم ودعائهم لكشف الضر والنذر لهم لأجل ذلك هل هو الشرك الأكبر الذى فعله قوم نوح ومن بعدهم إلى أن انتهى الأمر إلى قوم خاتم الرسل قريش وغيرهم فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ينكر عليهم ذلك ويكفرهم ويأمر بقتالهم حتى يكون الدين كله لله ؟ أم هذا شرك أصغر وشرك المتقدمين نوع غير هذا ؟ فاعلم أن الكلام في هذه المسألة سهل على من يسره الله عليه بسبب أن علماء المشركين اليوم يقرون أنه الشرك الأكبر ولا ينكرونه إلا ما كان من مسيلة الكذاب وأصحابه كابن إسماعيل وابن خالد مع تناقضهم في ذلك واضطرابهم فأكثر أحوالهم يقرون أنه الشرك الأكبر ، ولكن يعتذرون أن أهله لم تبلغهم الدعوة ، وتارة يقولون لا يكفر إلا من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وتارة يقولون إنه شرك أصغر وينسبونه إلى ابن القيم في المدارج كما تقدم ، وتارة لا يذكرون شيئاً من ذلك بل يعظمون أهله وطريقتهم في الجملة وأنهم خير أمة أخرجت للناس وأنهم العلماء الذين يجب رد الأمر عند التنازع إليهم وغير ذلك من الأقاويل المضطربة ، وجواب هؤلاء كثير في الكتاب والسنة والاجماع ، ومن أصرح ما يجابون به بإقرارهم في غالب الأوقات أن هذا هو الشرك الأكبر ، وأيضاً بإقرار غيرهم من علماء الأقطار مع أن أكثرهم قد دخل في الشرك وجاهد أهل التوحيد لكن لم يجد بداً من الإقرار به لوضوحه . المسألة الثانية الإقرار بأن هذا هو الشرك الأكبر لكن لا يكفر به إلا من أنكر الإسلام جملة ، وكذب الرسول والقرآن واتبع يهودية أو نصرانية أو غيرها ، وهذا هو الذى يجادل به أهل الشرك والعناد في هذه الأوقات وإلا المسألة الأولى قل الجدال فيها والله الحمد لما وقع من إقرار علماء الشرك بها .

فاعلم أن تصوّر هذه المسألة تصوراً حسناً يكفى في إبطاله من غير دليل خاص لوجهين : الأول أن مقتضى قولهم إن الشرك بالله وعبادة الأصنام لا تأثير لها في التكفير لأن الإنسان إن انتقل عن الملة إلى غيرها ، وكذب الرسول والقرآن فهو كافر وإن لم يعبد الأوثان كاليهود . فإذا كان من انتسب إلى الإسلام لا يكفر إذا

أشرك الشريك الأكبر لأنه مسلم يقول لا إله إلا الله ويصلي ويفعل كذا وكذا لم يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثير بل يكون ذلك كالسواد في الحلقة والعمى والعرج وإن كان صاحبها يدعى الإسلام فهو مسلم وإن ادعى ملة غيرها فهو كافر وهذه فضيحة عظيمة كافية في رد هذا القول الفظيع. الوجه الثاني: أن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم في الشرك وعبادة الأوثان بعد بلوغ العلم كفر صريح بالفطر والعقول والعلوم الضرورية، فلا يتصور أنك تقول لرجل ولو من أجهل الناس وأبلداهم ماتقول فيمن عصى الرسول ولم ينقله في ترك عبادة الأوثان والشرك مع أنه يدعى أنه مسلم متبع إلا ويبادر بحسب الفطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كافر من غير نظر في الأدلة أو سؤال أحد من العلماء، ولكن لغلبة الجهل وغرابة العلم وكثرة من يتكلم بهذه المسألة من الملحدين اشتبه الأمر فيها على بعض العوام من المسلمين الذين يحبون الحق، فلا تحقرها وأمعن النظر في الأدلة التفصيلية لعل الله أن يمن عليك بالإيمان الثابت ويجعلك أيضا من الذين يهدون بأمره. ومن أحسن ما يزيل الإشكال فيها ويزيد المؤمن يقينا ماجرى من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والعلماء بعدهم فيمن انتسب إلى الإسلام كما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث البراء ومعه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله، ومثل همه بغزو بني المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة، ومثل قتال الصديق وأصحابه لما نعى الزكاة وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين، ومثل إجماع الصحابة في زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه إن لم يتوبوا لما فهموا من قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) حل الحمر لبعض الخواص، ومثل إجماع الصحابة رضي الله عنهم في زمن عثمان رضي الله عنه على تكفير أهل المسجد الذين ذكروا كلمة في نبوة مسيلة مع أنهم لم يتبعوه وإنما اختلف الصحابة في قبول توبتهم، ومثل تحريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه أصحابه لما غلوا فيه، ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبي عبيد ومن اتبعه مع أنه يدعى أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت، ومثل إجماع التابعين ومن بعدهم على قتل الجعد بن درهم وهو مشتهر بالعلم والدين وهلم جرا من وقائع لاتعد ولا تحصى، ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبي بكر الصديق وغيره كيف تقاتل بني حنيفة وهم يقولون لا إله إلا الله ويصلون ويذكرون، وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لو لم يتوبوا وهلم جرا إلى زمن

بنى عبید الدین ملکوا المغرب ومصر والشام وغيرها مع تظاهرها بالإسلام وصلاة الجمعة والجماعة ونصب القضاة والمفتين لما أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا ولم يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم ولم يتوقف فيه وهم في زمن ابن الجوزي ، وصنف ابن الجوزي كتابا لما أخذت مصر منهم سماه النصر على مصر ولم يسمع أحد من الأولين والآخرين أن أحداً أنكر شيئا من ذلك أو استشكله لأجل ادعائهم الملة أو لأجل قول لا إله إلا الله أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام إلا ما سمعنا من هؤلاء الملاحين في هذه الأزمان من إقرارهم أن هذا هو الشرك ، ولكن من فعله أو حسنه أو كان من أهله أو ذم التوحيد أو حارب أهله لأجله أو أبغضهم لأجله أنه لا يكفر لأنه يقول لا إله إلا الله أو لأنه يؤدي أركان الإسلام الخمسة ، ويستدلون بأن النبي صلى الله عليه وسلم سماها الإسلام هذا لم يسمع قط إلا من هؤلاء الملحدين الجاهلين الظالمين ، فإن ظفروا بحرف واحد من أهل العلم أو أحد منهم يستدلون به على قولهم الفاحش الأحمق فليذكره ، ولكن الأمر كما قال النبي في قصيدته :

أحاديث لاتعزى إلى عالم فلا تساوى فلسا إن رجعت إلى النقد

ولنختم الكلام في هذا النوع بما ذكره البخاري في صحيحه حيث قال باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان ، ثم ذكر بإسناده قوله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تضطرب البيات نساء دوس حول ذى الخلصة » وذو الخلصة صنم لدوس يعبدونه فقال صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله « ألا تريحنى من ذى الخلصة ، فركب إليه بمن معه فأحرقه وهدمه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فبرك على خيل أحمرس ورجالها خمساً » وعادة البخاري رحمه الله إذا لم يكن الحديث على شرطه ذكره في الترجمة ثم أتى بما يدل على معناه مما هو على شرطه ولفظ الترجمة وهو قوله يتغير الزمان حتى تعبد الأوثان لفظ حديث أخرجه غيره من الأئمة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ولنذكر من كلام الله ورسوله وكلام أئمة العلم جملا في جهاد القلب واللسان ومعاداة أعداء الله وموالاته أوليائه ، وأن الدين لا يصح ولا يدخل الإنسان فيه إلا بذلك فنقول :

## باب وجوب عداوة أعداء الله

من الكفار المرتدين والمنافقين

وقول الله تعالى ( وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم ) وقول الله تعالى ( ومن يتولهم منكم فإنه منهم ) وقوله ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أوياء ) إلى قوله ( كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ) الآية وقوله ( لا تجدد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ) .

قال الإمام الحافظ محمد بن وضاح : أخبرنا غير واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات : اعلم يا أخى أن ما حماني على الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة وعيبك لأهل البدعة وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم ، فقمهم الله بك وشد بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم بإظهار عيبتهم والطعن عليهم ، فأذلهم الله بك وصاروا يبدعهم مستترين ، فأبشر أى أخى بثواب ذلك واعتدّ به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد ، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحيأ شيئاً من سنتي كنت أنا وهو كهاتين في الجنة وضم بين أصبعيه » . وقال « أيعا داع دعا إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة » فمضى يدرك هذا أجر شىء من عمله ، وذكر أيضاً « إن لله عند كل بدعة كيد بها أهل الإسلام وليا لله يذب عنها وينطق بعلامتها » فاغتنم يا أخى هذا الفضل وكن من أهله فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من كذا وكذا » وعظم القول فيه ، فاغتنم ذلك وادع إلى السنة حتى يكون لك بذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك إن حدث بك حدث فيكونون أمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة كما جاء في الأثر ، فاعمل على بصيرة ونية وحسبة فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر ، فتكون خلفاً من نبيك صلى الله عليه وسلم ، فإنك إن تلقى الله بعمل شبهه . وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب



فإنه جاء الأثر «من جالس صاحب بدعة نزعته منه العصمة ووكّل إلى نفسه ، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى في هدم الإسلام» وجاء «مامن إله يعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى» وقد وقعت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل البدع وأن الله لا يقبل منهم صرفا ولا عدلا ولا فريضة ولا تطوعا ، وكما ازدادوا اجتهدا وصوما وصلاة ازدادوا من الله بعدا ؛ فرفض مجالسهم وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى من بعده انتهى .

واعلم رحمك الله أن كلامه وما يأتي من كلام أمثاله من السلف في معاداة أهل البدع والضلال ضلالة لا تخرج من الملة لكنهم شددوا في ذلك وحذروا منه لأمرين : الأول غلظ البدعة في الدين في نفسها ، فهي عندهم أجلّ من الكبار يعاملون أهلها كما يعاملون به أهل الكبار كما تجد قلوب الناس اليوم أن الروافض عندهم ولو كان عالما أو عابداً أبغض وأشد من السنّي المجاهر بالكبار . الأمر الثاني أن البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع . فمثال البدعة التي شددوا فيها مثال تشديد النبي صلى الله عليه وسلم على من عبد الله عند قبر رجل صالح مما وقع من الشرك الصريح الذي يصير المسلم مرتدا ، فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام في الردة ومجاهدة أهلها أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهله وهذا هو الذي نزلت فيه الآيات المحكمات مثل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه) الآية وقوله (يا أيها النبي جاهد الكفار) الآية . وقال ابن وضاح في كتاب البدع والحوادث بعد حديث ذكره أنه سيقع في هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلالة لا يحل فيها السب والأموال وهذا الذي نحن فيه فتنة ضلالة لا يحل فيها السب ولا الأموال انتهى كلامه .

وقال رحمه الله أيضا : أخبرنا رجل عن ابن المبارك قال : قال ابن مسعود «إن الله عند كل بدعة كيد بها أهل الإسلام وليا من أوليائه يذب عنها وينطق بعلامتها فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله» . قال ابن المبارك (وكفى بالله وكيفا) . ثم ذكر بأسناده عن بعض السلف قال «لئن أرد رجال عن رأي سيء أحب إلى من اعتكاف شهر» . أخبرنا أسد عن أبي إسحاق الحذّاء عن الأوزاعي قال كان بعض أهل العلم يقول : لا يقبل الله من ذى بدعة صلاة ولا صياما ولا صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صرفا ولا عدلا ، وكانت أسلافكم تشتد عليهم أسنتهم وتشمئز منهم قلوبهم ويحذرون الناس

بدعتهم ، قال ولو كانوا مستترين يبدعتهم دون الناس ، ما كان لأحد أن يهتك عنهم سترا ولا يظهر منهم عورة الله أولى بالأخذ بها أو بالتوبة عليها . وأما إذا جهرُوا فنشر العلم حياة والبلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة يعتصم بها على مصر بالحاده ثم روى بإسناده قال : جاء رجل إلى حذيفة وأبو موسى الأشعري قاعد فقال : أرايت رجلا قاعدا حتى ضرب بسيفه غضبا لله حتى قتل أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال أبو موسى في الجنة ، فقال حذيفة استفهم الرجل وأفهمه ما تقول حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، فلما كان في الثالثة قال والله لانستفهمه فدعاه حذيفة فقال : رويدك إن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتل عليه فهو في الجنة وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله فهو في النار ، ثم قال : والذي نفسي بيده ليدخلن النار مثل الذي سئلت عنه أكثر من كذا وكذا ثم ذكر بإسناده عن الحسن قال : لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك ، ثم ذكر بإسناده عن سفيان الثوري قال : من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث : إما أن يكون فتنة لغيره ، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله النار ، وإما أن يقول والله ما أبالي ماتكموه وإني واثق بنفسى ، فمن آمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه . ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال : من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام . أخبرنا أسد قال أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب قال : قال أبو قلابة : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإنى لآمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون . قال أيوب وكان والله من الفقهاء ذوى الألباب : أخبرنا أسد عن محمد بن طلحة قال : قال إبراهيم : لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فإنى أخاف عليكم أن ترد قلوبكم ، أخبرنا أسعد بالإسناد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » أخبرنا أسد أخبرنا مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : دخل على محمد بن سيرين يوما رجل فقال : يا أبا بكر أقرأ عليك آية من كتاب الله لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج فوضع إصبعيه في أذنيه ثم قال : أخرج عليك إن كنت مسلما لما خرجت من بيتى ، قال . فقال يا أبا بكر إني لا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج قال : فقال بإزاره يشده عليه وتميها للقيام فأقبلنا على الرجل فقلنا قد حرج عليك إلا خرجت ، أفيجل لك أن تخرج رجلا من بيتي ؟ قال فخرج فقلنا يا أبا بكر

ما عليك لو قرأ آية ثم خرج ؟ قال إني والله لو ظننت أن قلبي يثبت على ما هو عليه ما باليت أن يقرأ ولكنني خفت أن يلقي في قلبي شيئاً أجهد أن أخرج من قلبي فلا أستطيع . أخبرنا أسد قال أخبرني حمزة عن سودة قال : سمعت عبد الله ابن القاسم وهو يقول : ما كان عبد على هوى فتركه إلا إلى ما هو أشد منه قال فذكرت هذا لبعض أصحابنا ، فقال تصديقه في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه » . أخبرنا أسد قال أخبرني موسى بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : كان رجل يرى رأياً فرجع عنه فأتيت محمداً فرحاً بذلك أخبره فقال أشعرت أن فلانا ترك رأيه الذي كان يرى ؟ فقال انظروا إلى ماذا يتحول إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله يمرقون من الإسلام لا يعودون إليه . ثم روى بإسناده عن حذيفة أنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال إن الدين قد استضاء استضاءة هذه ثم أخذ كفاً من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال : والذي نفسي بيده ليجيئن أقوام يدفنون هذا الدين كما دفنت هذه الحصاة . أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن أبي الدرداء قال : لو خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم اليوم ما عرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة . قال الأوزاعي فكيف كان اليوم قال عيسى يعنى الراوى عن الأوزاعي فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان . أخبرنا محمد ابن سليمان بإسناده عن علي قال « تعلموا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله فإنه سيأتي بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم » . أخبرنا يحيى بن يحيى بإسناده عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال : ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة . حدثني إبراهيم بن محمد بإسناده عن أنس قال : ما أعرف منكم شيئاً كنت أعهد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس قولكم لا إله إلا الله . أخبرنا أسد بإسناده عن الحسن قال : لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ، ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً قال ووضع يده على خده ثم قال إلا هذه الصلاة ثم قال : أما والله لمن عاش في هذه النكر أو لم يدرك هذا السلف الصالح فرأى مبتدعاً يدعو إلى بدعته ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله من ذلك وجعل قلبه يحن إلى ذكر هذا السلف الصالح يسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم ليعوض أجراً عظيماً فكذلك فكونوا إن شاء الله . حدثني عبد الله بن محمد بإسناده

عن ميمون بن مهران قال : لو أن رجلا نشر فيكم من السلف ما عرف فيكم غير هذه القبلة . أخبرنا محمد بن قدامة بإسناده عن أم الدرداء قالت : دخل عليّ أبو الدرداء مغضبا فقلت له ما أغضبك؟ فقال والله ما أعرف فيهم من أمر محمد شيئا إلا أنهم يصلون جميعا ، وفي لفظ : لو أن رجلا يعلم الإسلام وأهمه ثم تفقده ما عرف منه شيئا . حدثني إبراهيم بإسناده عن عبد الله بن عمرو قال : لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خليا بمصحفهما في بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئا مما كانا عليه . قال مالك وبلغني أن أبا هريرة تلا قوله تعالى ( إذا جاء نصر الله والفتح ) فقال والذي نفسي بيده إن الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا . قف وتأمل رحمك الله إذا كان هذا في زمن التابعين بحضرة أواخر الصحابة فكيف يغرّ المسلم الكثرة أو تشكل عليه ولا يستدل بها على الباطل . ثم روى ابن وضاح بإسناده عن أبي أمية قال أتيت أبا ثعلبة الحشني فقلت يا أبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الآية ؟ قال أية آية ؟ قلت قول الله تعالى ( لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ) قال أما والله لقد سألت بها خيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحام مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعليك بنفسك ودع أمر العوام فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله ، قيل يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال أجر خمسين منكم » . ثم روى بإسناده عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « طوبى للغرباء ثلاثا قالوا يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال أناس صالحون قليل في ناس سوء كثير من يبغيضهم أكثر ممن يحبهم » . أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن المعافري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى للغرباء الذين يمسكون بكتاب الله حين يترك ويعملون بالسنة حين تطفأ » . أخبرنا أسد عن سالم بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بدأ الإسلام غريبا ولا تقوم الساعة حتى يكون غريبا فطوبى للغرباء حين يفسد الناس ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس » . أخبرنا أسد بإسناده عن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ، فقل وما الغرباء يا رسول الله؟ قال الذين يصلحون عند فساد الناس » .

هذا آخر ما نقلته من كتاب الحوادث والبدع للإمام الحافظ محمد بن وضاح رحمه الله تعالى . قال المؤلف : وتأمل رحمك الله تعالى أحاديث الغربة وبعضها في الصحيح مع كثرتها وشهرتها ، وتأمل إجماع العلماء كلهم أن هذا قد وقع من زمن طويل حتى قال ابن القيم : الإسلام في زماننا أغرب منه في أول ظهوره ، فتأمل هذا تأملاً جيداً لعلك أن تسلم من الهوة الكبيرة التي هلك فيها أكثر الناس وهي الاقتداء بالأكثر والسواد الأكبر والنفرة من الأقل فما أقل من سلم منها ، ما أقله ما أقله ! ولنختم ذلك بالحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبي بعثه الله تعالى في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره » وفي رواية « يهتدون بهديه ويستنون بسنته ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم يده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » انتهى ما نقلته والحمد لله رب العالمين .

وقد رأيت للشيخ تقي الدين رسالة كتبها وهو في السجن إلى بعض إخوانه لما أرسلوا إليه يشيرون عليه بالرفق بخصومه ليتخلص من السجن أحببت أن أنقل أولها لعظيم منفعتها قال : الحمد لله نستعينه ونستعديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً صلى الله عليه وسلم تسليماً .

أما بعد : فقد وصلت الورقة التي فيها رسالة الشيخين الجليلين العالمين الناسكين القدوتين أيدهما الله وسائر الإخوان بروح منه وكتب في قلوبهم الإيمان وأدخلهم مدخل صدق وأخرجهم مخرج صدق وجعل لهم من لدنه ما يتم به من السلطان سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان وسلطان القدرة والنصرة باللسان والأعوان وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه الغالبين لمن ناوأهم من الأقران ومن أئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والإيقان والله محقق ذلك ومنجز وعده في السر والإعلان ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن لكن على ما اقتضت ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان الذي يميز الله به أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان إذ قد



دل على أن لابد من الفتنة لكل من ادعى الإيمان والعقوبة لدوى السيئات والطغيان فقال تعالى ( ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ؟ ساء ما يحكمون ) فأنكر سبحانه على من يظن أن أهل السيئات يفوتون الطالب الغالب ، أو أن مدعى الإيمان يترك بلافطنة تميز بين الصادق والكاذب ، وأخبر في كتابه أن الصدق في الإيمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيله فقال تعالى ( قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ) وقوله ( إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ) وأخبر سبحانه بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة التي يعبد الله فيها على حرف وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر من هو عليه بل لا يثبت على الإيمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا ، فقال تعالى ( ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ) الآية ، وقد قال تعالى ( أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين - ونبلوا أخباركم ) وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين لابد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين فقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ) الآية ، وهؤلاء الشاكرون لنعمة الإيمان الصابرون على الامتحان كما قال تعالى ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ) فإذا أنعم الله على الإنسان بالصبر والشكر كان جميع ما يقضى له من القضاء خيرا له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقضى الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له » والصابر الشكور هو المؤمن الذي ذكر الله في غير موضع من كتابه ، ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشرّ حال وكل واحدة من السراء والضراء في حقه تفضى به إلى قبض المال فكيف إذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من محن الأنبياء والصديقين وفيها تثبيت أصول الدين وحفظ الإيمان والقرآن من كيد أهل النفاق والإلحاد والبهتان فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي الكرم وجهه وعز جلاله ، والله المستول أن يثبتكم وسائر المؤمنين في الحياة الدنيا والآخرة ويتم نعمته عليكم الباطنة والظاهرة وينصر دينه

وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين والمنافقين الذين أمرنا بجهادهم والإغلاظ عليهم في كتابه المبين ، انتهى كلام أبي العباس رحمه الله .

ومن جواب له رحمه الله لما سئل عن الحشيشة ما يجب على من يدعى أن أكلها جائز ؟ فقال أكل هذه الحشيشة حرام وهي من أخبث الخبائث المحرمة سواء أكل منها كثيرا أو قليلا لكن الكثير منها المسكر حرام باتفاق المسلمين ، ومن استحل ذلك فهو كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين ، وحكم المرتد شر من حكم اليهود والنصارى سواء اعتقد أن ذلك محل للعامة أو للخاصة الذين يزعمون أنها لقمة الذكر والفكر وأنها تحرك العزم الساكن وتنفع في الطريق ، وكان بعض السلف ظن أن الخمر يباح للخاصة متأولا قوله تعالى ( ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ) فاتفق عمر وعلى وغيرها من علماء الصحابة على أنهم إن أقروا بالتحريم جلدوا وإن أصرروا على الاستحلال قتلوا انتهى ما نقلته من كلام الشيخ ، فتأمل كلام هذا الذي ينسب إليه عدم تكفير المعين إذا جاهر بسب دين الأنبياء وصار مع أهل الشرك ويزعم أنهم على الحق ويأمر بالمصير معهم وينكر على من لا يسب التوحيد ويدخل مع المشركين لأجل انتسابه إلى الإسلام ، انظر كيف كفر المعين ولو كان عابدا باستحلال الحشيشة ولو زعم حلها للخاصة التي تعينهم على الفكرة واستدل بإجماع الصحابة على تكفير قدامة وأصحابه إن لم يتوبوا وكلامه في المعين وكلام الصحابة فكيف بما نحن فيه مما لا يساوى استحلال الحشيشة جزءا من ألف جزء منه ، والحمد لله رب العالمين انتهى .

وفي هذه السنة أيضا جرت وقعة تسمى وقعة الغفيلي وهو رجل في قصر من قصور ظرما فعزم على الردة وصمم عليها قصده فأرسل إلى إبراهيم بن سليمان يخبره بذلك الأمر والشأن ويستنجد به بأن يرسل إليه أعوانا فأرسل إليه بعض الجيش لكي تطمئن نفسه ويسكن ما بها من الطيش فعثر على ما نواه وأراد واطلع على حاله أمير البلاد فأرسل إلى الأمير محمد بن سعود يخبره بالأمر المعقود فجهز الأمير جيشا في ساعته من أهل العينة وأهل الدرعية وغيرها من جماعته وبادروا إلى قصر ظرما بالمسير ليعاجلوا ذلك التدبير وسار معهم محمد بن عبد الله أمير ظرما وغالب

قومه بمد التهيؤ في الحال والاستعداد في القتال ، فلما قارب البلد كمن في زرع الذرة وقعد ، فلما مضى هزيع من الليل سمعوا وقع حوافر الخيل فبدروهم بالحملة وقتلوهم فوراً من غير مهلة ولم يسلك منهم فجع الانهزام إلا من نجابرأس طمرّة ولجام ، وقتل من أهل ثرمدا ممن أقبل منهم واعتدى على سبيل التحقيق لالتخمين قريباً من نحو سبعين وأسر أناساً من الأمائل منهم عبد الكريم بن زامل . ثم دخلت السنة الثامنة والستون . وفيها فتح الله تعالى للمسلمين حريملاً فأخذوها بالسيف عنوة وبغتوا أهلها بها جفوة ، وذلك أن عبد العزيز فسح الله له في الأجل وبلغه غاية الأمل ، غزا بالمسلمين وكانوا نحو الثمان من المئين وخيلهم لا تزيد على عشرين فأناخ شرقى البلاد وقد اشتد ظلام الدجنة في السواد ، وقد عبأ المسلمين وجعل ذلك الكمين في موضعين فصار الأمير عبد العزيز في شعب عوجا ومبارك ابن عدوان مع مائتي رجل أقاموا بالجزيع فوجاً ، فلما بدا جبين النهار وأسفر وجهه واستنار وأخذ أهل الفلاحة في الانتشار شن الشعواء وأغار ، فلم يكن لأهل البلد عن الظهور اضطبار ، فعند ذلك نشب القتال وتلاحمت الأبطال وظهر الكمين الأول فكان كل من أهل البلد على الصبر قد عوّل ، وأرخصوا عند ذلك المهج ولم يكن أحد لمنهج الفرار قد انتهج حتى بدا لهم الكمين الثاني فلم يكن أحد على القرار ثانياً بل جدوا في الفرار بلا توان ومالك المسلمون أعقابهم وحققوا مطالبهم فقتلوا منهم مائة عجل الله ذهابهم وأراد استئصالهم وعذابهم ، ونال المسلمون بذلك غاية الآمال والمنازل وغنموا تلك الدخائر والأموال ، وطاف على أهل ذلك الأفعال طائف العذاب والوبال وقتل من المسلمين سبعة رجال ، ودخل المسلمون البلد ولم يكن أحد من أهل الشرك إلا شرد وأعطى عبد العزيز بقية الناس الأمان وكانت البلد فيثا من الله على سبيل الامتنان وخرج هارباً منها مختفياً ابن عبد الوهاب سليمان وأمر عبد العزيز مبارك بن عدوان وبئس الأمير كان لأنه آثر بعد ذلك سبيل الشيطان كما يأتى بيان رده في شهره وسنته وقد أعطاه عبد العزيز من الأموال كل نفيس عزيز وخيره في البيوت والمنازل وفي البساتين والأصائل وأخذ ما شاء من تلك الدار واختار ما طاب من العقار .

ولما توقف في حكم أموال أهل هذه البلدة الناس كشف الشيخ رحمه الله تعالى

عن ذلك حجب الالتباس وأماط عن وجه الحكم الأدناس وبت الحكم بأنها على المسلمين من جملة الإلباس نظير ماصدر وجري من أفعال السلف الكبرى ، وكان ما ذكر لثمان مضت من جمادى الأولى يوم الجمعة ، وأقبل عبد العزيز بتلك الأموال والغنائم إلى الدرعية ثم وقعت فيها المقاسم . وفيها تظاهر على نصرة الدين ومحاربة أهل الضلال والمشركين عامة أهل شقرا فأدركوا بذلك عزاً ونفراً وأحرزوا ثواباً وأجراً فاجتمعوا على ذلك بعد الافتراق ، واضمححل ما كان منهم قبل ذلك من الاختلاف والشقاق. وفيها محاربة ابن دواس الثانية في شعبان بدت الردة من دهام واجتمع هو وابن فارس على محاربة المسلمين والإسلام بلا سبب من المسلمين لذلك باعث ، بل على سبيل الاختيار أصبح للعهد ناكث ، فأول ما جرى منه أنه عدا على أهل أبي الكباش وانقلب راجعاً منحاش ، ولما تظاهر دهام بذلك الاعتداء وعدل عن سنن الاهتداء وتبين ذلك منه وبدا حناق على أهل الدين والهدى من أهل بلده السكنى عند أهل الرداء ، فأجمعوا على الهجرة وكل حقق عليها رأيه وأمره فتركوا الأموال والوطن وباعوها بأغلى وأعلا ثمن على مولى المنى فممن مشاهيرهم محمد بن صالح وسعيد بن عمران أهل الهجرة الأولى من الرياض إلى منفوحة ابن ذهلان عبد الرحمن وابن صالح وسعيد بن عمران وحمد بن الحويل ومحمد بن دخیل وعياله أحمد وموسى وعبد الله وموسى بن محمد وقاسم ومانع وعيسى بن نوح وعلى بن نوح وسعد بن نوح وأخوه موسى وعبد الرحمن بن جندل وموسى بن زياد وابنه محمد وعبد الرحمن بن سويدان وسليمان بن سحيم وسليمان بن حمد صالح وراشد بن نفيسة وعلى بن نفيسة وإبراهيم بن نفيسة وسليمان بن نفيسة وموسى أبو الحويل وعبد الرحمن أبو الحويل. ثم هاجر جميع ما ذكرنا من منفوحة إلى الدرعية لما ثبت أسباب الردة من ابن فارس. ثم هاجر معهم من مشاهير أهل منفوحة حسين بن عثمان وعثمان بن حسين وسليمان بن حسين ومحمد بن حمد بن حسين وسلطان بن عبد الله ومحمد ابنه وإبراهيم بن سلطان وسليمان بن حسين وإخوته ناصر وسلامة وموسى والمخاضيب عبد الرحمن وعياله عبد الله وحمد وعيسى وعيال محمد على يحيى وموسى وعلى بن مزروع وعبد الله وحسن والسحوم دهمش وعمر وحمد ومطلق ، ومن الزمامات يحيى وموسى وآل نذيان ثلاثة محمد والمغليث وراشد وعلى ومنصور بن قاسم وسويلم بن قرأش وعثمان بن مجلى وعرييد وعثمان العليوى ومحمد

ابن طفل ومبارك بن مرجان وغيث بن سحيم وولده ومحمد بن هلال وأخوه حمد وثالثهم علي وراشد التحنيفي وعثمان التحنيفي وسليمان الشعبي وعبد الله بن نفيسة وعبد القادر وعيسى بن سرحان وعبد الله بن رشيدان ومفرج بن رشيدان ومفرج ابن جلال وعيسى بن سعدون وولده محمد . وفيها اجتمع دهام بن فارس وأهل الوشم وأهل سدير وأهل نادق وجلوية حريملا فغزوا حريملا وحزبوا عليها وساروا جميعا فوصلوها وسلطان الليل قائم والكرى على الأجفان حاكم وغالب الأحراس نائم فدخلوا في حلة تسمى الحسيان ، ولم يشعر بهم من البلد إنسان حتى ملكوا تلك البساتين والحلة واستعد كل منهم للقتال وملك محله فأخبر بذلك الشأن مبارك بن عدوان فنهض عليهم مع جماعة معه في الليل فرجعوا ولم يخرجوهم من النخيل ، فلما أصبح الصباح اغتدى للحرب وراح واجتمع مبارك مع قومه والتقى معهم صبح يومه وحمل بينهم القتال وأخرجوا طائفة من تيك الجبال وبقي طائفة من الرجال وغالبهم من أهل حريملا من الجلوية محصورين في البيوت خوف الاغتيال ، ومكثوا نحو خمسة أيام في أشرف مقام ، وفي مدة هذه الإقامة كل يشد للرمي سهامه وقتلوا من أهل البلد نحو ثمانية عشر من العدد ثم بعد ذلك تسوّر المسلمون عليهم الدور وحق عليهم المكر والفجور، وحن عليهم القضاء المحتم المسطور، فقتلوا قتلة رجل واحد، وكان دهام على مقتلهم واجد ، وأخذوا مامعهم من سلاح ، وغدا دهام بالحزى وراح ، وكان جملة المقتولين من الأخزاب ستين وقد دعا مبارك أناسا من أهل حرمة محصورين وأعطاهم ذمة المسلمين فخرج منهم على الأسر عشرة نغان بهم وقتل منهم ستة قضى بهم وطره ولم يشعر بذلك الشيخ وابن سعود ولما جاءهم الخبر تقموا عليه بما صدر كيف وفي الحديث «ثلاثة أنا خصمهم وذكر رجلا أعطى بي فقدر» فأخذ منهما الغضب غاية وبلغ حده ونهايته . ثم دخلت السنة التاسعة والستون وفيها تقشع عن أهل القويعة غمام الشرك والشر والأذى ، وزال عن أبصار بصائرهم القذى ، واستنشقوا من عرف الحق شذى ، وداخل أفئدتهم من التوحيد شائبة وهبت لهم من ذلك سايبة ، فصارت قلوبهم للدخول فيه طالبة ولالتزام أحكام الإسلام راغبة، فأقبلوا على الشيخ والأمير محمد حين أرادوا ذلك الطريق الأحمد وقدم محروس الدرعية كبار أهل القويعة فبايعوا على الإسلام والتزموا جميع الأحكام ولقد صدقوا في تلك البيعة ووفوا وأقاموا متجملين بجمال ذلك اللباس فما خاعوه ولا نفوا ، وكان أول من صار إلى التوفيق



وداعيه ووعته منه أذن واعية ناصر بن جمار العريفي وسعود بن حمد فكل منهما سارع إلى ذلك الشأن ونهد ، وبادر إلى الوفود فوفد ، وهاجروا إلى ديار الإسلام فنالوا الفوز والرام . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز متع الله تعالى به المسلمين في رفعة وتمكين إلى منفوعة والرياض فعدوا على منفوحة ودخلوا نخيل الصبيحة وأخذوا دواب كثيرة إبلا وبقرا وحميرا ، ثم خرج عليهم الأفزاع ، فهزمهم المسلمون بالقتل والدفاع وقتل منهم على أبو الماسح وغيره ثم جاءهم بعد ذلك أهل الرياض بالمدد واستحروا بينهم وبين المسلمين القتال والجلد وكل شمر للجلاد واجتهد حتى صاح بأحزاب الضلال منادى الهوان والإذلال فولوا مدبرين ولبلدهم طالبين ورجعوا بالخبيبة والحسرة وكم لهم مثلها من مرة وكان دهام في تلك الأيام باديا على أهل سدير والوشم في تدبير الحرب والانتظام والسياسة والمواعدة على المسلمين والإسلام ، وكان عند عبد العزيز بذلك خبر قبل أن يرحل إلى منفوحة وبعد ما صدر ، فلما رجع إلى الدرعية وتحقق القضية خرج مسرعا يريد له الرصد . فكمن له قرب ظرما فإذا هو قد وفد ولكنه شعر بالمسلمين فولى مع من معه مدبرين ، فطلبه المسلمون أشد الطلب ولكنه جد في الفرار والهرب ورمى عن الركاب كل ثقیل وترك من المطى كل ظهر لا يسرع في الغارة والذميل وأخذ المسلمون ما طرحه وترك ولحق ببلده عبد العزيز وانفرك ، ثم إن عبد العزيز حرسه الله تعالى استأذن الغزاة في إعطاء جميع الغنيمة المهاجرين فطابت بذلك نفوسهم أجمعين فأذنوا له في ذلك . ثم دخلت السنة السبعون بعد المائة والألف وفيها وقعة تسمى وقعة الرشا عند من ترعرع في ذلك الوطن ونشا ، وكانت على أهل منفوحة لأن المسلمين نقضوا البناء المعد لحجر السيل على النخيل المسمى عند أهل البلد بذلك ، ودخل المسلمون عليهم البيوت والدور ؛ ثم إن دهما أتاها الخبر المسطور فنهض من ساعته مع مقاتلة جماعته بعد ما قال لمن جاءه بذلك المقال اثبتوا لهم ساعة فإني أدهمهم مع الجماعة ، فأقبل ابن دواس على المسلمين وقد صاروا بهدم أساس الرشا مشغولين فقاتل من المسلمين من عند ذلك الأساس حتى هزمهم مقاتلة أهل الرياض مع ابن دواس ، وتصادم دهام في ذلك الظلام مع واحد من فرسانه وحفدته وأعوانه ، وتصادق الفرسان عند ذلك الطعان وسقط كل منهما على الأرض وأخذ المسلمون على هيئة واجتماع وخرج الدين دخلوا وسط الدور بعد قتال مشهور قتل

فيه عبد الوهاب بن مشرف وخرجوا عنها بعد ما قارب كل منهم الحمام وأشرف ،  
وصادفوا بعد أن خرجوا من تلك البلاد دهام بن دواس ومن معه من الأجناد ، فلم  
يعرفوهم وظنوهم من أهل الدور أمداد ، وقد عرف المسلمون دهاما وقومه وظن كل  
منهم أنه ملاق حمامه ويومه ، فحتمن الله تعالى دماءهم وأنجح سؤلهم ومناهم إلا أنهم قتلوا  
ثلاثة رجال من أهل الرياض ذوى الضلال قد عرفوهم بالرؤوس فخرجوهم من الحمام  
مر الكؤوس ، ورجع المسلمون إلى بلادهم وقد استشهد منهم عشرة في تعدادهم . وفيها  
أيضاً حزب أهل الوشم وأهل سدير على شقرا وراموا بذلك من الهتك أمرا ،  
فساروا وقد ملئت قلوبهم بالحقد والضغائن فنزلوا بأجمعهم في قرية القرائن ، وأقاموا بها  
من الأيام ثلاثة وكل يوم يناوشون أهل شقرا الحرب من غير توان ولا رثاء ، ويقع  
بينهم في قتال وطعان ومجال حتى أراد الكبير المتعال الخذلان لأهل الضلال ، فجاء  
محمد بن سعود الخبر وتيقنه خبرا ، فجود صارم العزم للمسير وأخبر بذلك أهل شقرا ،  
وعين لهم الزمن المعلوم وبين لهم يوم القدوم الذي أجرى الله فيه القضاء المحتوم على  
من هو لاستئصال المسلمين يروم ؛ فلما جاء ذلك اليوم وحان الذل بالقوم خرج إليهم  
أهل شقرا ليشغلوهم بالحرب قسرا ، خشية أن ينهزموا إن نالوا من مجىء المسلمين خبرا ؛  
فلما نشب القتال وحى ، طلع عليهم عبد العزيز والكمى ، فلم يجدوا غير الهزيمة ملاذا  
ولا سوى قرية القرائن معاذا ، فولوا إليهم مدبرين وبقوا بها منحصرين ، وولى المسلمون  
أكتافهم في الهزيمة ولولا قرب القرية لكانت المقتلة عظيمة ، وقتل المسلمون منهم  
نحو خمسة عشر وكان منهم من هو مشتهر : منهم حمد المعبي وسويد بن زايد وغيرهما  
وأخذوا ركابا وسلاحا وفرسا ثم حصروهم في القرائن وأطالوا لهم مجسا وأقاموا  
قريبا من عشرين يوما في الحصار في غاية الضنك والضيق حتى أيقنوا بالدمار ولكن الله  
لما أراد لهم السلامة أقبل ابن سويط وقومه ففهموا أخباره وإعلامه فخرجوا ليلا  
مخترفين وللنجاة طالبين . وفيها قتل غزو بن فايز في مكان يقال له الحسى ؛ وذلك أن  
المسلمين جاءهم عنه الخبر فجرد له عبد العزيز ونفر وكن له في الحسى ورصد حتى جاء  
إليه ووفد ، فاستأصل المسلمون شأفته وقتلوا جماعته وأضحى ابن فايز في أيديهم أسيرا  
حتى بذل في فداء نفسه مالا كثيرا وكان جملة ما أعطى وأظهر خمسمائة أحرر . وفيها  
أيضاً وقعة باب القبلى وذلك أن عبد العزيز حرسه الله تعالى شمر ساعده للحرب

والانتهاض وسار بالمسلمين حتى نازل الرياض وأعدت في الليل السكى والكين قبل أن يفلق عمود الصبح ويستبين ، فلما انجلي من الليل ظلامه ونشرت من الصبح أعلامه وانتشر في الطريق اذ نام ظهرت غارة المسلمين والإسلام ، فأسرع أهل الرياض إليهم وشرعوا الأسننة عليهم وأطلقوا الأعنة لديهم : فلم يكن غير لحظة أو ساعة حتى كان الهروب طريق تلك الجماعة وسبب ذلك حين عاينوا الموت في الكين وتيقنوا أن الله تعالى لهم معين . فعمدوا إلى الباب من الهرب وكل أراد الدخول قبل الآخر وطاب ، وتضايقوا عند الباب وتكسرت في الدخول الخراب ، وقتل منهم ثمانية رجال دنت منيتهم بلا إمهال : منهم كنعان الفريد وصالح وابن نعران ورطيبان وغيرهم ، وقتل من المسلمين عبد الله بن نوح وفيها سار عبد العزيز حرسه الله تعالى إلى الرياض ونزل البنية وخرب جميع زروع الشمسية . وفيها غزا المسلمون الوشم وأميرهم إذ ذاك محمد بن عبد الله أمير ظرما ، فوافق المسلمين في طريقهم ذلك غزو للصملة أكثر من المسلمين هنالك ، ففر المسلمون منهم وجدوا في الفرار عنهم وأسروا منهم بعض الناس فقدوا أنفسهم من الأحباس . وفيها غزا المسلمون وشيقر وأميرهم عبد العزيز ، فلما وصلوا إلى تلك البلاد وكنوا لهم في تلك الوهاد وخرج المقاتلة للجلاد واشتد الحرب وكثر بينهم الطعن والضرب ، طلع عليهم ذلك الدفين وأقبلوا إلى المعركة مسرعين ، فلم يثبت أهل البلاد بعد شدة ذلك الجلاذ بل ولوا على أعقابهم مدبرين ، وقتل منهم أربعة رجال محققين . وفيها غزا المسلمون أهل نادق وأميرهم عبد العزيز سلك الله تعالى به أحسن الطرائق ، فلما وصلوا إلى حليها نزلوا قريبا من نخلها ومحلها ، فناوش المسلمين الحرب أهلها وكان الحائل بينهم نخلها فتراموا بالرصاص بينهم من بعيد وكان ذلك الرامي يصيب ويفيد ، وقطع المسلمون عليهم نخلا وعرفوا أن هذا شأن المسلمين فعلا وقتل منهم ثمانية رجال وأقاموا محتصرين يديرون الكرة والاحتياي ، فلم يكن لهم سوى الإقبال على الإسلام من غير إمهال وطلبوا ذلك من عبد العزيز فأعطاهم وحقق لهم مطلوبهم ومناهم . وقدموا مع الغزو إلى الشيخ في الدرعية وأخبروه بحاصل القضية وأمر عليهم دخيل بن سويلم وأرسل معهم أحمد بن سويلم يعلمهم التوحيد والأحكام ويحكم لهم الشرائع غاية الإحكام ، وقد قتل من المسلمين ثمانية رجال منهم محمد بن دغيثر ومحمد بن مانع وغيرهما . وفيها غزا المسلمون أهل جلاجل وعبد العزيز حرسه الله

تعالى أميرهم الذي ترجع إليه سياستهم وتديبرهم فسار بالمسلمين ممن معه ومساعدته وتبعه ، فنازل أهل جلاجل وكان لإعداد الكمين فاعل ، فلما خرج إليه منهم كل مقاتل ونشب القتال وكان كل قوم لقرنه خاتل ، هزم الله تعالى أهل جلاجل فولوا مدبرين على الأعقاب ، ودخلوا البلد وغلقوا دونهم الأبواب ؛ ونهب المسلمون من بيوت البلد ما استطاف ثم رجع عبد العزيز بمن معه وانكف ، وأقبل معه من مطاوعة سدير حمد بن غنام وإبراهيم المنقور وابن غضيب وذلك لما طلبهم عبد العزيز وقصده قدومهم على الشيخ وموافاتهم له وقراءتهم عليه وأخذهم عنه ، وأقبل معه أيضاً ابن سعدون وابن حماد مخافة أن يزينا لأهل العودة الارتداد ، ولما قدم عبد العزيز الدرعية ومن معه من تلك الجلوية أتاه أمير العودة عبدالله بن سلطان وطالب منه المنّة والإحسان على ابن حماد وابن سعدون ، واختار حرسه الله تعالى طريق الموافقة والهلون وإلا فهو قد تفرس فيهما أن أسباب الردة منهما تكون ، فأطلقهما لأجل وجاهته ولم يدر ما يصدر عليه من جماعته ، فلما وصلوا البلاد أخذوا للردة في الاستعداد ، فلما هيئوا أسبابها على المراد لم يجدوا ما تطيب به النفس ويتم لهم به السرور والأنس سوى قتل من غمرهم بذلك الجليل ومقابلاته بالصنع الويل ، فقتلوا عبدالله بن سلطان مقابلة لذلك الإحسان ، وهذا شأن من وضع المعروف في غير محله وصرفه إلى غير أهله يجازيه بقبيح فعله كما قالت العرب في أمثالها « سمن كلبك يا كلك » وقال الشاعر :

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقى الذي لاقى مجير أم عامر

وقال المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندا في موضع السيف بالاعلا مضر كوضع السيف في موضع الندا

وفيهما غزا المسلمون الرياض وأميرهم عبد العزيز وقصدهم أن يرصدوا دهما إذا خرج إلى منفوحة يوم العيد وكان عادته يوم العيد يخرج للسلام على ابن زامل ، وأقاموا بين البلدين يرصدون ولم يكونوا بما نواوا يظفرون إلا أنهم في تلك الإقامة خرج زيد الصمعر فوافقوه فجرعوه حمامه ، ثم رجع عبد العزيز ومن معه من المسلمين إلى بلادهم سالمين .

ثم دخلت السنة الحادية والسبعون . وفيها غزا المسلمون ثرمدا وأميرهم عبد العزيز أعزه الله بالطاعة ونصره . وأتباعه ، فساروا إلى ثرمدا وجرت وقعة تسمى وقعة النقيب ؛ وذلك أن المسلمين لما اشتد غسق الدياجى لم يكن لهم دون دخول البلد من مفاجى ، وقد جعلوا لهم خارج البلد كمينين للرصد ، فلما زال سواد الظلام وذهب ذلك الإظلام وسعى العباد خارج البلاد وقد أخبروا بالمسلمين وما هم عليه مجتمعين وعرفوا أن المسلمين دخلوا حائطا نقبوا لهم نقبا في جداره وأقاموا فيه متوارين بين نخيله وأشجاره ، والكمين الثانى خارج البلد لم يشعر به أحد ؛ فاجتمع أهل تلك البلاد والحلة على من عرفوا فى النخل مكانه ومحلّه ، وبقوا ساعة بقربه وحياله ينتظرون من يخرج من ذلك النقب ورجاله ، فلما أراد من فيه الخروج لم يكن لهم عن ذلك النقب من عروج ، فقاموا يخرجون منه واحدا واحدا ولم يكن أحد منهم لغيره فاقدا ، واستمروا على ذلك يخرجون منه أرسالا ولا يفهمون لمن يخرج منه حالا حتى اسودّ النقب وأظلم وسد ضوءه بعد أن أعلم ، فتيقنوا مصاب أصحابهم وتحققوا مصارعهم فى انقلابهم ، فلما تبين للمسلمين ذلك خرج جميع من هنالك ووقعت معركة بينهم عظيمة وحقق الله تعالى على تلك البلاد الهزيمة ، وقتل منهم اثناعشر : منهم عبد المحسن بن إبراهيم رئيس ثرمدا ومنهم بشر بن بلّاع ، واستشهد من المسلمين فى تلك الغزوة قريب من عشرين : منهم عيسى بن ذهلان ومحمد بن عبد الرحمن ابن موسى ومفرج بن جلال . وفيها غزا مبارك بن عدوان بركب معه من أهل حريملا فوافق عبدالله بن سليمان معه أسيرا ، ثم بعد وصوله حريملا منّ عليه وأطلقه من غير قليل من المال ولا كثير ولم يستشر فى ذلك الشيخ ولا محمد بن سعود فنقموا عليه بذلك الفعل الغير المحمود . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز وساروا إلى سدير فاستولوا على الحوطة والجنوبية ، وذلك لأن أهل البلدين أرسلوا للأمير يريدون منه القدوم والتيسير ومرادهم الدخول فى الإسلام والاستمرار تحت الذمام ، فأسعفهم بالمقصد والمأمول وأسرع إليهم المجىء ، والوصول ؛ فلما دخلها عبد العزيز ومن معه فزع عليهم أهل سدير ولم يفوزوا بمرام ، ثم رجع عبد العزيز بعد أن نصب لهم فى كل بلدة أميرا وإماما . وفيها خرب المسلمون زروع منفوحة . وفيها غزا المسلمون جلاجل أيضا وأميرهم عبد العزيز فأخذوا منها سوارح الغنم ثم لحقهم



الطلب ، فاقتتل مع المسلمين ثم بعد ذلك ولى وانهمزم وملك المسلمون أعقابهم ولم يكن سوى البيوت مأبهم ، وقتل منهم ستة رجال في تلك الساعة والحال . وفيها أتى المسلمين الخبر أن عريعرًا كبير الحسا يريد التخريب على الإسلام وأهله ، وقد صرح بذلك في قوله لا في فعله ، وأخذ المسلمون للحرب في الاستعداد وتحصين البلاد . وفيها في شهر رمضان سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى الرياض وجرت وقعة عظيمة على أهل الرياض تسمى وقعة أم العصافير؛ وذلك أن المسلمين قدموها ليلاً وجعلوا لهم رجالاً وخيلاً أعدوا لهم رجالاً في مكان يقال له القبة كميناً ؛ فلما أصبح الصباح وخرج إليهم أهل البلاد كان الله للمسلمين معيناً ، فاستمر بينهم القتال وضاق في المعترك المجال حتى كشف الله تعالى جميع أفزاع الضلال وقتل منهم تركي بن دواس وابن فريان والجبري وحمود بن ماجد ، ولم يقتل من المسلمين غير واحد ثم انقلب المسلمون إلى بلادهم بعد تحصيل مرادهم . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرس الله مهبته إلى الرياض فنزلوا البنية وملكوها وتلاحقت عليهم الأفزاع من منفوحة والرياض ، فاقتتلوا في تلك الأراضي والبقاع وكان القتال من بعيد بالبنادق والكل من الطائفتين غير مقارب ولا موافق ، وقتل بالرمي ذلك اليوم من أولئك القوم ثنيان ابن مبيرك عبد الدرعات وآخر يقال له الدفين ، واستشهد من المسلمين راشد بن غانم وحميد بن قاسم وغيرهم نحو ثلاثة ، ثم ثور الأمير عبد العزيز من تلك الأماكن فأناخ بالعدوانة في ذلك الباطن ، فأمر المسلمين جزاء الله تعالى خيراً وأعظم له أجراً أن يبنوا في ذلك الباطن قصراً يكون للمسلمين حصناً وثغراً ، فأقاموا سبعة أيام في ذلك البناء والإحكام ؛ ثم بعد الفراغ منه والتام ، أرخص لمن أراد من الغزاة أهله والقدم عليهم من المشاة على الأقدام وبقي هو مع الجيش بعض أيام . وفيها جرت ردة مبيرك بن عدوان وأتباعه منهج الشيطان ، وذلك أنه لما رجع من غزو البنية وبناء القصر إلى الدرعية عزله الشيخ ومحمد بن سعود الأمير عن الإمارة في حريملا والتدير ، وأمر أحمد بن ناصر بن عدوان وأرسل معه مفرج بن شعلان وذلك لأنهما تخوفاً على المسلمين منه لأموار صدرت نسبت عنه فاسترخص مبيرك الشيخ ومحمد الأمير أنه يريد العينة ثم يسرع إليهما بالمسير فأرخصا له في ذلك ؛ فلما خرج مورياً بالسير إلى هنالك اجتمع في ذلك الطريق مع أناس من أهل حريملا فعاودهم على الردة

فلبى له منهم فريق ثم سار يريد حريعلا مع من وافقه من جماعته ، فلم يصل إليها إلا بعد ماملك حمد بن ناصر ومن معه قصر إمارته ، فدعا مبيريك أهل البلد لنصره ومعاونته فلم يجبه أحد إلا بنخلانته ومهانتة ، فحين تحقق الأمر وعائنه وعرف من جماعته المعادة والمباينة ولى على وجهه مدبرا وبقي على فعله نادما متحسرا وصارت منيخ له وجهة ، فولى حريعلا دبره ومنح تيك وجهه وقتل ممن ساعده على الردة رجال وفر الباقون باستعجال ، ولما أتى الشيخ ومحمد الأمير بما رآه مبيريك من التدبير أرسل إلى عبد العزيز وأخبراه بذلك فجمع من عنده من الغزاة هنالك فأخبرهم بالواقع والحادث وأن ابن عدوان للعهد ناكث وطلب منهم تجديد العهد والمباينة على الموت والمتابعة ، فلما صدقوا في النية وأخلصوا لله الطوية وساروا يريدونه ودخلوا في طريقهم الدرعية لقضاء بعض الحوائج والأغراض ، فلما عزموا على النهوض والانتهاض وراحوا سائرين إلى النعمية فإذا البشير يفاجئهم بحصول الأمنية ، فرجع عبد العزيز من فوره إلى الدرعية ليبشر الشيخ ووالده بالقصة والقضية فحمد الله تعالى وشكراه وسبحاه وكبراه ، ثم سار بعد ذلك عبد العزيز إلى حريعلا تركيدا للبلاد وتطييبا لقلوب أولئك العباد . وفيها حزب مبيريك بن عدوان وجمع من أهل سدير والوشم والجمعة من كل مرید شیطان وقصده بذلك حريعلا ليشفي منها الفؤاد ويفوز منها بالظفر والمراد فأتى الأمير محمدا والشيخ الخبر بما جرى وصدر ، فأرسل عبد العزيز والمسلمين إلى تلك البلاد ليساعدوا أهلها ويحفظوها عن ذوى الفساد ، فجاء الخبر بمبيريك بن عدوان فلم يقدر على وصول ذلك المكان ولكنه سار مع أصحابه وجملة أعوانه وأحزابه فأناخ على البلدة المسماة رغبة ، فقاتلهم ثم طلب من أناس من أهلها الخيانة له فوافقه على ما أراد وطأ به وأدخل بعض البيوت والدور ثم أخرج منها بعد الحرب والقتال مكسور إلا أن أمير رغبة وابنه راضيا قتلوا وولى مبيريك بمن معه خاسرا لما موله لم ينل ، ثم قدم عبد العزيز رغبة ومن معه من المسلمين وأجلى من وافق مبيريك أجمعين وأمر بهدم السور خشية وقوع مثل ذلك الأمر المحظور .

ثم دخلت السنة الثانية والسبعون بعد المائة والألف . وفيها أتى الخبر الشيخ ومحمدا الأمير أن عريعر يريد الخروج على نجد والتسيير فأمروا جميع بلدان المسلمين بالبناء والاستعداد والتحصين ، وقام عبد العزيز حرسه الله تعالى بالجند والاجتهاد وشم

ساعده في البناء والاستعداد ، فبنى على الدرعية سورين منضودين بالبروج خشية التسور والعروج ، ثم خرج بعد ذلك عريعر مع أهل الحسا وكافة بنى خالد وأهل سدير والوشم والرياض والخرج وكل منكر للحق جاحد وعلى الباطل معين مساعد ولاضلال مؤيد معاضد ، فأناخ أهل سدير والوشم والمحمل ورئيسهم مبيريك بن عدوان على أهل حرمل وأقاموا يقاتلونهم ثلاثة أيام ، فلم يكن لهم سبيل على أهل الإيمان بل قتل منهم رجال في أيام ذلك القتال ثم رحلوا عنها ونوّروا منها وطلبوا من عريعر المدد والأمداد ومساعدتهم بالجيوش والأجناد فأمدهم بآل عبيد الله من بنى خالد وفرقان من عنزة كبيرهم ابن هذال فأناخ الجميع على تلك البلدة والكل منهم قد بذل جده وجهده وأرهف سنانة ونحا أصحابه وأعوانه فأحاطوا بالبلاد ودخلها منهم ثلاث جنادب للجلاد فانتدب إليهم أهل تلك المحلة وأخرجوهم مهزومين من النخيل والمحلة وأركبوهم والله الحمد غارب الهوان والذلة ، وكفى بذلك عارا ومذلة . وقتلوا منهم رجلا عشرة والجرحى أكثر من أن نعدهم ونحصرهم ، ثم خرج أهل البلاد بعد ذلك النصر والناموس وصدور ذلك الفعل المأنوس وصاروا جملة مسرعين إلى مناخ تلك الأحزاب المجتمعين ؛ فحين عاينوا ذلك الإقبال ووجوه الرجال ولوا على أعقابهم مدبرين واهزموا راجعين وأخذوا من أهل البلاد كثيرا من الأمتعة والزاد ثم اجتمع ما ذكرناه آنفا بمن هو للتوحيد محاربا مجانفا وحصل التوافق مع عريعر ومن معه واتفق رأيهم مع من ساعده واتبعه أنهم يلقون عصي التسيار بالجيلة محلة الصحب الأخيار وينزلون تلك الفيافي والقفار ويقاتلون أهلها إذا أسفر النهار ، فعند ذلك ساروا جميعا إليها ونزلوا بأجمعهم عليها وطلبوا تلك الخيام على ذلك المقام وأثبتوا العمد والأطناب على رفيع تلك الهضاب وراموا تغيير منهج الحق والصواب بما جاء رايه من الباطل والاضلال والإعجاب (إن ربك لسريع العقاب) فأمدهم المسلمون برجال وبقوا أياما في أشد الجلال والقتال ، ثم إن أهل الباطل والاضلال عدوا على القلعة وحاولوا الدخول فلم يكن لهم إليه سبيل ولا وصول وجاءهم وهم في ذلك المكان من ورائهم أناس من أهل الإيمان فلم يلبو منهم أحد على أحد بل كل منهم امتطى قدميه وشرد ، وقتل منهم في أيام القتال ستون من الرجال وقتل من المسلمين نحو العشرة ، ثم ولت تلك الأحزاب منهزمة منكسرة . وفيها طلب أهل المحمل من الشيخ ومحمد بن سعود الدخول في الإسلام فأعطوا ذلك المرام وطلب منهم

نصب الزرع وريع الثمرة فالتزموا بتلك الأمور المقدرة . وفيها غزا عبد العزيز المسلمين فساروا ونزل بالقصب وجعل له كميناً خارج البلد يشد أعقاب من بادر إلى ذوى الغارة وطلب ، فلما تبين الفجر وانجلي وارتفع ضياؤه وعلا وتبينت لأهل البلاد حال المسلمين خرجوا إلى القتال أجمعون ، فلما استمر بينهم القتال خرج عليهم الكمين باستعجال ، فلوأ مدبرين وبقوا ببلدهم منحصرين ، وقتل منهم سيف بن ثقبه ثم بعد ذلك طلبوا من عبد العزيز الدخول في الإسلام وأن تجرى عليهم تلك الشرائع والأحكام فوافقهم على ذلك المرام وصالحهم على النخيل بثلاثمائة أحرر فقبلوا ذلك المقرر .

ثم دخلت السنة الثالثة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز أعزه الله تعالى على الأعداء وأعلا به منار الهدى ، فسار بأهل التوحيد وغلب العنق على التوحيد ، فلم تطب له راحة في ذلك المسير ، حتى أصبح على الجمعة مغير ، وعدا على تلك البلد وقتل فيها من وجد ، فقتل في ذلك اليوم على بن دخان وأربعة من أولئك القوم وعقروا كثيرا من الدواب ، ثم انصرف إلى بلاده بحسن مأب . وفيها غزا عبد العزيز بلدان الخرج فسار إلى الدلم ودخلها ليلا وهجم وقتل من أهلها ثمانية رجال وأخذ من دكا كين كثير أموال ثم خرج منها وانصرف عنها وعدا على قرية نمجان فظهر عليهم أهلها فكسروهم بلا توان وقتلوا منهم عودة بن علي ثم رجعوا سالمين . وفيها أيضا سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى ثرمدا فنازلوها بعد أن استنار الصبح وبدا وكنوا لأهلها على العادة طلبا للإفادة ، فلما خرج أهلها إليهم وأسرعوا إلى الفرع عليهم وجرى بينهم القتال انكسر أهلها بعد ظهور الكمين بلا إمهال ، فقتل المسلمون منهم نحو أربعة رجال وأصيب مبارك بن مزروع من المسلمين في ذلك المجال ، ثم بعد ذلك أرخص عبد العزيز لمن معه من الرجال أن يعمدوا إلى أهلهم وسار هو بالجيش إلى الخرج وأجمع رأيهم عليه وحاله فشن على أهل الدلم الغارة وقد سبقه عليهم النذارة ، فلما أغار عليهم خرجوا مسرعين فاقتتلوا أشد القتال مع المسلمين ثم شد المسلمون عليهم وعمدوا بالصدق إليهم ، فانكشفوا مسرعين إلى الديار وتحصنوا بذلك الجدار وقتل المسلمون منهم سبعة وأخذوا إبلا مجتمعة ، ثم بعد ما صدر من الدلم جمع رأيهم وعزم أن يغزو الوشم ، فسار على وجهته وتصمم عزمه

وهتمه فأناخ على وشيقر ليلا وهيا الكمين ، فشعر أهل البلد بالمسلمين فخرجوا جميعا إليهم وأقبلوا للقتال عليهم والكل قد صدق الطعان في ذلك الوقت والزمان حتى غشيتهم حملة الكمين وخالطتهم أسنة الدفين ، فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل نحو العشرين ، ثم انقلب عبد العزيز بمن معه إلى بلادهم راجعين . وفيها عزل الأمير محمد والشيخ مشارى بن معمر عن إمارة العيينة لأمر كثيرة ثبتت عنه شينة ، وقدم الشيخ العيينة تلك الأيام وأمر سلطان بن محسن العامرة على من بها من سائر الأنام وأمر بهدم قصر آل معمر ، فهدم ذلك القصر لما حقق عليه الشيخ الأمر . وفيها غزا المسلمون منفوحة وحرقوا الزروع ثم كان منهم إلى بلدانهم العودة والرجوع . وفيها جرت وقعة آل ريس في بلد الرياض فقتلوا من آل ريس أربعة بلا ارتياض منهم على وقتل معهم غيرهم . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبدالعزيز حرمه الله تعالى آل عسكر من آل ظفير وكانوا على الثرمانية فصباحهم عبدالعزيز بالغارة الشعوائية فوقع بينهم القتال واحتنك القضاء في المجال حتى قتل رئيس أولئك الأبطال وكان يقال له فوزان النبيحة من رؤوس آل عكر ، فانسكس ذلك الفريق وأدبر وقتل منهم عشرة رجال وأخذ المسلمون منهم عظيم الأموال ثم انقلبوا إلى بلادهم راجعين . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبدالعزيز فسار إلى الوشم وحقق عليهم العزم فوافق في طريقه خمسة عشر رجلا من أهل ثرمدا ، فشن عليهم الغارة وعدا فزبنوا بلدا يقال لها الحريق فنازلها المسلمون وطلبوا منهم أولئك القوم يخرجون ، فأبى عن الموافقة والطاعة من بالبلد من الجماعة وقالوا هذه بثس الشناعة . فلما ألح عليهم عبد العزيز وعرفوا أنه ليس دونهم أو الفدا من تجويز افتدوهم منه بألف وخمسمائة زر فقبل ذلك منهم وتركهم وصدروا .

ثم دخلت السنة الرابعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز أدام الله تعالى فوزه وكثر من الخير حوزة ، فسار بأهل الدين يريد سدير وحث لأجل ذلك السير فلم يصل إليهم حتى سبقه النذير عليهم فتأهبوا لإقباله واستعدوا لقتاله ولم يكن معه من الركاب سوى ثمانين من غير ارتياب ، فأغار على بلدة يقال لها الروضة وجرى بينهم قتال وصار عن قتل شهيل بن سحيم الانفصال ولم يقتل سواه من المسلمين ، ثم أقبل عبد العزيز بمن معه راجعين . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين سدير فصارت

على الروضة منهم الغارة ، فخرج أهلها وابتدروا الحرب أعظم ابتدرة ، وشدوا للقتال إزاره ، فلما اشتد القتال وأججوا استعاره ظهر عليهم الكمين فانكسروا أى انكساره وقتل منهم نحو الستة حين أعطى كل واحد منهم المسلمين استه ثم رجع المسلمون إلى بلادهم بعد نيل مرادهم . وفى تلك الغزوة أغار المسلمون على الزلفى فجوة فأخذوا سارح الأغنام ثم أدركهم فزع الأقوام فتركوا ما معهم من الغنم وصمموا على قتال من قصدهم ودهم ، وجرى بينهم القتال ساعة ثم كل إلى محله ارتجاعه . وفيها سار عبد العزيز أعز الله تعالى به المسلمين وأدام له التأييد والتمكين فنزل على الرياض بالمسلمين وأعد في دحلم الديجور ما شاء من الكمين ، فلما قارب الفجر فى الانبلاج تبين حال المسلمين ووقع فى البلد الارتجاج وخرج أهلها ووقع القتال بينهم وعجل الله لأهل الباطل حينهم ، فبعد ما حمى الحرب واستعر وشد لها تلك الأفزاع الأزر ظهر عليهم من المسلمين الكمين ، فلم يكن لهم عون ولا معين ، فولوا سراعامدبرين وقد كسرت رجل رئيسهم فهيد بن دواس ولم يكن بعد كسرهما لهم صبر ولا احتباس ، وباش فهيد نحو أربعين يوما بعد كسره ثم حواء لحد قبره ، وقتل منهم ثمانية رجال واستشهد من المسلمين ستة فى ذلك المجال . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين فنزل منفوحة بالمرية قببات وأقام فيها بقية ليلته ويات ، فلما انبلج من الفجر الضياء وتشعشع نوره وأضاء وقد أعد الكمين فى دياجر الليل وكان للمسلمين إلى تخريب زروع منفوحة الليل ، فلما تحقق أهل منفوحة ذلك الشار وتبين لهم فى العيان لم يكن لهم عن اللقاء من توان ؛ فلما خرجوا إليه مسرعين وأقبلوا عليه مهطعين وناوشوا القتال المسلمين ظهر عليهم الكمين المذكور وحان بينهم القضاء المسطور ، فأضحى أهل منفوحة وأفزاع الرياض كل منهم مهزم مكسور ، وقتل من جميع تلك الأفزاع سبعة رجال بلا نزاع . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز المذكور ضاعف الله تعالى له الأجور فصبح مساعداً بن فياض مع قومه بالعتش فى ملك الغياض ، فاما طلعت عليه المسلمون بقوامدة يقتتلون وراموا حمان ذلك الفريق ، فلم يكن لهم إليها طريق ؛ فشد المسلمون عليهم الحملة فلم يكن لهم دون الهزيمة مهلة فاستولى المسلمون بعد الهزيمة على جميع أموالهم فكانت غنيمة واستاقوا جميع الأغنام والإبل واحتوا على الأمتعة والأسلحة والأموال وقتلوا منهم عشرة رجال منهم سعد القروا وأولاده وقتل من المسلمين ابن عزاز



كما بان تعداده ، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها سار عبدالعزيز بالمسلمين إلى قصر الغدوانة يريد زيادة بنائه وتحصينه ثم يرجع بعد حينه ولكن إذا أراد الله تعالى أمرا فلا بد من إنفاذه وتكوينه ، فلما أراد الله عز وجل أن يبرز للخلق ما سبق في الأزل ويبلو الناس بما فعل ويهيئ الأسباب لمن دناله الأجل همّ عبدالعزيز بلغ الله به الأمل أن يهجم على الرياض ليلة العيد ويبيت أهلها ويبيد ، فسار بعد ما أظلم الليل وأغلس والصبح لم يتنفس فدخل البلد من المسلمين عدوه فرآهم رجاجيل لابن دواس صادرين من ناد أوندوه فعجلوا إليه بالأخبار . فلم يكن له دون ركوب الخيل من بدار ، فخرج بخيله ورجاله ودولته يريد ركن المسلمين مع جماعته فبادر إلى الركن المعد قبالة البلد فلم يدرك منهم أحدا ثم ظهرت العدو التي دخلت البلاد وقطعت سبقة ابن دواس ومن معه من الأجناد ، وشنّ المسلمون عليهم الغارة بالخيـل والجيش والتهبت نار الحرب وزاغت الأبواب من الجزع والطيش ، سم انهزم دهام مع دولته بعد إذلاله وكسر حدته . وقد قتل كثير من رجاله ومشاهير فرسانه وأبطاله منهم حمد بن سودا وعبد الرحمن الحريص وأبو الحبر واستشهد من المسلمين خزام بن عبيد وعثمان بن مجلى .

ثم دخلت السنة الخامسة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها سار عبدالعزيز بالمسلمين إلى منفوحة أيلأ وقد أعد الكمين ، فلما أخذ الصبح في الضياء والتبيين تبينت لأهل البلاد غارة المسلمين ، فنهذوا إلى اللقاء وبادروا من غير بقاء ، فاقتتل الفريقان وحمل بينهم الطعان ، فلما ظهر عليهم الكمين أدبروا منهزمين وقتل منهم سعد ابن محمد بن فارس وشبيب الصنان ولم يقتل من المسلمين إنسان . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى الخرج وكن لأهل نعجان ولم يفتن بذلك من أهلها إنسان ، فلما تبين الصبح وأثار خرج أهلها للقتال على البدار . فاستعجل كمين المسلمين بالظهور ، وذلك لما قدره الله من الأمور واشتد بينهم القتال ثم انكسروا على استعجال ، وقتل المسلمون منهم سبعة رجال وحصروهم في تلك القرية أياما وإيا إلى وقطعوا من تلك النخيل العوالى ، ثم سار عبدالعزيز بمن معه إلى الوشم ودخل ضرما لأجل فقد الأزواد ثم ساروا ولم يكن لهم دون مرارة من مراد ؛ فلما وصل في الليل إليها وقدم في الظلام عليها هيا للحرب كيه ، وأمرهم بالصدق وإخلاص النية ،

فلما تبين الفجر وانكشف وولى مد لهم الليل وانحرف ، تبين لأهل مراة الحال ، فلم يكن لهم دون اللقاء من مجال نخرجوا للحرب مستعدين ولموت مستوطنين ، فلم يلبثوا غير ساعة بعد ظهور الكمين ثم ولوا على أعقابهم مدبرين ، وقتل المسلمون منهم قريبا من عشرين وقتل من المسلمين رجلا ثم انقلب المسلمون إلى البلدان . وفيها أيضا سار عبد العزيز ومن معه إلى الوشم ونزل بأهل الفرعة وأناخ عليها في الليل جيشه وجمعه ، فلما خرج أهلها لقتال المسلمين واستمروا على القتال مجتمعين خرج عليهم بعد ذلك الكمين فولوا مسرعين وقتل منهم سبعة رجال ولم يقتل أحد من المسلمين في ذلك المجال . ثم بعد ذلك بأيام طلب أهل الفرعة من أهل شقرا الدخول معهم في الإسلام فأجابوهم إلى ذلك المرام . وفيها أيضا غزا عبد العزيز بالمسلمين يريد ثرمدا وقد جد لأجل ذلك المسير فسبقه إليهم النذير ، فلما أغار عليهم لم يدرك المراد لتحصن أهل البلاد وجرى الرمي من بعيد ولكنه لا يجدى ولا يفيد ولم يقتل من أهل البلد سوى شخص في العدد ، ثم سار في وجهته وطريقه ذلك وغزوته ونزل بين الفرعة وشيقر وبني هنالك قصرا يكون للمسلمين ثغرا ويضيق على وشيقر وأهله وهذا من سيد رأيه وفعله وأعد فيه للحرب والقتال شرذمة من الرجال ، ولم يزل ذلك القصر مأهولا وبالمسلمين موصولا جامعا لأسباب العماره والنظام حتى دخل أهل وشيقر الإسلام .

وفي تلك الغزوة أيضا وضع عبد العزيز في شقرا خيلا ورجالا زيادة على من فيها ليحسنوا بذلك حالا ويزيد أهل الباطل بهم ذلة ووبالا . وفيها غزا جدعان ابن قعية بأهل عشر ركاب من المسلمين فوافقهم ابن فياض مع غزو معه فناروا عنه مجتمعين وتربنوا قارة في ذلك المكان ثم دعاهم شخص من عرينة بالأمان ، فلما أقبلوا إليهم نبذ العهد وخان ، ولا غرابة في هذا فقد وقع نظيره في سابق الزمان وقتل من تلك الغزاة عبد الله بن براك ومهين بن ذباح وجدعان بن قعية وغيرهم نحو العشرة . وفيها عدا المسلمون على ضرب مقرر في الرياض فاقتتلوا معهم وقتل من أهل الرياض ثلاثة وأصيب شعلان بن دواس ، واستشهد من المسلمين عبد الرحمن المشهورى وحمد بن سليمان القاضى . وفيها أكل الدبى والجراد جميع زروع نجد وأشجاره وحمى الله أئماره .

ثم دخلت السنة السادسة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز فصار بالمسلمين يريد الرياض والهجوم عليها فجذ السير حتى نزل حوالها وعبأ كمينه وعدوته وهياً في ليله سطوته ، فدخل البلدة العادون وأقاموا بها يرتادون حتى لمع بريق الفجر فعلم ذلك الشأن والأمر ، وأقبل أهل الرياض في أشد عزيمة وانتهاض فتجالدوا مع العادين وكانوا لهم مبادين ، واستمر ذلك القتال في ذلك المجال بين أولئك الرجال ؛ فقتل أربعة من أهل البلد فولوا مدبرين وقتل دهمش بن سحيم من المسلمين . وفيها أيضاً سار عبد العزيز بالمسلمين وكانوا لأهل الرياض منتدبين فأسرعوا لذلك الشأن حين تحكّم الرقاد في الأجفان فوصل إلى تلك البلاد ، فعبأ للعداوة من أراد وكانوا نحو المائتين من غير شك ولا مين ، فدخلوا البلد واختفوا منها فيما اطمأنّ وعندهم أن أهل البلد لم يكن لهم فطن وظنوا أن عيونهم قد حكم عليها الوسن ، وقد أراد الله تعالى أن يعلم دهمام بما دبروه حالاً فأتاه من أصدقه مقلاً ، فعند ذلك شمر هو ومن معه عجالاً وأتاهم في مكانهم فرسانا ورجالا وأراد أن يقطعهم دون الجيش الذي أبدى عن البلد اعتزالاً ، فبادره المسلمون حملة واحتملا وشمروا له جلادا وقتالا ، وأقبل بعد ذلك الجيش مشمرا للجلاد أذبالا فاقتتلوا ساعة ، ثم انهزم دهمام وقد قتل من قومه ستة رجال وثلاث من الخيل ونال والله الحمد هوانا موالى ، وقتل من المسلمين شريان ورجعوا بعد ذلك بالأجر والإحسان . وفيها عدا دهمام ابن دواس وأبدى غاية الكيد والإبلاس ، دّرام بالمسلمين قاصمة الظهر ، ولم يدر أن الله تعالى يريد لهم التمكين والظهور ، فأعد لباطل ذلك الكيد عدة وأعدّ لذلك الأمر أهل النجدة واختار ذوى البأى والشدة ولم يكن عند المسلمين توهم ولا يقين مما دبر من حاله وقبيح أفعاله حتى جاء المسلمين النذير يخبرهم بوصوله واستعجاله ، فتفاوض المسلمون في الرأى والتدبير ومن أين يكون الخروج للعدو والمسير ، فأشار عبدالعزيز على والده محمد برأى مبارك رشيد وتدير ميمون سديد ، وذلك أن المسلمين يخرجون من القرى لكونه طامنا خفي وأرسلوا لها سبرا يحققه خبرا ، فلم يرعهم إلا الرمى وصوته فبادروا إليه قبل فوته ، فالتقت الخيل بسرعة وأطلقوا أعنتها متبعة حتى فجئوا دواسا ومن تبعه ، فاشتد بينهم القتال ، ثم تلاحق الجيش والأبطال رحى الحرب واستعر ، ولم يكن لأحد دون الذب عن عمره من مفر حتى إن الله تعالى

جلت حكمته وعمت رحمته أيد المسلمين ونصر ، ورزقهم على عدوهم الظفر ، فقتلوا من أهل الرياض خمسة وعشرين ثم ولوا بعد ذلك مدبرين وغنموا أربعاً من الخيل وأخذوا جميع الركاب ولم يكن لهم غير بلدهم من طلاب رقد كان عبد العزيز قبل قدوم هذا الخبر يشتكى من ألم الحمى بعض الضرر ، فما جاءت به بذلك الأخبار لم يبال بما معه من الإضرار بل شمر ساعده وشد الإرار للقاء الأعداء والفجار ، وقم في ذلك الأمر وقعد وجد فيه طاقته واجتهد حتى أنجح الله تعالى له ما قصد وحقق له في أعدائه سؤله وبلغه في أهل الباطل مأموله . وحده في تلك الأفعال أهل الإيمان والكمال وقتل من مشاهير خيالة أهل الرياض على القروا وسعد الرابع ومانع بن مشوط ومبيريك بن مبارك فشفاه الله تعالى بذلك قلب عبد العزيز والمؤمنين وأذهب غيظ قلوبهم أجمعين . وفيها عزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز الحسا فأزال الله تعالى بذلك الغزو عن قلوب المسلمين الهم والآسى وكانت خيل المسلمين قريبا في العدد من ثلاثين فوصل إلى تلك الديار بعد ما أخذ النهار في الإدبار وذهب ضوء شفق النهار فأناخ قريبا من البلاد وأرسل عينه إلى المطير في ليرتاد ، فألفاهم وقد أخذ الرقاد من أجفانهم المراد وحكم عليهم الكرى بالإجهاد ، فأخذ في أهبة دخول البلاد بالتهيئة ، والاستعداد ، فلما انجلى من الليل غياهبه وبدت من الصبح سوافره ومذاهبه ، هجم عليهم المسلمون فيها وجالوا في قاصيها ودانيها واستداروا في بيوت تلك البلد يقتلون من يشاهدونه من أحد ، فلم يسلم إلا من اختفى أو شرد فقتلوا نحو السبعين من أولئك المشركين وأخذوا من الأمتعة والسلاح والدواب ما لا يحصره العدد والحساب وحسن للمسلمين في ذلك المآب . فلما أرادوا إلى نجد الرجوع والانقلاب أغاروا على أهل المبرز في ذلك الصباح وقتلوا أيضا في طريق تلك النخيل من أهل الفلاحة بعض الرجاجيل ثم انقلب المسلمون راجعين ، فلما أتوا العرمة وافقوا أناسا مجتمعين من أهل الرياض وحرمة فقتلوا أهل الرياض وأخذوا أموالهم وتركوا أهل حرمة وحالهم لأنهم إذ ذاك مهادنون وفي السلم داخلون ؛ ولما وصل المسلمون إلى الرياض في هذه الغزوة أغاروا على أهلها فجوة وأخذوا لأهل منفوحة أغنام ورجع كل إلى بلاده بالسلامة والأغنام ، وقسمت تلك الغنائم في الدرعية بين الغزاة بالسوية . وفيها وقعت الردة من أهل وثيثا وذلك أن أهل وثيثا لما أرادوا أن ينبذوا الإسلام وبيدوا

للعهد نكثا أرسلوا إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمدا يخبرونه بما عزموا عليه من الشأن ويستنجدونه على القدوم ويحثونه على الوصول إليهم والهجوم ، فقال ذلك ما كنا نريد وهذا هو الرأي السديد فقتلوا عند ذلك عبد الكريم بن زامل ودخلوا مع إبراهيم في طريقه وعهده وانتظموا في سلكه وعقده . وفيها غزا عبدالعزيز حرس الله مہجته بالمسلمين وآل كثير يريد سبيع لما نقضوا العهد ، فجد في السير وأخذ هائرا في الجنوب يريد سرعة الوصول فوافقهم على مسيح الدبول ، فأغارت عليهم من المسلمين الخيول ولحقهم الجيوش مثل السيول ، فوقع بينهم المصادمة والقتال ثم كان عن قتل مائق بن شاية الانفصال وأخذ المسلمون منهم نحو المائتين من الإبل ثم رجعوا إلى بلادهم وقد أدركوا الأمل . وفيها غزا المسلمون سدير وقصدهم بذلك بعض العربان فلم يوافقوا أحدا في ذلك الزمان .

ثم دخلت السنة السابعة والستون بعد المائة والألف . وفيها كتب دھام ابن دواس الشيخ والأمير محمد بن سعود على أنه يريد الدخول في المهج الحمود ويلتزم القيام بجميع شرائع الإسلام ويحافظ على الوفاء بالعقود ويقسم أعظم الإقسام إنه يوفي العقود فوافقه على ما طالب وأراد ، مع عامهم بأبد لا يوفي بوعده ولا ميعاده ، ولكن لا يسعهم أن يصدوا عن طريق الحق والرشاد ، من أراد الدخول فيه من العباد وطلب الدلالة والإرشاد ، ولكن طلبوا منه على سبيل التوبخ له والتنكيل وطريق التأديب عن التغير والتبديل ألفي زر معجلة وأموال المهاجرين يرد كل لمن هو له ، فالتزم بذلك الصدق والقيام وأظهر غاة الانقياد والالتزام ، وأرسل إلى الشيخ والأمير ما شرط عليه من النقد في التقدير . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبدالعزيز حرسه الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى إلى سدير لملاقاة ذلك العدو الكثير ، فلما وصل إلى جلاجل والظلام قد أخذ في التراجع وأقام يهيم التدمير لملاقاة العدو الكثير ، فلم ينبلج من الصبح عموده حتى استعدت أحزابه وجنوده وكن في موضعه الكمين وعرف أهل الغارة من المسلمين ، فلما استنار بياض الصباح وخرجوا للقاء والكفاح ، فلم يابثوا للقتال إلا يسيرا ثم صار ذلك الفرع ينهزم مكسورا ، ولم يكن لهم عن دخول القرية من براح وفي الحقيقة ليس عليهم في ذلك من جناح ، إذ لا طاقة لهم ولا لغيرهم بالمسلمين في الكفاح ، وقتل من أهل البلاد عشرة رجال في التعداد

وقطع المسلمون عليهم بعض النخيل ثم انصرفوا راجعين بالتأميل ، وقتل من المسلمين فرحان التامى وصالح بن محمد بن صالح ؛ فلما وصل المسلمون إلى رغبة فإذا غزو من أهل اليمن قد أخذوا فريقاً من سبيع في الذمة ونهبه ، واستولى على مال ذلك الفريق وسلبه ، فأخبر ذلك الفريق عبدالعزیز في أثناء الطريق فشمّر ساعد الجد والعزم ورفع إزار المهمة والحزم ، وسار في يومه ذلك من ساعته مع من معه من أحزابه وجماعته وحث على ذلك الجياد ، لم يثنه حرسه الله البعد والبعاد ولا خوف ملاقات الأجناد ، وسأل الله تعالى أن يعينه على ذلك المرام والمراد ويبلغه ما أمله من أهل الفساد وأخذ سائراً في آثارهم متطلباً لأخبارهم حتى وصل إلى فيفاء سهلة تسمى إذ ذاك قذلة ، فإذا غزو اليمن قد ألقى بها رحله وطرح فيها ثقيله وثقله ، فلم يكن لهم دون لقاءهم ساعة ولا مهلة حتى تلاحمت الخيول والأبطال وتلاحقت بالجيوش والرجال وطال بينهم الطعان في ذلك المجال ، وصدق المسلمون النية لمولاهم فأنجح قصدهم ومناهم فشدوا على أهل الشرك والضلال ، ولم يكن لهم دون هزيمتهم من إمهال فقتلوا منهم نحو الخمسين وأسروا مائتين وأربعين وأخذوا ما معهم من الخيل والركاب ولم ينل المسلمين مصاب ، وكانت ركائب المسلمين فوق المائة على التحقيق لا التخمين وخيلهم نحو الأربعين ، وانقلب المسلمون إلى أهلهم راجعين ، وكانت هذه الواقعة العظيمة والمنة الجسيمة في شهر رمضان فحصل السرور والتهان .

ثم دخلت السنة الثامنة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزوة تسمى غزوة المديهم وكانت في صفر ؛ وذلك أن عبدالعزیز أعزه الله تعالى بالإسلام وأنجح له السؤل والمرام غزاً بالمسلمين ومعهم في تلك الغزوة دواس بن دهام مع قومه فسار عبد العزيز مجداً في يومه ولم يزل في السير مجداً يبذل فيه جـداً يؤثر الوحد فيه على الدميل ولا ينيخ فيه إلا القليل وقصده بذلك الغزو والسير فرقان من آل ظفير يسمون مديهم وقد كانوا على جراب ماء بنجد مقيم ، فنزل بمن معه قريب ظلمة الليل البهيم وأرسل عينه إليهم فنظرهم وأشرف عليهم فإذا هم على التحقيق فريقان ولقاؤهم لا يطاق ولا يدان وليس لأحد به يدان ، فلم يكن لعبد العزيز سوى طلب المعونة والانتصار من الملك القهار على أولئك الأشرار وبذل الجد والاجتهاد في قتال ذوى البغى والفساد وتفاوض المسلمون بينهم في صفة القتال والتلاق لأن الفريقين كانوا في المنزل على افتراق ، فتخوف



المسلمون منهم أنهم إذا صبحوا فريقا غشيم الفريق الثاني بالتطبيق وكان المسلمون إذ ذاك ليسوا بالكثير وركابهم لاتزيد على مائة وثلاثين بالتقدير فأشار عليهم المبارك الميخون برأى به النجاح يكون وذلك أنهم يجتمعون ويحملون على فريق رجلا فإذا انكسروا انقلبوا إلى ركبهم فركبوها عجلا فيحملون بعد ذلك كافة مجتمعين فيهمزونه أجمعين فلما أضاء الصبح ونور أخذ المسلمون في ذلك الرأى المدبر، فلم يفجأ تلك الأعراب إلا أسنة المسلمين الأحباب فبقوا معهم ساعة في جلال وبذل وجد واجتهاد حتى عاينوا ما ليس لهم به قبل ، فولوا سراعا على عجل وقتل منهم نحو الثلاثين وأخذوا أموالهم أجمعين وقتل من المسلمين المفيليث ورجعوا إلى بلادهم بتلك الغنائم ولم يقع لهم مثلها في المقاسم . وفيها في ربيع الثاني جرت على المسلمين وقعة الحائر ذات اللقب المشهور والاسم الظاهر وذلك لما اقتضته الحكمة الربانية والقدرة الصمدانية من وقوع أسباب المحن وفتح أبواب الشر والفتن وابتلاء أهل التوحيد والإيمان بذوى الضلال والعصيان وتسويل أولياء الشيطان لكل ضعيف اليقين والإيقان أحوال الردة والافتتان وتميز أهل الباطل والفجور والضلال من ذوى التوحيد والكمال حتى يتميز ذلك لدى الناس ويظهر الطيب البرأ من الأدناس من الخبيث المتضمخ بالأرجاس ويشاهد حاله ويستبين (ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) فكان سبب تلك الواقعة والنازلة الجامعة أن أهل اليمن لما أخذوا وأسروا وقتلوا في قذلة وقهروا وشمروا للشار أطراف الذيل وجدوا في السير للنهار والليل ، فلم يخطئوا عن الوصول والقدوم والمسير إلى نجران والهجوم فشكوا لهم الحال وما عاينوا من الوبال وشرحوا لهم على التحقيق ما صدر عليهم بذلك الطريق وأن أصحابهم في الأسر والأغلال يعذبون كل يوم على التوال ودعوهم إلى المسير والتسيار والأخذ لهم بالشار وانتدب لهم بالمراد تلك الجماعة والكل منهم مد للشر باعه وكان الداعية في ذلك الشأن رئيس نجران واسمه الحسن بن هبة الله قبحه الله وأخزاه ، فجمع جميع أهل نجران من الحضر والبدوان والتأم معه قبائل اليمن فاقبلوا سائرين على عجل حتى اجتمعت تلك القبائل والدول ووطئوا بلاد المسلمين فجاءهم خبرهم اليقين على التفصيل والتعيين ، فجمع عبدالعزیز رحمه الله تعالى مقاتلة المسلمين والإسلام ممن بلغ سن الاحتلام وأمرهم بالتأهب والقتال والاستعداد للقاء ذوى الضلال وسار بهم جميعا يريد قرية الحائر وكانت من بلاد المسلمين ( ٥ - تاريخ نجد - ثان )

وقد أرسل لهم قبله مددا يكون عوننا وناصرنا فلما وصل إليها وأشرف عليها وقد كان رئيس نجران بها نازل ولأركانها حافل وبقي بها مدة أيام وليال كل يوم يقع بينه وبين أهلها قتال ، وقد كان المسلمون في مسيرهم إلى الحائر الذي نزل به ذلك العدو الجائر والجند المارق الفاجر يتكلمون في مسيرهم إلى العدو والذهاب بدلائل الخيلاء والإعجاب الذي يكون غالبه المعاقبة والعقاب ؛ يصير سببا إلى الابتلاء من رب الأرباب ، حين التقى المسلمون بأولئك الأحزاب وقد وطنوا أنفسهم في ذلك الموقف على ابتغاء الثواب وبذل غالى الرقاب حمى بينهم الوطيس ، ولم يحصل بين الأبطال تنفيس ، وبقي فرسان الإسلام تجول ورجاتهم تسأل الله النصر وتصول ، حتى قاربوا أن يكشفوا أولئك الأعداء ويلبسوهم ثياب الردى ولكن أراد الله تكملة أوليائه وخذلان أعدائه وتبيين حزب المؤمنين (وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فكتب على المسلمين الهزيمة في ذلك اليوم وتبع ساقهم أولئك القوم وحق عليهم الهزيمة وقتل منهم مقتلة عظيمة تقارب على التحقيق واليقين أربعا من عقود المئين فصارت هذه الحادثة والنازلة الكارثة طهرة وتمحيصا للمؤمنين ومحقا للضلال والمعتدين ورفع درجات للمستشعدين وعبرة للمعتبرين ، وأقام رئيس نجران أياما بذلك المكان ثم ارتحل بالعدوانة فكان ذلك الباطن مكانه ، ولما نزل بذلك الموضع المذكور خرج أهل ذلك القصر المشهور إلى إبل له نحو عشرين وأخذوها وانقلبوا راجعين ثم تحصنوا في مكانهم وقتلوا من جماعته ثلاثة أشخاص من ساعته ثم بدا عليه دهام بن دواس وأهدى عليه هدايا لقصد الإيناس ورغبة مما في قلبه من الشر والإفلاس أن يحشيه ويسير به على بقية المسلمين والناس ووعدوه على ذلك كثيرا من الأموال وأنتك إن جردت سيف الجهاد والقتال في هؤلاء الذين اعتدوا في الفعال وفتحت بلدانهم وقتلت أعوانهم فزت بالسودد والحامد ، وألقت إليك نجادا بالمقال وصرت رأسها ورئيسها وغرتها ونفيسها وغدت حاكمها وواليها تنفذ التدبير في أسافلها وأعاليها ، فهش الحديث عند زخرف ذلك المقال وبش حين ماوعى ماموّه عليه من الأقوال ولم يدر حاله ولم يختبر أفعاله بل بدا له أنه ناصح أمين يريد له الظهور والتمكين وما عرف أنه خئون أفاك ومعتد سفاك وحشه على التأخر والإقامة ، وأظهر حشيمته وإكرامه ثم أرسل أيضا دهام إلى عريعر بالخبر والإعلام ويحثه على الظهور إلى نجد ويقرب له المرام

والقصد ويستجيشه في ذلك العام ويخبره أن أهل نجد في غير نظام وأن كلمتهم متفرقة وأحوالهم متشتتة متمزقة ، وفي إقامة رئيس نجران تلك المدة كاتب المسلمين في القوم الذين كانوا عندهم مأسورين فقبلوا ذلك الحال وكان الشرط بينهم في المقال أن يطلق ما عنده من أسرى المسلمين ويطلقوا من عندهم أجمعين ، وقد كان الرئيس المذكور عنده من أهل الإسلام ما هو مأسور نحو الثلاث من المئين فأطلقهم جميعا مكرمين ، وقد مكث في ذلك المكان نحو خمسة عشر يوما من الزمان ، وقدم عليه أيضا في ذلك المكان ذوو الضلال والطغيان زيد بن زامل وفیصل بن سويط وأثنوا عليه بتلك الأفعال وحمدوه في ذلك القتل والقتال والتزموا له إن بقي جزيل الأموال ، فلم يلق إليهم بالا ولم يرع لباطل ذلك المقال وأرسل عريعر إليه يندبه أن يقيم بمكانه حتى يقدم عليه وأرسل إليه بالصحف والمكاتيب وزخارف الأباطيل والأكاذيب ومموهات الرسائل والأرقام الموعود فيها بنفائس الأموال والحطام وأجاويد الخيل الكرام إن بقيت في ذلك المقام حتى أقدم عليك بالجيوش العظام ويمنيه منكرا وزورا ويعده باطلا وجفورا ( يعدم ويمنيه وما يعدم الشيطان إلا غرورا ) فلم تجد تلك الوعود فيه ولم يجنح إلى ما يعده ويمنيه ، ولم ترض للاقامة شكيمته ولم ترض بباطل الوعود شيمته ، ولم تركن لما زخرفوه همته ولم تصغ لها عزيمته ولم تكن نفسه أبية عن الأطماع بل تطمع في المال غاية الإطماع وتنزع إلى حبه أشد النزاع ، ولكن لما قذفه الله تعالى في قلبه من الرعب والافزع والخوف والاجزاع لم يقم غير ما ذكرنا في تلك البقاع ، وأزاله الله تعالى عنها وطرده وقذفه في هوة الذل وأبعده ، ولم يحسن له بعد تلك الأفعال شأن ولا حال بل كتب عليه الهوان والاذلال وأصيب بالنقمة من الكبير المتعال وقال المصنف في ذلك الحال :

عين جودى بواكف هتان	واسكى عبرة من الأجفان
وأفيض على الحدود دموعا	تحكى صوب الغمام في الحملان
واهجرى لذة الكرى في الدياجى	قد كفى ما جرى من الأحزان
واذكرى معشرا وابكى مصابا	ما جرى مثله بماضى الزمان
لهف نفسى على فراق صحاب	قد تتالوا بطاعة الديان
نهدوا للجهاد صدقا وباعوا	غالى النفس فى رضى الرحمن

أسرعوا في امتثال أمر إله إذ دعاهم إلى قصور الجنان  
صدقوا بيعة عليه وأوفوا ومضوا مسرعين للغفران  
فأنيلوا الحياة مع مشهى الـ جنات والخور في رفيع المكان  
وانقضى راجعا بخزي وذل من أتى غازيا مع النجران  
وفيهما خرج عريعر إلى الدرعية مع بني خالد كافة وأهل الحساء وسائر الرعية ، فلم  
تصل جيوشه وأجناده وعساكره وأمداده إلى رمال الدهناء حتى اختلج رئيس نجران ذهنا  
ومزج الخوف لبه وملاً الله بالرعب قلبه ، فلم يلبث بعده إلا قليلاً ثم جد السير إلى بلاده  
وخدا ودميلاً وآثر الليل هادياً ودليلاً ، فلما وصل عريعر إلى فياض الجلسا ، وارتوى  
من تلك الحياض القعسا طاب كثير من أهل البلدان نفساً .

ولما استقر به القرار في معمور تلك الديار ، وانتشرت جنوده في فسيح ذلك  
الوهاد ، وملئت تلك الفيافي والمهاد ، تبين من أهل نجد الارتداد ونجم الضلال والنفاق  
وقام الباطل على ساق ودعا ، فلبت بسرعة له أعوانه وأجابه على الفور أخدانه  
ومسارعت إلى دعوته شياطينه وإخوانه ، وأوّل من أجاب لداعيه ولبي الصوت مناديه  
وبادر إليه عجلاً وسار له هرولة ورملاً ، ورام أن يبلغ بذلك الباطل أملاً ، وشهر راية  
الفتنة والإبلاس دهام بن دواس فكان مما رام بها على خيبة وإفلاس وأهل منفوحة  
سلكوا معه في ذلك العرين وتتابع نجد من ذوى الإسلام والعهد أجمعين ( ومن  
الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على  
وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ) ثم إن عريعرا استشار من أهل  
نجد ذوى المعرفة والشأن في المنزل الذي ينزله من الدرعية مع تلك العربان ويسع  
الحضر والبدو من أهل الحسا وسائر البلدان ، فاستقرت الفكر والأذهان على أنه  
ينزل بين قرى القصير وقرى عمران كما هو معروف بذلك إلى الآن فوجلت قلوب  
أهل البلاد مما جاء به وكاد ، وما جره عليهم وقاد ، وملئت قلوبهم مخافة ومهابة حين  
ضرب خيامه ومدّ أظنابه ودهشوا من ذلك الكيد بالإرعاب وأزعجهم ما رأوا من  
الأجناد والخيلاء والإعجاب وما شاهدوا من عظيم تلك الأسباب وبهرت قلوبهم تلك  
المدافع التي ليس أحد دونها بممانع ، ولم يكن للمسلمين . غير الله دافع ولا سواه من معين

ولا مدافع ، فأنابوا إلى الله واستسلموا ولجئوا إليه في كشف ما به دهموا وتحققوا أنهم على الدين المنصور وجزموا ، وجردوا سيوف الهمة على القتال وعزموا ، وعلموا أنهم يرحمون ، فأعينوا ورحموا وكل صدق النية لله وأناب ، وأخلص في الإيمان والاحتساب رجاء من الله في جزيل الثواب وتأميلا من المولى أن يحسن لهم المآب ، فلما أناخ بذلك المكان الفسيح أقام ذلك اليوم ولم يبد حربا ليستريح ، فلما بدا اليوم الثاني نهض مسرعا من غير توان حين أكلت الطلوع شمس مشمرا للقتال طيبة نفسه وقرب المدافع والآلات وتلك الجيوش المزعجات إلى قريب من الجدارات ، وأقام يرمي بها رميات يريد أن يهد تلك اللبئات ، ويقض تلك البروج المستكينات ، وأخذ يحث الرماة ويزجر ويرد عليهم ويصدر ، فلم ينل والله الحمد المراد وصدر وما أفاد ولم ترم مدافعه لبنة من جدار ؛ فكان للمسلمين ذلك اليوم أعظم اعتبار وزيادة يقين في دينهم واستبصار ، وقوة رجاء في الإعانة والانتصار فكأنما والله قد نشطوا من عقال أو خرجوا من حبس واعتقال ، بل كأن الخوف لم يخطر لهم على بال ولا ريب أن هذا تثبيت من الكبير المتعال ، وتأيمد من ذى العزة والجلال ، وإلا فقلوب البشر لا تطيق بعض ما صدر ولكن كما قال تعالى ( وإيربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام ) وقال تعالى ( ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ) ولما كان آخر النهار قبل وقت الأعصار من ذلك اليوم المذكور خرج المسلمون لاعرضة خارج السور وكان ذلك بأمر عبدالعزیز حرسه الله تعالى من جميع الشرور ، ففرح بذلك أولئك الجنود وقالوا هذا المنى والمقصود ، فأسرع عليهم الأقوام وكانوا على تهيئة في الانقسام فأطلقت الفرسان على من خلف السور كان ، وأسرعت الدول تسير على عجل تريد من علو الباطن الدخول حتى يفوزوا بالمأمول ، فدخل عند ذلك عبد العزيز ومن معه من أهل النجدة وكان علو الباطن مراده وقصده ، فسابقهم إليه قبل الدخول ولم يكن لهم إلى التمكين فيه وصول فلم يكونوا من مأمولهم على حصول ، وأخرجهم المسلمون منه قسرا ونحوهم عنه قهرا ، وقتلوا منهم رجالا وأخذوا فرس ديوان ، وكان لعريعر خيال وقتل من المسلمين سلطان بن عدوان وهو يدعى ابن نعران وبني عبد العزيز في ذلك ما هدم وأحكم بناؤه وردم ، وأقاموا على ذلك أياما قلائل كل يوم ينصبون

للحرب الحبائل ، ويعملون الآراء والمكر فيما يقع بالمسلمين من الإضرار والضرر ، وقد أقاموا من الأيام مدة في أعظم ضيق وحر ج وشدة ، وقد بلغ الضرر منهم حده والكل منهم يتحسر ويتندم على مجيئه الذي تقدم وبسوف تریاق الأسف والحسرة ويعض أنامله من الندم حيث أجمع على المسلمين أمره ، وأضحى عریعر ذلك الجبار بما شاهده وعاینه وصار يدعو بالخیبة والعثار والویل والدمار على من علیه أشار بذلك المسیر والتسیار ، فكانوا فی المنزل فی غایة الذل یقاسون من الظماً والعطش شدائد لبعدهم عن المیاء والموارد وكل یوم تغیب شمسہ وتطلع تطلب نفسه الهروب وتزع ویروم الرحیل والترحال لماوقع به من الوبال ، وتأتیه شیاطین أولئك الأعوان وتثبطه على الإقامة بذلك المكان مثل دھام بن دواس وزید بن زامل وأمثال هؤلاء الذین كل منهم لغرضه محاول ولقمع الذین وأهله آمل ، فیلین لهم بعض اللین وینخون أيضاً بنی عمه علیه فیأتونه للراضة ویستکین حتی نفخ الله تعالى سحره وطاش وأراد العجالة والانخیاش ، فأنوا إلیه وتلبیوه وحاولوه بطنا وظهرا وقلبوه ، فلم یروافیہ وجدا ولم یجدوا به وردا ولكنهم أدركوا منه تسیرا ومعدا وحدوا له فی ذلك حدا وذلك بعد ما أنوا إلیه عتاة أهل الحریق وزینوا له الإقامة وقالوا نحن نعرف المسبا والطریق ونحن لك القادة وستری منا لك الإفادة ، فراض إلى قولهم وقصد معرفة فعلهم ، فلما توثقوا من راضته شرعوا فی الرأی وإفاضته ، واستقرت المشاورة والمعاودة ، على أن غدا تكون بیننا وبینهم المناهدة ونصدقهم الحرب والمجاهدة ، ونتفرق علیهم ثلاث فرق ، ونظموا رأیهم ذلك حین انتظم سواد الغسق وأخذ الرأی جهده من الحدق ، فوعت ذلك الترتیب آذان واعیة من قریب ، فأسرع بذلك من وعاه وهو سالم بن جمهور أثابه الله خیرا وجزاه ونقله إلى عبدالعزیز ونماه ، فلم تستر بالضياء جهات الأرض حتی قضی عبد العزیز من الاستعداد للقائهم الغرض ، فلما ارتفع سناء النهار سارت تلك الأجناد الکبار تروم الحصن والجدار ، وأخذت القنبرة والمدافع فی لفح الشرار واستعظم الأمر واستطار ، وزاغت القلوب والأبصار ، وأخلصت أهل التوحید السرائر لعالم الضمائر ، فصارت المهاشیر ومن معهم على الزلال وكافة بنی خالد وأهل الحسا ذوی الضلال نحروا جدران سمحان وأهل الحریق وابن دواس



وابن فارس وأهل سدير والوشم وبقية العدوان ، قصدوا قرى قصير وصار قصدهم في ذلك المسير واكتنفوا جميع البلدة والكل قد بذل جهده وأرهف من ماضيه حده وراموا في ذلك أمرا إداً، وكل قد حارب ربه وتعدى ، فلم يزل كل منهم رشداً ولا حاز مفخرا وسعدا ، ولا نال من مراده مطلوباً ولا حصل من سؤله مراما ولا مرغوباً بل رجع كل منهم خائباً مرهوباً خائفاً وجلاً مرعوباً ، وقتل منهم نحو الخمسين وهربوا عن المدافع مدبرين ، فلو يلو أحد منهم إليها ولا عرجوا تلك الساعة عليها ، لما عاينوا من الإرعاب ( وصب عليهم ربك سوط عذاب ) ، وكان عيد بن تركي في المقتولين ، وكان والده يديم عليه البكاء والحنين ، ويتفجع عليه في كل ساعة وحين ، وانهزم رئيس المدافع بعد ما قطع الله يمناه وتنحت يده قدر ميل في الفلاة ، ولم يحصل له بعض ما تمناه ، ثم لما ولي عنهم الارتياح كروا على مدافعهم بالارتجاع ، فلم يجرد بعد هذه المرة ومذاقتهم لتيك المرة ومقاستهم تلك الأهوال المرة قواضب قتال ، ولم تسدد للرمى سهام ولا نصال بل باءوا بالخزي والوبال وشتات الشأن والحال وهموا في غدهم بالمسير والارتحال ، وكان جملة من قتل من المسلمين ستة رجال محققين . قال المصنف :

نفوس الورى إلا القليل وكونها	إلى الغى لا يلقى لدين حنينها
فسل ربك التثبت أى موحد	فأنت على السمحاء باد يقينها
وغيرك فى بيد الضلالة سائر	وليس له إلا القبور يدينها
وأنت بمنهاج الشريعة سالك	وسنة خير المرسلين تبينها
فكن صابراً إن حلّ أو جل حادث	فعاقة الصبر الفقى يستزينها
وإياك أن تبدى لخطب مخافة	ولا جزعا من حادثات تشينها
وإن شئت من سحب الحوادث بارقا	فلا تخش لو يزجى إليك هتينها
فكم فرجت من شدة إثر شدة	وكم محنة مرت فسرت سنينها
وكيف نفوس المخلصين ينالها	هموم وخلاق البرايا عوينها
فقد سارت الأحزاب يوم عريعر	محزبة غث الورى وممينها
وجاءوا بأسباب من الكيد مزعج	مدافعهم يزجى الوحوش رنينها
وأبدوا أمورا يذهب اللب عندها	ويسقط من بطن الرداح جنينها

وأقبل قادة الضلالة والردى  
وتبغى لأهل الدين فى الأرض وقعة  
وهتك حمى البطحا ومن حل سوحها  
وراموا أصول الحق والدين والهدى  
وهدم دعائم المحجة بعدما  
وتغير منهاج تألق نوره  
ولكنهم حادوا عن الرشداً وابتغوا  
ومن يعيش عن ذكر الإله تضله  
نخانت لهم نجد لما قد أتوا به  
وهز ذوو الإسلام أعظم هزة  
لقد زاغت الأبصار ساعة أقبلت  
ولكن مولى النصر ثبت أهلها  
فقام بها عبد العزيز مشمرا  
فآبت قلوب الناس من بعد طيشها  
فأضوا وقد راضوا يقينا وجردوا  
وقد وطنوا للوت والله أنفسا  
وليس لها إلا التصبر واللقا  
فنالوا عظيم الفوز والعز والمنا  
وآبت جيوش الفسق بالحزى والردى  
أبى الله أن تعالى على الدين راية  
وأن يظأ الفساق فى ذلك الحمى  
فلا زالت البيضاء يسمو منارها  
بحكم إمام المسلمين وعدله  
ولا برج المولى معزا وناصرها

وساداتها تبغى الهداة تهينها  
يغنى بها فى كل قطر مهينها  
وسلب غوان ماتبدل عينها  
يريدون أن يجتث منها متينها  
أشيد ذراها واستقر رصينها  
فأبصره غرب النواحي وصينها  
مناهج آباء تغير دينها  
شياطين لايفك عنها قرينها  
ولم يبق فى الإسلام إلا أمينها  
على الدين بالبلوى فبان كمينها  
بنو خالد أظعانها وظعينها  
كما هو فى دفع الأعادى يعينها  
وساعده فى الحروب متينها  
وقرت عيون واستسر حزينها  
قواضب غضب ليس ينبو سنينها  
ليل الرضى والعز هان ثمينها  
من الله جيش والثبات كمينها  
وما نال هذا بالنفوس ظنينها  
وليس لها إلا الشنار رهينها  
فثربو ضلالات ويسمو مهينها  
ويهتك من تلك العوالى حصينها  
ويزهو بحياها ويصفو معينها  
تحاط نواحيها ويحمى عرينها  
سعود الذى يهوى العلا ويزينها

وفيهما طلب دهام بن دواس الهدنة من الشيخ والأمير محمد فأجاباه إلى ذلك المقصد واتفق على ذلك منهما الرأي والنظر وكان ذلك من أدق الفكر ، فهو دن مجانا وأقام في الهدنة زمانا يقصر عن السنة عدده بل نحو عشرة أشهر أمده . وفيها في ذى القعدة قتل محمد بن فارس وولده عبد المحسن وذلك أن أولاد زامل أخيه وأبنا من جماعته تحققوا الردة منه وفيه فأرسلوا إلى الشيخ والأمير يخبرونهم بذلك الأمر الخطير ويعاودونهم على قتله وولده قبل أن يقع ذلك منه ويصير ، فنهوهم عن ذلك وأبوا ولم يسهفوه على ما طلبوا بل زجروهم غاية الزجر عن ذلك المرام وأن عقد الهدنة قوى الإحكام ، فلم يجد فيهم ذلك التهديد ولم يبالوا بذلك الوعيد ، ولا أثر فيهم ذلك الكلام بل أثخنوها بالكلام وسددوا لهما من الردى مصيب السهام وأوردوه وابنه حياض الحمام في مجلسه الذي لا يرام ، وأسرع إلى ابن دواس تلك الأخبار فنهض من ساعته في المبادرة والابتدار إلى منفوحة مع جماعته وقد وصل الخبر بذلك إلى الدرعية في ساعته ، فأخذ عبد العزيز وكافة المسلمين في السير إلى منفوحة مسرعين مخافة أن يسرع إليها دهام بمن معه من المبطلين . وقد تقدم أمامه كتاب من الشيخ إلى ابن دواس يخبره أن هؤلاء الجماعة الذين فعلوا تلك الأفعال طلبوا ذلك منا وعالجونا عليه قبل لما تحققوا من ابن فارس الاختلاف والاختلال فزجرناهم عن ذلك وأغلظنا عليهم المقال إلا أنا ذكرنا لهم أنا لا ننفيك بل نذب عنكم ونؤه بكم ، فإن كنت تريد على الهدنة البقاء فإياك أن تسلك سبيل الهلاك والشقاء وإن كنت تريد النكت والحراية فاسلك منهجه وأسبابه ، وجاءه الرسول وقد قرب به إلى منفوحة الوصول ، وجرى بينهم من القتال فصول ، وقتل من أهلها رجالين تلك الساعة وقتلوا منه واحد ، حين مد لدخولها باعه ، فلما قدم عليه الرسول بالكتاب وعرف خوى الخطاب بادر إلى بلده بالانقلاب ، فلم يصل عبد العزيز إليها ومن معه إلا وقد آب ؛ ثم إن عبد العزيز بعد ما خرج من منفوحة سار إلى قصر الغدوانة وأقام فيه أياما يصلح شأنه ، ثم خرج منه وقصد مكانه . ثم دخلت السنة التاسعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها في ربيع الأول اعتدى دهام بن دواس وأبدهى الحيانة والإبلاس ، فجمع زيد بن زامل وغيرهم فعدا على الصبيحات وأخذ منها طرشا كثيرا ، وخرج أهل منفوحة فاقتتلوا معه وقتل منهم ستة أو سبعة وقتلوا منه نحو ذلك وكان لهم عنه أقوى منعة وثارت بينه وبين المسلمين

بعدها الحراة وهو الذى فتح من الشر بابا ودعا إلى ذلك أعوانه وأحزابه ، وفى ذلك من السر المصون والغيب المكنون مالا تحيط به الأفهام ولا تدركه أفكار الأنام ، بل تقع التقادير والأقدار وتصدر إرادة الجبار على غير ما يحول فى الحلد والأفكار وما لا يتخيله المتفكرون ولا ينتجه المتفكرون ليتذكر أولو الألباب ويقفوا بالتسليم والاحتساب لما دبره رب الأرباب، ويحصل لهم الأجر والثواب إذ كانوا لأحكامه وإبرامه يسلمون ( وعسى أن تكزهاوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ) فكانت هذه القضية وصدور هذه الخيانة الردية سببا لخروجه عن بلده بالكلية ومبدأ لذهابه وأتمودجا على عذابه .

وفى منسأخ ربيع الأول توفى الأمير محمد بن سعود رفعه الله إلى جنات الخلود وآمنه يوم الفزع والورود وسقاه من حوض محمد المورود . وفيها بايع عبد العزيز أهل الإسلام وأعطوه على الإمامة عقد الأحكام وأقبل على المبايعة والمعاهدة والمتابعة جميع الخاص والعام من سائر الأنام ، وقدم لذلك المسلمون من البلدان القاصى منهم والدان وتتابع على ذلك الحضر والبدوان ، والشيخ رحمه الله تعالى هو رأس ذلك النظام والمحكم للعقد بالإبرام ، وكان يتلو عليهم أحكاما وموعظه وتعلما ( فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ) وأسقط حرسه الله تعالى جميع المظالم وأبطل كافة المغارم وارتفع عمود الحق واستقام وانتظم أعظم انتظام وتأود غصن المحجة البيضاء وأقبات الدنيا على رعيته فيضا وملئت قلوب العدا بما شاهدوا من سيرة الهدى حسرة وغيظا وشهرت رايات الإسلام فى الأقطار وسارت بالفتوح الركبان فى سائر الأمصار وطارت قلوب أهل الضلال أى مطار ، وزاد أهل الإيمان بذلك يقينا وتسليما وجدوا فى الدين والتوحيد تفهما وتفهما ( ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ) . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبدالعزيز الرياض ، وذلك أنه حرسه الله تعالى سار بمن معه إليها وملك بروج حصان وأدرك منها نيلا ، فلما تبين الصبح وانتشر الناس بلغ الخبر دهام بن دواس فأرسل سريعا فى الحال رجلا من جماعته خيال إلى سبيع وكانوا قريبا منه فعاجلوا بالحجى والإقبال وبادروا فى سرعة الامتثال ، فلم يشعر المسلمون إلا بنخيلهم فى اقتبال ، ثم خرج ابن دواس مع جماعته لما علم مجئ سبيع من ساعته وقصده الخديعة والمكر بالمسلمين ( ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ) حينئذ أمر عبدالعزيز

المسلمين بالظهور والخروج والنزول عن تلك البروج ، ثم إن دهام بن دواس خرج مسرعا إليهم يريد أن يناوشهم الحرب ويشغلهم حتى تقدم سبيع عليهم ، فعند ذلك سدد الله تعالى عبد العزيز وثبته وحماه من ذلك المكر وجماعته وصارت بينهم جولة قتال قتل فيها من المسلمين عدة رجال ، وأقبلت خيل أولئك البدوان ، فابتدروهم من المسلمين فرسان وحمى بينهم الطعان ثم بعد ذلك انفصل الفريقان وكل قصد له مكان ، ولم يدرك دهام من المسلمين مارام . وفيها غزا المسلمون العودة وأميرهم عبد الله بن محمد فلم يجر بينهم قتال ثم رجع إلى حرمل فغزا إلى شلية من سبيع وهم بالعرمة فصباحهم وأخذ إبلهم وخيلهم وما معهم من الغنم والأمتعة . وفيها أتى برد عظيم لم يعهد مثله فمات الزرع والعشب . وفيها جرت وقعة تسمى وقعة العدو ، وذلك أن المسلمين عدائهم على الرياض ستون رجلا فخرج ولد زيد بن سليمان عجلا مرتدا من الدرعية ، فأخبر أهل الرياض بالقضية ، فلم تأتهم تلك العدو إلا وهم مجتمعون لها في ندوة ، فعدوا على صياح فارتفع عند ذلك الصياح ، ووقع بينهم الكفاح ؛ ثم انهزم المسلمون والخيل لهم وراءهم متبعون فقتلوا منهم ثمانية رجال وخمسة أسروا في الاعتقال . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فساروا إلى الرياض وأعدوا في الليل الكمين ، فلما انتشر ضوء الصبح شعروا بالمسلمين فبادروا إلى القتال ولم يكن لهم عنه بدء ولا احتيال ، فلما حميت نار الحرب واستقر الطعن والضرب وظهر عليهم كمين المسلمين انهزموا جميعا مدبرين ، وقتل منهم ستة رجال وانقلب المسلمون راجعين . وفيها هم دهام بن دواس بأهل منفوحة فوصل المسلمين الخبر فأسرعوا إليهم بالنفر . فلم يستقر دهام في تلك النخيل حتى جاءه مجيء المسلمين بالتعجيل فولى على عقبه هاربا لبلده رائما طالبا .

ثم دخلت السنة الثمانون بعد المائة والألف ، وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز ثرمدا وأتاهها بعد أن هدا الأنام ، فكمن حتى استكملت الخروج للمرعى جميع ما بها من الأغنام فاستاقها ذوو الإسلام وفزع من في البلد من الأقوام حتى وقع الاختلاط والالتحام ، وجرى بينهم القتال وضاق المجال وخرج الكمين فشدت عليهم فرسان المسلمين ، فعند ذلك ولوا مدبرين : وقتل منهم نحو العشرين ، منهم محمد بن عبيد وحمد بن راشد ابنا إبراهيم بن سليمان ، وقتل من المسلمين فواز التمامي وابن غدير وتسمى هذه الغزوة غزوة الصحن عند أهل ذلك الوطن ، لأن القتال وقع في مكان

يقال له ذلك ، ثم انصرف المسلمون راجعين وتوجه عبدالعزیز بالجیوش إلى منفوحة ؛ وفي أثناء ذلك الطريق وافق ركبا لابن دواس فقتلهم منهم محيسن بن قارى العلوى على التحقيق ، ثم دخل عبدالعزیز منفوحة بالسرور والابتهاج لإرادة عقد الدخول بينت زامل الزواج . وفيها في الفطر الأول سار عبدالعزیز حرسه الله تعالى بالمسلمين فنزل بالبنية من الرياض فخرج أهلها للقتال من غير ارتياض ، فقتل منهم المسلمون أربعة رجال ولم يبرزوا للطعان في مجال ، وقتل من المسلمين مرشد بن حصين .

ثم دخلت السنة الحادية والثمانون بعد المائة والألف وفيها ارتفعت الأسعار والأثمان وفق الزاد في جميع البلدان وبقي الناس في مقاساة البأس ، وبلغ الأنام من غلاء الطعام هم وضى ، وحزن وعنا ، حتى بلغ الصاع جديد ونصف ووزنه ونصف بجديده . وفيها غزا المسلمون العربان ، فلما سار المسلمون إليهم سبقه النذير عليهم ، فلم يصل إليهم من المسلمين فرسان ، إلا بعد ما أخذوا الأهبة للطعان ، وكانت خيولهم تزيد على ست من عقود المئين ، ورام المسلمون أنهم يجدونهم مغفلين ، فلما شنت خيل الإسلام الغارة على أولئك الأقوام وأخذوا بعض الإبل السوام أطبقت عليهم خيل المطران وفرسان أولئك العربان ، فاشتد بينهم الطعان ، ولم يكن لهم إلى الفرار من إمكان ، فثبت الله أهل الإيمان وتخاصوا من شر ذوى الطغيان وقتل بينهم بعض رجال من المسلمين دوخى الصيخى وابن ربيع ورجعوا على اعتجال . وفيها غزا المسلمون وأميرهم هذلول بن فيصل ومعه سعود بن عبدالعزیز ، وهذه أول غزوة غزاها فساروا يريدون العودة فأتوا تلك البلاد وقد هجع العباد وقد حكم على المقل الكرى ، وما شعر أحد بدخولهم وما درى ، وقد أعدوا لهم في مكان كميناً من الشجعان وأوصوهم أنهم إذا استكمل أهل البلد الفرع والظهور يعقبونهم على تلك القلعة والدور ، فلما تبين ضياء النور وأدبر ظلام الديجور أغار المسلمون على أطراف البلدة ، وكل من جيشه وكمينه عرف قصده ، فبدرهم بالقتال من أهل البلدة ذوو النجدة فلم يأخذ المجال حده حتى دخل الكمين البلاد فقتلوا نور بن سعدون وأناسا من أهل الفساد ، فلما علم بما جرى وصدر من خرج من أهل البلاد وظهر رجعو للقلعة فإذا هي عنهم في منعة ، وقتل المسلمون منهم رجالا ونودى بالأمان بعد انقضاء ذلك الحال وصار ابن حماد فيها هو الأمير ولم يغير عليه فيها بتغيير حتى صدر على المسلمين منه ما يضير ثم رجع المسلمون . وفيها سار عبدالعزیز



حرس الله ذاته بالمسلمين إلى الرياض فنزل بالمشيقيق وأقبل فزع أهل البلد إليهم وصدقوا الحملة عليهم ولكن الله من على المسلمين بالثبات ولم يكن لهم إلى الفرار التفات ، فقتل من أهل الرياض ستة من الأشرار ، وقتل من المسلمين ناصر بن عبد الله ومحمد بن حسن الهلالي ورجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها كاتب أهل الوشم عبد العزيز على محيئهم ودخولهم في الإسلام فأجابوهم بحصول ذلك المرام ، فأقبل أهل الوشم ببلده وقراه ، ولم يبق منهم أحد حتى أهل مرآه ، فدخلوا في الدائرة الحصينة والكل منهم رفض دينه ، وبايعوا أهل الإسلام ؛ واستمرت عليهم تلك الأحكام . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فوطىء جلاجل وطلب من سويد النكال لكونه مرتدا قبل ذلك الحال فأعطاه عن ذلك من الخيل خمسا فطاب بها عبد العزيز نفسا لكونها خيلا بالجودة معروفة وبالنجب مشهورة موصوفة ، ثم سار عبد العزيز حرسه الله تعالى في طريقه ذلك مجدا ، وكان فريق من اليمن على المربع له قصدا ، فصبح الفريق بالغارة وأخذ عليهم إبلا ثم طلب أثره ورجع إلى بلده سالما وللمال غنما . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض وجرت بينهم وقعة تسمى وقعة المجوز ، لكون الوقعة بمكان يسمى بذلك ، وكان القتال بينهم من بعيد بالبنادق هنالك ، ولم يقع بينهم للقتال مقاربة ولكن كل أدرك بالرمي مطالبه فقتل المسلمون من أهل الرياض خمسة رجال ومن الخيل أربعة ، وقتل من المسلمين نحو عشرة صارت لهم الجنة مرتعا منهم مبارك بن سبيت وزيد بن سعيد وابن رشيدان ، وأقام عبد العزيز بقصر الغداونة أياما يغير على الرياض ويرجع مكانه .

ثم دخلت السنة الثانية والثمانون بعد المائة والألف . وفيها استمر غلاء الزاد وبرح كافة العباد من المعيشة في مكابدة ونكاد ، وتسمى هذه سنة سوقه لأن السعر بلغ حده وطوقه . وفيها غزا سعود بالمسلمين ، وهو أول غزو تأمر فيه فأغار على الزلفى وقتل ثلاثة رجال ثم رجع بلا إمهال . وفيها سار عبد العزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين إلى سبيع وكانوا حينئذ على الحائر فلم يزل يجد السير إليهم حتى قارب الهجوم عليهم فسبقه عليهم النذير لما اقتضته الإرادة الإلهية الأزلية من التدبير ، فلم تقبل عليهم المسلمون إلا وهم للقائه مستعدون ، فحين طلعت عليهم طلائع الخيل كان منهم إليها أسرع ميل ، فالتحم الفرسان وحمى بينهم الطعان ، والتزم الثبات كل من الأقران حتى نصر الله تعالى

المسلمين وأعان ، فشد عليهم المسلمون الحملة ، فلم يكن دون هزيمتهم مهلة ، فانهزموا جميعا وعمدوا إلى قصر الحائر سريعا فأقاموا به محتمين وكان أهله إذ ذاك مرتدين ، وأخذ المسلمون ما معهم من الأمتعة والخيل والإبل ورجعوا فائزين بغاية الأمل . وفيها غزا المسلمون وأميرهم سعود بلغه الله تعالى المقصود ، فأغار على فريق من اليمن بعد ما قاربهم واستكن ، فلما صبحتهم منه الغارة لم يثبتوا غير ساعة فلزموا الانكسار وتبعتهم إلى بيوتهم الخيول ولم يكن لهم سواها وصول ، وقتل منهم رجال ولكن الله أراد لهم السلامة ، ولم يشعر غزو المسلمين لاشتغاله بمن أمامه إلا بالتثام بعض العربان عليهم وإقبالهم إليهم ، واستحرق الطعن في أعقابهم ورجعوا من حيث ما بهم ، وأقبلت بعد ذلك العرب المكسورة واجتمعوا على المسلمين فكانت بينهم وقعة مشهورة ، فاحتفى المسلمون وسلموا ، وقتل منهم سبعة غفر الله لهم ورحموا : منهم ناصر بن عثمان وفوزان بن ناصر ، ورجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها غزا سعود بالمسلمين وركابهم نحو المائة على التخمين ، فأغاروا على عنيزة وخرج أهلها مجتمعين وكانوا ذوى عدد من المئين ، فوقع بينهم وبين المسلمين القتال ، وأبدى المسلمون في ذلك اليوم المجال من النجدة والإقدام وفرط البأس والالتزام ، مابهر عقول أولئك الأقوام وأدهش أذهانهم والأفهام حين رأوا فعلهم بعد المخالطة والالتحام ، فلم يكن حينئذ لأهل البلد عزم ولا اهتمام سوى الفرار إلى البيوت على الأقدام ، وقتل المسلمون نحو العشرة وكل من أهل الإسلام حمد ربه وشكره ، وقتل من المسلمين ثلاثة رجال ثم رجعوا إلى بلادهم من غير إهمال .

ثم دخلت السنة الثالثة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها سار عبدالعزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين يريد الرياض ، فوافق في ساعة خروجه من غير ارتياض خيلا كثيرة لدهام على الدرعية عادية ، وقد أخذت إبلا كثيرة لسبيع البادية فأطبقت عليهم خيل المسلمين مبادية ، واستقر بينهم المجال ساعة ثم أدبرت خيل ابن دواس خجلة مرتاعة ، وقد قتل منهم المسلمون أربعة يعرفون مطرود الفريد وابن الرابع وحسن الجعفرى ودوخى بن مروان ، ورجع عبدالعزيز فلم يسر إلى ذلك المكان . وفيها غزا عبدالعزيز بالمسلمين من أهل الدرعية وقراها ، فلما وصل إلى حريملا حرسها الله تعالى وحماها أمر من هناك من بلدان المسلمين أن يخرجوا له الدول مجتمعين فأخرج أهل سدير وأهل المحمل جمعا كثيرا من الدول وقصد ما يريد من محل فأناخ بالمسلمين على

الجمعة وكان المسلمون عليها مجمعة وجرى بينهم وبين أهلها القتال ودخل قلوب أهلها من المسلمين الأوجال وقتلوا منهم تلك الساعة عدة رجال منهم عبد الله وقويقل ابناعثمان وهما أخوا حمد رئيس الجمعة ثم إن عبدالعزيز أمر بالرجوع على من مشى معه من الدول وتبعه حين فرغ من أمر الجمعة وغزا بالجيش من ذلك المكان ، وكان ذلك في أثناء شهر رمضان فجاء سائرا في ذلك الزمان حتى وصل إلى قرية الهلالية وند هجعت البرية وكانت من قرى القصيم ، فأناخ عندها في ظلمة الليل البهيم ورتب كمينه وحاله قبل أن يزيل النور من الظلام أوجاله ، فلما أغار بعد انتشار النهار وخرج أهلها إلى القتال وبذلوا في ذلك غاية الحال ، وليكن الله الكبير المتعال . سلط عليهم الرعب والإذلال فانكسروا والمسلمون يقتلون في أثرهم باستعجال وهتك المسلمون البلد في ذلك المجال ودخلوها في تلك الحال ، وأخذوا جميع ما بها من الأموال ثم نودى فيها بالأمان بعد ما قتل من أهلها رجال ، وأقام بها عبدالعزيز بعض ليال فذل أهل القصيم كافة وغشيهم أمر عظيم من المخافة فرغبوا في الدخول في الإسلام والانقياد لمنير تلك الأحكام ورفض ما يعبد من الأوثان والأصنام ، وأقبلوا على عبدالعزيز في تلك الأيام فأخذ عليهم عقد الإبرام ووضع عندهم معلمين للتوحيد والشرائع والأحكام ، ثم رجع عبدالعزيز يريد الدرعية ليقسم الغنيمة فيها بالسوية ؛ وفي أثناء ذلك عثر على أثر غزو لبني خالد كبيرهم بطين هنالك ، فعرفوا أنه غزو المسلمين فقالوا لئلا نأهل الدين ، وكان هذا من رأيهم أجمعين ، فتركوا المسلمين ومنازلهم بعد ما حققوا مشاورتهم (وكفى الله المؤمنين القتال) وكتب على أولئك الغزو والمذلة والإذلال وذلك أنهم أغاروا على عدة فرقان من سبيع بأرض ضرما مقيمين في ذلك المكان ، فجرى بينهم قتال وطعان وحمى الحرب بين الفرسان وساعد أهل البلد من الحضر أولئك العربان وشمروا للقتال مع تلك البدوان ، فهزم الله تعالى أهل الطغيان وقتل منهم تلك الفرسان ، وأخذ المسلمون منهم أموالا كثيرة وخيلناحوست شهيرة . وفيها غزا المسلمين ركب فصادف الشريف منصور فأخذ مع ركب معه وأتى به بأسور فمن أعياه عبد العزيز بالإطلاق دون الفدا فرجع بعد ذلك برخصته من شريف مكة في الحج لدوى الهدى ، فاغتم لذلك من المسلمين طائفة وسارت للحج آمنة غير خائفة وقضت ركن الإسلام وأدت المناسك على التمام في ذلك العام ، ورجعت بالحشيمة والإكرام .

ثم دخلت السنة الرابعة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين يريد آل ظفير ، فأغار على المحمرة منهم في ذلك السير وكانوا قبل مجيئه على حذر لسبق النذير ، ولكن أخذوا عليهم إبلا كثيرة وصارت بينهم مقاتلة شهيرة قتل منهم بعض رجال ، وانصرف المسلمون بتلك الآبال . وفيها غزى عبد العزيز بالمسلمين وأقاموا في الحائر مجتمعين ، ولم يخرج إليه من أهلها أحد ، فشرع في قطع النخل واجتهد ، فلما عاينوا ذلك أهل البلاد طار منهم اللب والفؤاد ، وحين شاهدوا هذه القضية عظمت عليهم الرزية وأحاطت بهم البلية ، فلم يجدوا سوى الاستسلام منهاجا وإظهار الانقياد والإسلام معاذا وملتجأ فطلبوا من عبد العزيز في الإسلام الدخول فأجابهم إلى ذلك السؤل وأسعفهم بالمأمول ، فبايعوه على الإسلام والتزموا في الأحكام بالقيام ورجع عبد العزيز بمن معه .

ثم دخلت السنة الخامسة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى يريد منيخ فلما وصل حريملا بمن معه من المسلمين ذكر له غزو آل ظفير مجتمعين وكان رؤوس ذلك الغزو آل ضويحي ووهق بن فياض فجند في ساعته في الالتهاض وحث السير في أثرهم بعد تحقق أخبارهم ، فأدركهم في أرض غيانة وأسرعت إليهم بها فرسانه ، فلما عرفه آل ظفير وعلموا شأنه كل منهم انهزم يريد أهله ومكانه فعرض المسلمون عليهم الساقة ، وأسروا بعض أولئك الرفاقة وقتلوا منهم رجالا منهم وهق بن فياض وشقتوهم حالا ، فلم يسلم من القتل والإسار إلا من طلب الفرار ، ثم رجع المسلمون . وفيها أرسل الشيخ وعبد العزيز إلى والي مكة أحمد بن سعيد الشريف هدايا وكان قد كانهم وراسلهم وطلب منهم أن يرسلوا فقيها وعالما من جماعتهم يبين لهم حقيقة ما يدعون إليه من الدين ويحضر عند علماء مكة ، فأرسل إليه الشيخ وعبد العزيز الشيخ عبد العزيز الحصين وكتب معه إلى الشريف رسالة ، وهذه نسختها وهي :  
بسم الله الرحمن الرحيم المعروف لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين وأعزبه دين جده سيد الثقلين إن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها وعداوة من خرج عنها وهذا هو الواجب على ولاية الأمور ، ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم امثلنا الأمر وهو واصل

إليكم ويحضر في مجلس الشريف أعزه الله تعالى هو وعلماء مكة ، فإن اجتمعوا فالحمد لله على ذلك وإن اختلفوا أحضر الشريف كتب الحنابلة ، والواجب على كل منا ومنهم أن يقصد بعلمه وجه الله ونهر رسوله كما قال تعالى ( وإذا أخذ الله ميثاق النبيين ) إلى قوله ( لتؤمنن به ولتنصرنه ) فإذا كان الله سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء إن أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم على الإيمان به ونصرته فكيف بنا بأئمتنا فلا بد من الإيمان به ولا بد من نصرته لا يكفي أحدهما عن الآخر وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت الذين بعثه الله منهم وشرفهم على أهل الأرض وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ، يعلم الشريف أعزه الله أن غلامك من جملة الخدام ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته ؛ فلما وصل إليهم عبد العزيز المذكور نزل على الشريف الملقب بالفعر واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده وهم يحيى بن صالح الحنفى وعبد الوهاب بن حسن التركي مفتى الساطان وعبد الغنى بن هلال وتفاوضوا في ثلاث مسائل وقعت المناظرة فيها : الأولى ما نسب إلينا من التكفير بالعموم . والثانية هدم القباب التى على القبور . الثالثة إنكار دعوة الصالحين للشفاعة ، فذكر لهم الشيخ عبد العزيز أن نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان علينا . وأما هدم القباب فهو الحق والصواب كما هو مسطور فى غير كتاب ، وليس لدى العلماء فيه شك ولا ارتياب . وأما دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم فى النوازل فقد نص عليه الأئمة الفواضل وقرروا أنه من الشرك الذى فعله الأوائل ولا يجادل فى جوازه إلا كل ملحد جاهل فأحضروا من كتب الحنابلة الإقناع فرأوا عبارته فى الوسائط وحكايته الإجماع فصار لهم بتلك العبارة اقتناع ولهم إلى الإقرار إسراع وتفوهوا بأن هذا دين الله وانتشر فيما بينهم وشاع وقالوا هذا مذهب الإمام المعظم ، وانصرف عنهم عبد العزيز مبجلا مكرما . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الرياض فعدوا منها على معكال وخرج أهلها فجري بينهم قتال ، فلما استقر جلادهم للمسلمين خرج عليهم الكمين فلم يلبثوا غير ساعة ثم كان منهم إلى البلدار تجاعة ، وقتل المسلمون منهم ستة رجال منهم عتيق ابن زائد ، ثم هم المسلمون بالارتحال فلما وصل المسلمون إلى بعض بلدانهم انقلبوا راجعين يريدون الرياض لشأنهم فكان من القضاء والقدر أن دهام بن دواس قد سار وظهر عاديا على أهل عرقة وايس عند المسلمين منه خبر فلما خرجوا فى ذلك الشأن التقوا جميعا قريبا

من ذلك المكان فأطبقت عليهم من المسلمين فرسان ، فلم يلبثوا ساعة للطعان بل انهزموا إلى تلك البلدان فكان أول قتل منهم دواس بن دهام ثم جد في أثرهم أهل الإسلام وهم فيهم يقتلون حتى قتل منهم عشرون وآخرهم ابن لدهام واسمه سعدون ، وكان الذي باشر قتل دواس عبد العزيز أمير الناس صرف الله عنه كل باس ، فرجع دهام بأعظم الباس مرتديا من الذل والحزى أضفى لباس ، متجرعا من الهم أضفى كاس ، فلم تزل له بعد هذه عين قريرة ولا حالة من المعاش سريرة ، بل كلما غفت العيون أبدى من الأسف المكنون ما لا يعرف ولا يقاس ، لاسيما على مفارقة سعدون ودواس ، فنودى عليه بلسان الحال من بعيد (ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد). وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين حتى نزل الرياض وخرج أهلها مسرعين ولم يكونوا عن القتال منتئين وطال القتال بينهم فعجل الله لبعض أهل الباطل حينهم وشد عليهم المسلمون فأسرعوا يجهدون ، وقد قتل منهم أربعة رجال منهم ابن روى الذي في ذلك المجال .

ثم دخلت السنة السادسة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز بن محمد بالمسلمين فلم يبرحوا في ذلك السير مجدين يريدون آل حبيش وكانوا نازلين بأرض صبحا ؛ فلما قاربوهم كمنوا حتى يحققوا أمرهم مراما ونجحا ويستعدوا لملاقاة أولئك الفرسان طعانا وكفحا ، فلما انجلي الديجور وعم ضياء النور وفرغوا من الصلاة صبحا شنت عليهم عاديات المسلمين صبحا فأخذوا عليهم آبال وفزع أهلها للقتال وراموا لها فكاك ولم يكن لهم إلى ذلك إدراك ، بل وقعوا في هوة الأدراك ، وقتل منهم أناس ورجع المسلمون بإيناس . وفيها غزا سعود حرسه الله بالمسلمين يريد من الرياض الإبل والغنم السارحة ، فلم تزل همته على الجد في السير بارحة حتى وصل إليها بعد الهجود فكمن كمينه هناك سعود ، فلما خرجت السوائم للرعاية بدت غارة المسلمين إليها بداية فالتجأت إلى البلد الإبل وخرج الفزع إليها بالعجل ، فتقابل كل من الفريقين واقتتل حتى صدتهم فرسان المسلمين فانهزموا مدبرين ، وقد قتل منهم سبعة منهم مرخان بن فريان وعبد الله الساري . وفيها غزا عبد العزيز فصار بأهل الدين يريد أهل الرياض المسرفين ، فوصل لذلك قريب السحر فقضى قبل الصبح من التعبئة الوطر فلما بدا الصبح مسفرا منيرا وقضى الصلاة تبدى مغيرا وارتفعت الأصوات في البلاد وخرج بعد الاستعداد من يريد القتال والجلاد ، فلما عاينوا أهل الإسلام جلهم الرعب والإحجام فلم يحصل

لهم بعد الالتحام فرط إقدام بل مكثوا في القتال زمان مرتدين ثياب الهوان ، فلما شد عليهم أهل الإيمان انهزموا من غير توان وقتل منهم مرزوق المطيرى ومحمد بن فائز وقتل من المسلمين على بن محمد الأمير . وفيها مات الشيخ أحمد بن مانع رحمه الله تعالى في رمضان . وفي آخره مات ثنيان بن سعود أسكنهما الله تعالى دار الخلود وكان لهما هذا الدين المنهج المحمود .

ثم دخلت السنة السابعة والثمانون بعد المائة والألف وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين تبع الله تعالى به سنين ، فنزل بالرياض وألقى رحله في تلك الغياض ونازل أهلها مدة من الليال وكل يوم يجري بينهم قتال ، واستولى المسلمون على بروج وجدوان فأسرعوا إلى تهديم ذلك البنيان وهدموا ذلك المرقب الشامخ فصار الدمار لارتفاعه ناسخ وقتل من أهل البلد رجال وبنات أهلها في غاية الأوجال يسامرون في الدياجى السها مما حل بهم ونزل بساحتهم ودهى وقد عرّتهم الدلة والدهشة وغشيتهم الرجفة والرعشة لا تهدأ لهم قلوب ولا عيون وقد أيسوا من أنفسهم وخابت منهم الظنون ، وقد قارب أن يفتحها إذ ذاك المسلمون لما بان لهم من الانتصار وما ظهر على أهلها من الرعب والاندعار ولكن إرادة المولى غالبية على العباد وليس يجري إلا ما اختاره وأراد ، فانصرف عنهم جميع المسلمين وآخر الفتح إلى حين ، وقد قتل من المسلمين اثنا عشر رجلاً نالوا من الشهادة أملاً منهم عقيل بن نصير وسلطان بن حفيطان وكانت هذه الواقعة في صفر ولم يشرق بعدها لديهم عز ولا سفر بل هم بالرحلة والسفر والجلاء عن ذلك الوطن الذى ثوى فيه وقطن وحل به وسكن ، فأخذ في تدبير النقلة والارتحال مما داخله من الرعب والأوجال وخالط قلبه من الخوف والإذلال ، فبقى أياماً وليالى لا يحسن له حال ولا ينشرح له بال مخافة على أهله والعيال وأسفا على ذهاب تلك الأموال وأسفا على فراق الحلة والبعد عن تلك المحلة ومعاناة الجلاء والنقلة والأرض به راجفة وريح الهروب عليه عاصفة ، وهو يصبر نفسه ويتصبر ويتجرع مرارة الأسف ويتحسر ، وينادى بالويل على نفسه كل ساعة وهى إلى الفرار نزاعة لا تروض إلى البقاء والاستقرار ولا تميل إلى المكث في هاتيك الديار حتى نادى عليه منادى الذل والصغار إلى متى التصبر والاصطبار والحلول والقرار وحتى متى تقدم في ذلك رجلاً وتؤخر الأخرى والجلاء هو الأولى لك والأخرى ، وصاح به قلاع الحصون إلى متى هنا السكون



فقد آذن ليل الباطل بالزوال وأعلنت سحب الشرك بالارتحال وتفشعت غياهب الزيغ والضلال ولاح نور الهدى والهداية وانجلى دياجى الضلالة والغواية وتلاّأ عمود الصباح وأشرق لأهل الإسلام السعد ولاح وغدا البلاء على الباطل وراح وأعلن عليهم لسان الفتح وهم يسمعون (ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون) فلما حان من شمس الباطل غروبها وآن لأهلها جلاؤها وهروبها وأن تثبت في روضة الرياض قواعد الدين وتمحق دولة المفسدين ويظهر لأهل الإسلام النصر والظفر والتمكين وتعلو كلمة الحق على المبطلين وتمحى آثار ذوى المكر والمعتدين (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) جمع جميع أعيان بلده وأخبر بحقيقة عزمه ومقصده وأنه يريد المهروب والجلال، وأن فؤاده ملى رعباً ووجلاً فصاحوا كلهم عليه وأقبلوا بأجمعهم إليه، وقالوا ما حملك على هذه الأفعال وما الموجب لها من الأحوال أهذا لنا مكر وخداع حتى تعرف منا الصدق بإجماع أم حدث بك من الجن انتزاع فاستعذ بالله من الشيطان فلن ترأع، فقال دعوا عني هذا الهذيان فليست الرياض لى بأوطان وليس عيالى فيها بسكان وما شاء الله كان، ولم يرعو من ذلك المقال والمحاولة عن الارتحال، ولم يستطع إلى ذلك سبيلاً ولا وجد من قلبه عليه دليلاً بل انتفخ سحره ولبه وطاش فؤاده وقلبه وتعاضم منه فى الحشا (ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) فانفضوا من حوله سراعاً وعرفوا أنهم لا يدركون به دفاعاً فازدادوا ذعراً وارتياحاً وتحققوا أنهم منها مخرجون وأنهم له متبعون (وبدا لهم من الله ما لم يكتسبون) فتردوا رداء القنوط والإياس وكل ساعة ينتظرون حلول النعمة والباس (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) فلما انتصف ربيع الثانى خرج عبد العزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين يريد الرياض وحربها وتدميرها وخرابها وقد جرد أهل الإسلام لذلك صوارم الاعتزام ونهضوا كافة وليس لهم دونها مرام، وقد ارتجوا الفتح من الملك العلام ووطنوا نفوسهم على حصارها ليالى وأيام، ولم يكونوا بما فى الغيب مشعرين (ادخلوها بسلام آمنين) فلما وصل حرس الله مهجته وأيد عزه ودولته فى مسيره ذلك إلى قريب عرقة انبلج له عمود الأنس والسرور وانسلخ مد لهم ذلك الديجور وطلع له طالع السعد وبرق له بارق الفخر والمجد وتبدى له فى أفق ذلك الطريق لوامع المسرة واللفظ والتوفيق، وكان بذلك جديراً وحقيق وناداه لسان البشر والبشير

إلى م تسعى وتسير ؟ وجميع عداك في تدمير وإلى كل بلد في مطير ، فأرخ ذيول الهنا  
فقد جاءك القصد والني وزال عنك النصب والعنا ، فسعيك إن شاء الله مشكور وأنت على  
ذلك مأثور ، وقد ضوعفت لك في هذه المدة الأجور وصارت لك العقبى على ذوى الفجور ،  
والغلبة والنصرة على أهل الفساد والشرور ، فقد خلت لك القصور وتأهبت إلى لقاءك  
الصدور ، وقد أقفرت تلك الدور ممن كان بها يتعدى ويجور ، وقد حقت كلمة العذاب  
على الفاسقين ، وجاء وعد الله لحزبه الفائزين (وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في  
الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) فحمد الله تعالى على هذه الأنعام وشكره على  
هذه المواهب الجسام والعطايا الوافرة العظام وقال وهو خاضع لربه مستكين حامدا لله  
رب العالمين (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل  
صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) فسار يريد ماهياً الله تعالى له من  
مكان وما خو له من تلك الأوطان وشيعه في ذلك الطريق الأمن والأمان وحفه فيه  
الأنس والتهان ووصل إليها قبل غروب الشمس بأكل فرح وأنس وطيب قلب ونفس ،  
فدخل تلك البلد فإذا دهام قد ولى منها وشرذ ، وذلك أن دهام بن دواس لما حاق به  
من ربه الباس وقرب أن يسقى كؤوس الأحزان ويلقى المذلة والهوان وتكون الدائرة عليه  
لأهل الإيمان جمع كافة ماله من أعوان وما أراده من الشان فكل بقى متحسرا حيران  
يعض أنامله ندمان ، فخرج هو وأولاده وأعوانه وغالب أهل البلد شأنهم شأنه ولم يبق في  
البلاد إلا القليل مخافة من فعلهم الويل وقصدوا جميعا الدم ونوى سكنائها وعزم  
وجدت في الطريق ومن معه ومات نحو أربعمئة من الخلق ممن تبعه لأن جلاءهم كان في  
القيظ فزادوا حرارة مع ما بقلوبهم من حرارة الغيظ فصلتهم لواعج القيظ وجمرتهم  
وحرقتهم عواصفه وحدته . هذا والمسلمون قد جدوا في أثرهم المسير ينقذون بالماء كل  
ضعيف وفقير ويقتلون كل شيطان مرید وكل ذى بأس شديد حتى وصلوا إلى الدم  
المعروفة وقطعوا تلك المفاوز المخوفة ونادى عبد العزيز فيها بالأمان إلا من كان مشهورا  
بالسوء بإعلان ، فعند ذلك ظهر من كان محتفيا وبان ، ولم يقتل إلا عبد المحسن بن شاخص  
وصالح المهورى وبراك بن حميدان ومحمد بن سليمان ، ولم يقتل غيرهم إنسان ، وأرسل  
عبد العزيز إلى أهلها الذين ناروا وخرجوا مع دهام وساروا يدعوهم إلى الرجوع  
فلم يكن أحد عنه بمنوع إلا من تميز بالشر والفساد وتوغل في طريق العناد وتسربل

بالبغي والإفساد ففأوا إليها وآبوا ، وقد رجحوا في ذلك وماخابوا وسكنوا بها فطابوا ، وكانت جميع تلك الأموال والنخيل ذوات الأغلال فيثا من الله ذى الجلال لكونها لم يوجف عليها بنخيل ولا ركاب ، فكانت لبیت المال من غير ارتياب وحسن تملكه لها وطاب ؛ وأقام بها عبدالعزیز آیاما ونصب فيها أمیرا وإماما وكتب الشيخ لعبد العزيز في تلك الأيام رسالة أرسلها إليه فقدمت في الرياض عليه وقال فيها : أحب لك ما أحب لنفسی وقد أراك الله في عدوك مالم تؤمل ، فالذى أراه لك أن تكثر من قول الحسن البصرى كان إذا ابتداء حديثه يقول : اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وفرجت عنا لك الحمد بالإسلام والقرآن ولك الحمد بالأهل والمال والمعافة كبت عدونا وبسطت رزقنا وأظهرت أمننا وأحسنمت معافاتنا ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا فلك الحمد على ذلك حمدا كثيرا طيبا حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت .

## خاتمة

يحتاج لها كل طالب وتتشوق إليها نفس كل راغب ويرتدع بها كل عدو محارب ويتعظ بها كل خائف من الله مراقب ، ومن نال من التوحيد رفيع المراتب وهي أن الله القادر الحكيم والآخذ الشديد الأليم أقام دهام بن دواس يصادم أجناد الدين ويبذل جده في حرب ثلاثين من السنين والأعوام لا يكاد يهنا له طعام ولا تستغرق عيونه في دجى الظلام بل يذو المنام إلا أنه أظهر الاستعانة وأبدى الاسكانة في ثلاث سنين للدخول مع المسلمين وأقام في بلده الأحكام والشعائر ولا كنهه يتربص بأهل الدين الدوائر فكان إذا أتاه من الدرعية أحد قام في توقيره وإكرامه وقعد وأظهر له في الاسلام الغبطة والرغبة وإن كان قد ملئ من بغضه قلبه ، وإذا رأى أحدا من جماعته مبديا التوحيد والديانة أخفى له الذلة والإهانة وكانت هذه الثلاث سنين متفرقة من السنين في عشرين والذي قتل من الفريقين في هذه المدة أربعة آلاف في الحساب والعدة ألف وسبعمائة من المسلمين نالوا الكرامة ، وألفان وثلاثمائة من الضلال صارت عقباهم الندامة ، قال المصنف :

كشف الحق ظلمة الاغلاس ومحا الدين جملة الأرجاس  
وأزال الصباح ديجور ليل طال ما ساعد الأسى في احتباس  
فظلام الضلال والشرك ولى وضياء الرشاد والرشد راسى

وتجلت غياهب البغي لما أذن الزيف والردى بانتكاس  
ورياح القبول والنصر هبت فالأعادي قلوبهم في ارتجاس  
ومنادى السرور أضحي ينادى بالهناء والمنى بغير التباس  
وليالى الهموم ولت سريعا وتقضت بلا قحوط وياس  
زانها الصبر فى اللقا فاستنارت بضياء السعود من غير ياس  
وطيور الافراح بالفتح غنت فوق أفنان غصنه المياس  
حين أمّ الإمام بالفتح ساع مخبر عن جلا بنى دواس  
فاستزاد الإسلام حوزا وفوزا وسرورا وعاد باستيناس  
ومضى الهم والعنا وتجلى يوم أخلى الرياض ذو الإبلاس  
كم بدا من أبى سعود سعود وفتوح ومفخر لأناس  
قد علت رتبة الشريعة لما شاد أركانها بأقوى أساس  
وسما منهج المحجة سميكا واستبان معالم فى اندراس  
وتبدى الهدى فأضحى سناه ساطع النور لامع النبراس  
وأضاءت بذاك بلدان نجد ومضوا بعده بغير احتراس  
وأنت بعد ذا الفتوح وأضحى طالب الدين فى مزيد التماس  
فاستقرت قواعد الدين فيها واستمرت سكانها فى اقتباس  
وأتى التوحيد يتلو جهارا سورة الفتح لانتصار الناس  
وبدا الدين وجهه مستنيرا حين ميطت براقع الأدناس  
خلد الله فى النعيم إماما أظهر الدين بعد طول ارتكاس  
وغدا معلنا بدعوة حق وأورى فى مناهج الخناس  
أوضح السبل للأنام وأحيا ميتا غيبوه فى الأرماس  
وجلا الوقر عن مسامع قوم والعمى عن بصائر فى انطماس  
ساعده عصاة الحق حتى لبسوا للحروب أقوى لباس  
عصاة لاتهاب هول المنايا كلهم فى اللقاء صعب المراس  
عزروا الدين بالقنا والقواضى وأزالوا عنه قذا الأنجاس  
بذلوا للجهاد فيه نفوسا روضوها الموت بعد شماس  
كم تجلت لهم خطوب شمس فخلوها بكل لدن وقاس

أيد الله نصرهم وعلاهم بقاء الإمام في إناس  
وأدام الإله نصر سعاد ناصر الدين لابن العباس  
وفيهما وقع الطاعون في بغداد والبصرة وما بينهما من البلاد وتزايد أمره  
وتفاقم وجل الخطب وتعاضم ، وكل يوم يموت من البشر ويدفن في تلك الحفر  
مئات من الأنام وطال ذلك عليهم ليالي وأيام حتى فنى أكثر أهل البصرة ومن الأهل  
من قرى المجرة ويذكر أنه مات في ذلك الطاعون مائة الألوف من جميع البلدان  
متفرقون . وفيها أرسل عبد العزيز حرسه الله تعالى إلى زيد بن زامل رئيس الدلم  
بنبذ العهد والأمان وليس هنا إلا الدخول في دائرة أهل الإسلام والإيمان ، فلم يثن إلى  
ذلك الشأن منه عنان ولا التفت إليه مختالا بما لديه وسعى في حشد الناس والأحزاب  
لما أراد الله تعالى عليه تعجيل العذاب وأرسل إلى رئيس نجران يستجيشه ويستدعيه  
ويعده على مجيئه الأموال ويعنيه ويضعف أمر هذا الدين ويوهيه فلم يرعو إلى ذلك  
المقال وقصده زيادة الشرط في المال والتوثق قبل الشروع في الحال .

ثم دخلت السنة الثامنة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها أيضاً أرسل زيد بن زامل  
إلى رئيس نجران يدعو به إلى ذلك الشأن ، ويحثه على القدوم في ذلك الزمان وتعجيله  
قبل طوارق الحدثنان ، فلان إلى ذلك فؤاده لأن طلب المال هواه ومراده وغارت  
لنيل المال عيونه وحارت في ذلك أوهامه وظنونه وصارت أنامل يده يناديها عشونه  
فتأمل ساعة وفكر ثم أجمع عزمه ودبر وحرر مقصوده وقدر وحقق مطلوبه وقرر  
فأرجع إليه للرسول يريد أن يبين له المبدول ويعرفه بالعائد والموصول وفائدة المحصول  
حتى يكون بعد ذلك الحصول وينجح السير والوصول وينجز لكم المرام والسؤل  
فأرجع إليه بما راض جأشه عليه وأن ذلك يتمثل لديه فوقع بينهما المشاركة وانبرام  
العقد والمراقبة ، وحصل التقارير بعد المعاودة والمفاوضة على قريب من ثلاثين ألف  
زر تعجل بها المقابضة وطلب زيد بن زامل من رئيس نجران أن يرسل إليه أرهان  
حتى يرسل إليه الذي استقر واستبان ، فأرسل إليه الرئيس رهنا من جماعته وأعيان  
قومه وخاصة وعجل بهم له في ذلك العام رغبة في تعجيل الحطام وأداء ذلك الشرط  
والالتزام ، فلما قدموا على زيد أولئك الأقوام جدّ في تحصيل ذلك المال واستيفائه من  
الرعية بالإذلال وأقاموا على ذلك ليالي وأياما لاتذوق عيونهم في الدجي مناما ويعانون  
من ذلك جهدا وسقاما وضيقا وإلزاما ويرتجون لهم مأباً ( فذوقوا فلن يزيدكم إلا عذاباً )

فلما نضله ذلك المال أرسل به في الحال لقصد نبح المرام بقدم أولئك الطعام . وفيها نزل عريعر مع بني خالد وعنزة على بريدة وأعمل فيها مكره وكيده وأقام بها بعض أيام وهو يحاول في أهلها بالخديعة والإبرام وتليين الجناح لهم في الكلام ، فجاشت إلى ذلك قلوبهم وحاطت بهم ذنوبهم فاستدعى عريعر أميرها عبد الله بن حسن للخروج إليه والمواجهة حتى يكون الخطاب مشافهة فاغتر بذلك وظهر وسار إليه وابتدر ؛ فعند ذلك حجر عليه وأسر ، فدخلت المدينة على حين غفلة من أهلها ولعل ذلك من شوم ، وكان ذلك على حين غفلة بلا تثبت ومهلة وبئس هذه الفعلة وما أقبحها من خصلة فجالت في البيوت أولئك الأعراب وكسروا لتلك الأبواب فلم يجد أهلها من ذلك مهرباً ولا ألفوا للنجاة مطلباً وشمّر راشد الدريبي لذلك إزاره وقصد في ساعته قصر الإمارة وكان قبل ذلك منه جالياً وذلك البلد منه خالاً وفر من يخاف من المسلمين على نفسه من المبطلين وتفرقوا في البلدان حتى جاءهم من ربهم الصلة والإحسان ، فكاتب عبد العزيز أهلها الذين خرجوا منها ونفروا هاربين عنها وهم آل عليان على أنهم يقبلون عليه ويقيمون عنده أحسن الله قصده فأسرعوا إليه المجيء والإقدام وقابلهم بغاية الإكرام ورعا لهم تلك الدمام وأقاموا في نهاية الاحتشام وأقام عريعر في ذلك المكان بعض أيام وليال ، ثم شمر في المسير والارتحال فسار منها وطمع عنها ومعه عبد الله بن حسن ذلك الأمير ، ولم يزل عنده في حكم الأسير حتى حاءه قضاء العظيم الكبير وحن أن يسقى ذلك الكأس المرير وينفذ فيه الإرادة والتقدير ويتجرع كأس الحمام بعد ذلك العز التام ، فنزل به في أرض الخابية السام نحر من ذلك المقام السام وضمه ضيق اللحد وصاراً كلة للدود بعد ذلك القنا والقنابل ومسايرة الجيوش والجحافل ، وهذه سنة الله في جميع المخلوقات والعبيد ومفاجأة الحمام بغتة لدوى البأس العتيد (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) . وفيها غزا سعود حرسه الله بالمسلمين يريد الدم ، والسعد قد قارنه وألم ، فسار حتى قرب إليها وشارف الهجوم عليها فأناخ على حين غفلة من الناس وقد هجع أهل الأندية والأحراس ، فعبأ عند ذلك من الكمين ما أرادوهياً أهل الغارة من أولئك الأجناد فلم تستقر الشمس طالعة حتى صارت خيول المسلمين إلى الغارة نازعة فوافت كثير الأغنام فاستاقها على التمام وخرج بعد ذلك من أهل البلد من فيه نجدة وكان استرداد تلك الأغنام قصده ، فناوشهم المسلمون القتال والكل قد بذلوا فيه طاقة الحال حتى ظهر

الكمين عليهم وبدأ فصاح بهم صائح الذل والردى ، فانكسروا ولكن بعد ما جهدوا وجدوا فانهمزموا مدبرين وما ألوا على الساقة وما ردوا ، وقتل المسلمون عشرة من رجالهم ودخلوا بلادهم بكسافة بالهم وتشتيت حالهم ، وقتل من المسلمين رجلان عوض بن ذيب وراشد بن مطيع . ثم بعد ذلك ارتحل سعود ، فلما وصل إلى الحار جهر سرية من المسلمين وأمر عدامة بن سويرة عليهم أجمعين وأمره أن يقصد الزلفى ويأخذ ما يجده هناك ويلقى ، فسار من ساعته ومن معه عدامة فوافاه ركب من أهل الزلفى أمامه فشن عليهم العارة ولم ينبج أحد منهم بنيارة ولا أواه حين شمر فيه إزاره فكل منهم تجرع حمامه وكان الموت غايته ومرامه وكانوا نحو العشرين فقتلوا أجمعين . وفيها وفد أهل حرمة والمجعة على الشيخ وعبد العزيز يريدون الإسلام فعاهدوا على ذلك والتزموا القيام بجميع الوظائف والشعائر والأحكام ، غير أنهم طلبوا منهم عدم المطالبة بالجهاد حتى يتوفر أهل تلك البلاد وكان مرادهم الإمهال سنتين ثم يشمرون بعد ذلك من غيرمين ، فلما عرفا منهما الحقيقة والرغبة ساعداهم على الموافقة والطلبة ثم كانت إلى بلادهم الرجعة والأوبة بعد ما أدرك كل مطلوبه . وفيها وفد محمد بن رشيد الهزاني وأعيان أهل الحريق يريدون الإسلام الذي هو أسهل طريق ، فقدموا على الشيخ وعبد العزيز ملك الله بهما مسلك النوفيق ، فبايعوا على الإسلام والتزموا القيام بجميع الأحكام ثم بعد ذلك رجعوا إلى بلادهم بعد حصول مرادهم .

ثم دخلت السنة التاسعة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الخرج ، فجد المسير حتى إذا قارب الضيعة بعد الهجوع أناخ يهـ الجموع ويعبى أهل الغارة والكمين ، فلم ينجل الظلام ويضمحل الإظلام إلا وقد أخذ من التعبئة أحسن نظام ، فعند ذلك شن العارة على أهلها وأخذوا من الأغنام ، فخرج عند ذلك أهل البلاد وناوشوا المسلمين الجلاب حتى بدت لهم من الكمين أسنة فأطلقوا للفرار أعنة وولوا جميعا مدبرين ، وأقاموا في البلاد محتصرين ، وقد قتل منهم تلك الساعة اثنا عشر رجلا ورجع المسلمون على أعقابهم وقد أدركوا أملا . ثم إن المسلمين أخذوا في قطع الأشجار والنخيل فقطعوا من ذلك ما ليس بالقليل وذلك جميع نخل الشدى . ثم ارتحل عبد العزيز بالمسلمين ونزل بالدم ونوى حصار أهل زميقة وعزم ، فأقام عليها للحصار وأشرف أهلها على الدمار وخرب من نخلها وزروعها وقطع من أصلها وفروعها ثم انصرف راجعا إلى بلاده بعد نيل مراده واستأذن الغزاة في إعطاء تلك الغنيمة آل عليان



فأجابوه بطيب لسان وجنان ، وقد استشهد من المسلمين ثمانية رجال منهم فهد بن سلمان رحمهم الله تعالى . وفيها سار رئيس نجران يريد أهل الإيمان ومحاصرتهم كافة في البلدان فأقبل معه من سائر الأعراب ما لا يقدر على عده حساب ولا تحصره الأبواب ، وقد انضم إليه والتأم كل جلف وطغام وأشخاص كالأنعام بل هم أضل منها في الأفهام ، وكل من بلغه ذلك المسير والتسيار سارع إلى المسارعة والبدار خصوصا سكان الفياض والقفار فأقبلت معه وبعده خيب الله قصده أصناف قبائل البادية كلها على أهل الحق عادية وجدوا لأهل التهيئة سيرا (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) وساعده في ذلك الأمر والشان كل رئيس وحاكم شيطان من أهل نجد وغيرهم من الحضرة والبدوان وأعانوه على طمس هذا النور وإطفاء مصباحه المضىء في الديجور جميع أهل المعاصي والفجور بأنواع كثيرة من الأموال وأمدوه من النقود بما لا يخطر على البال ولا يحصره لسان المقال ، وبارزوا في ذلك الكبير المتعال وحاربوا ذا العزة والجلال ، فلم تنجح لهم آمال ولم يحصلوا من القول على حال ، وأرسل له بطين بن عريعر من النقود ماناف عنده على المقصود فذكر أنه أرسل له بما يزيد على ستة آلاف مشخص وأظهر له من أحوال الطعام من الحسا وأشخص ، فقدم عليه من الحساء ثلاثمائة من الزاد فزال عنه الجوع والهم والأسى ، وتلاحقت عليه الأمداد من الجموع والزاد وهو مقيم على الحائر من تلك البلاد وكل يوم يجرى بينه وبين أهلها القتال والجلاد، وقد قتلوا منه في تلك المدة قريبا من أربعين رجلا في العدة فزال ولله الحمد عن أهل تلك البلدة كل رعب وخوف وشدة وزعر من معه من أجلاف الأعراب وعرفوا أن من قصده خير وخاب وما أطمعهم في المجيء معه والاقدام إلا ما صدر عنه قبل ذلك العام وما عرفوا ما في ضمن تلك المرة للمسلمين من العز والمسرة وما انطوت عليه من الحكم والأسرار ما لا تحيط به الأفهام والأفكار بل يحسبون أن ذلك لعنة عسل فرجعوا بخيبة الأمل وظنوا أن المسلمين أكلة جزور فآبوا بالشبور والعتور ، وكان عبد العزيز حرسه الله تعالى في تلك المدة والإقامة قد أرهف حده واعتزاه وصقل جده واهتمامه في تجهيز الجيوش والأمداد في كل قرية وبلاد ، فأرسل إلى الرياض مددا فأقاموا بها أمددا وخرج سعود بلغه الله المقصود بالمسلمين فعمد إلى ضمما وأقام في نواحيها وغاراته تراوح الأعادي وتغاديرها وتباغت البوادي العادية وتفاجيها ، فأغار هو وجنده المنصور على اليمن ذوى الكفر والفجور وكانوا بأرض العرمة يسيمون

وفي شعابها تلك الأيام يقيمون ، فلم يرتفع بعض الأيام للشمس سنا ويحل تلك الأعراب  
الباغية من عيونهم وسنا إلا وهو قد أشرف عليهم ودنا ويحل لهم الكرب والعنا  
فشنت عليهم فرسان المسلمين الغارة ، وكل شمر للقتال إزاره وجرى بينهم ذلك اليوم  
طعان وقتل من كل الفريقين فرسان ، ثم رجع سعود بمن معه إلى ضرما وانهمزم  
أولئك اليمنان عن رعى ذلك المكان ، فاجتمعوا مع رئيس نجران على الحائر وأقاموا  
مع ذلك العدو الجائر حتى وقع بينه وبين أهلها الصلح فسار عنها ولم يحصل مما دام  
على نجح ، وقصده هو ومن معه وساعده من الحضر والبدو وتبعه بلدة ضرما وكان  
سعود قد سار عنها وطمعن منها فلم تأت تلك الأقوام وهو في ذلك المقام ، بل وضع في  
البلاد من الرجال عددا يكون لأهلها عوناً ومدداً ويزدادون بهم همة وجلداً ، فلم تنزل  
بهم أولئك الجيوش الرعاع وتحف بتلك البروج الرفاع وتملاً فجاج تيك البقاع  
إلا والمسلمون قد استعدوا للدفاع وأخذوا من الأهبة شأنها وحصنوا تلك البلد بروجها  
وحيطانها ، فجذ ذلك الرئيس الشيطان وأتى من الحرب بيكر وعوان ولم يبق جهداً من  
نفسه ومن معه من الأعوان فنهد في ثاني يوم نزوله عليها وقرب جميع أجناده إليها  
وأبرزوا من الاجتهاد وطلائع الصبر في الجلال سيما النجدة والقوة والشجاعة والفتوة  
ماظنوا أنه يرهب أهل البلد ويرعب ذوي البأس والجلد ، ولكن الأحد الصمد ثبت  
أفدام أهلها حين شد القوم في حملها وتوغلوا بين أشجارها ونخلها ، فأنزل الله عليهم  
السكينة والثبات ، فلم يكن لهم والله الحمد إلى الذل التفات بل صدقوا لعالم الحفيات وخالق  
البريات والسرائر والنيات ، فرموا أولئك الأشرار بمصيب البنادق بين النخل والأشجار  
فكانت شهب الرصاص كأنها عليهم مرسلة أو من فوقهم منزلة فخرجوا هاربين سراعاً  
ولم يدركوا نفعا ولا انتفاعاً ولم يستطيعوا حينئذ دفاعاً ، وقتل المسلمون منهم خلقاً كثيرة  
وأوقعوا بهم جراحات غزيرة وأسقوهم من الأسف كأساً مريرة فانهمزموا عنهم وارتحلوا  
منهم بحالة ضريبة وذلة واضحة شهيرة ، فلم تكن بعدتيك لجميع الأعداء عين قريرة  
ورجعوا كلهم خائبين قد أسفوا على ما قدموا أجمعين ، وأصبح أهل الإعانة محتزين  
وعلى بذل المال متندمين وودوا لو أخرجوا إلى حين وصاروا بمن خسر الدنيا والآخرة  
ذلك هو الخسران المبين ؛ ثم بعد تمزق هذه العساكر المجرورة وتشتت هذه الجيوش  
المرعوبة المكسورة وتفرق تلك الأجناد المذعورة قصد كل قبيل قبيله ونحى كل

ذى جيل جيله وعمد كل ذى وطن إلى وطنه وحنّ كل ذى سكن إلى سكنه، فنقلوا قبائل العجمان وحملوا معهم على سريره رئيس نجران ، وقد أرهقه المرض والأسقام وأضنت جسمه مواد الآلام، وكان ذلك الرئيس فى الشر قرين إبليس، وقد فتن أولئك الهمج من الناس مما يبدى لهم من حساب الرمل والتخمين والأحداش ، وافتتن أولئك البوادي وساروا له بالأموال الروائح والأغادي، فلم يشك أحد من جميع تلك الطوائف أن ذلك الرمال لأسرار الغيب حافظ عارف وعلى ما يحدث من المكنونات محيط واقف فكانوا إذا أرادوا القتال حملوه على سريره فى المجال وقصدهم بذلك الاستنصار ورفع ما يحفهم من الآصار فمات فى أثناء انصرافه وشاهد جزاء سعيه وإسرافه تحسّى عليه مرارة الحزن جميع أصهاره وأسلافه وفقد تلك الكهانة والتنجيم كافة خلانه وآلافه ، وفاجأه وارد الحمام قبل وصول بلده وما فاز بمرامه .

وفى غزا سعود بالمسلمين فأغار على الضبيعة ولم يخرجوا إلى قتال ، فكان الرمي بينهم من بعيد وقتل من الكل بعض رجال فقتل من المسلمين موسى بن حماد وعبد الله بن غانم ثم انصرف المسلمون منهم ورجعوا عنهم . وفى مات مشاري بن سعود وكان له فى الجهاد مقام محمود . وفى أيضاً غزا سعود متع الله تعالى به المسلمين فسار يريد بريدة ومعه آل عليان الذين خرجوا منها هاربين فجد إليهم المسير ؛ فلما وصل إلى قرب البلد ولم يشعر به من أهلها أحد لكونه نزل ليلاً بساحتهم وكان وقت هجعتهم وراحتهم فلم يستقر به القرار فى أرض تلك الديار حتى عبأ جيشه وكمينه وقام ينتظر الصباح وحينه ، فحين أسفر له منير ذلك الضياء وفرغ من صلاة الصبح وقضى نهض فى إنجاز مآذره ومضى ، وكان والله الحمد له فى ذلك السعى رضى ؛ وذلك أنه شن الغارة عليهم صباحاً ، فلم يخرجوا إليه كفاحاً ولم يجدوا دون الحصار فى البلد صلاحاً ولا ألفوا دونه مراحاً مع أنهم لم ينالوا من ذلك فوزاً ولا نجاحاً ؛ فأقام المسلمون على البلد أياماً وكل يوم يقع بينهم قتال ومراعى ، فلما أعيا المسلمين أمرها ، وجهد أهل البلد حصارها وحصرها ، ولم يبالوا بما نالوا من الضرر والإضرار ومنازلة تلك الجموع والحصار اقتضى رأى سعود أن يبني تجاههم المسلمين حصناً يكون لهم ثغراً وأمناً ، فأمر ببنائه فبنى فى تلك الأيام وزيد فى بنائه بجودة الإحكام ووضع فيه عدة من أهل الإسلام أميرهم عبد الله بن حسن ثم رجع سعود ومن معه إلى الوطن وأقام أهل ذلك القصر

فيه وكل يوم يشنون الغارة على أمير بريدة وتؤذيه وبقوا أياما لاتسرح لهم ساعة ولا تبقى لهم عين نائمة وبوادر الحرب كل يوم عليهم قائمة وفرسان ذلك الثغر لاستيلائهم رائمة ، فلم يجد أميرها راشد الدريبي من الأسباب إلا بعثه إلى جذيع بكتاب يستعينه ويستنجده ، فلم يكن إلى ما يريده يسعده فرجع منه الرسول بخيبة المأمول ؛ فلما جد به الحصار والضيق وضائق عليه مناهج التسديد والتوفيق لم يجد إلى سلامة عمره منهجا ولا طريق ، سوى أخذ الأمان على عمره وحق به شؤم غدره ومكره فأرسل إلى عبد الله بن حسن يطلب لنفسه خاصة الأمان وخروجه من تلك الأوطان فأعطاه عبد الله ذلك بإعلان وبادر إلى مواجهة عبد الله بذلة وهوان ودخل عبد الله بن حسن وجماعته البلد فقتل من قوم الدريبي كل من عثر عليه ووجد ، فقتل في ذلك اليوم والحين من أولئك الجماعة نحو الخمسين واستولوا على جميع مافيها من الأموال وتأمروا عليها عبد الله بعد الفراغ من تلك الحال ، وصارت تلك القضية وصدور هذه الموهبة السنية إنقاذا لأهل القصيم ومافيها من البرية من غمرة الضلال الوبية الردية ، فأظهروا الإسلام ودانوا بجميع الأحكام ثم بعد مضي ذلك بأيام وليال وفد عبد الله بن حسن مع رجال من وجوه أهل القصيم على الشيخ وعبد العزيز لأجل المعاهدة والتسليم ، فتلقوا بأتم إقبال ، وقبول وفازوا بأعم مطلوب وسول ، وعاهدوا على الإسلام والقيام بالأحكام على التمام ، وأقر عبد العزيز كل أمير بلد في بلده أميرا وزادهم حشمة وتوقيرا ، وأمر عبد الله بن حسن على جميع بلدان ذلك الوطن لا يعارضه منهم أحد فيما أراده وقصد ، واستمروا على حالة مرضية سنين ثم تغيروا وانقلب كثير منهم لأجل فتنة يأتى ذكرها بعد حين . وفيها غزا محمد بن جمار مع جماعة من أهل الوشم فوافقهم بطين بن عريعر بأرض النبقية فقتل غالب أهل تلك السرية ونار باقيهم وسلم ووهى عز بطين بعد تلك القضية وهدم ، وتضعضع أمره وحاله وتشئت عزمه وباله ، ونقم عليه لقبح أفعاله إخوانه ورجاله وأخذ سلطانه في الضعة والانحطاط وحق به أمر الله وأحاط . وفيها قدم زيد بن زامل على عبد العزيز في الدرعية فجاءت من غير إشعار ولا إخبار القضية ولا معاودة ولا أخذ أمان ولا مفاوضة ولا روية فلم يشعر عبد العزيز إلا بقدومه ومفاجأته له وهجومه مع أناس من أعيان قومه فبايعوا على الإسلام فتراضت تلك النفوس التي نشأت في التكبر والإعظام وألفت في ذلك منهج آبائهم القدام ، فدانوا بشريف تلك

الأحكام والتزموا بجميعها القيام وطلب عليهم كثير من أنواع السلاح وعدة من الخيل المطهمة الملاح ، فلم يلقوا بذلك نجاحا ولا جناح ، ولا رأوا به حوبا ولا بأسا ولا رفعوا للإباء والامتناع راسا ، فأتوا سريعا بما طلب وأرسلوا بجميع ما أريد وكتب وحقق عليهم وحسب فلما وصل إلى عبد العزيز جميع المطلوب وأحضر لديه المقرر المكتوب أخذ منه جزاءه الله خيرا بعضا وبعض تركه لهم رفضا مسامحة لقلوبهم وتطيبيا وتأليفا لأولئك الأشرار وترغيبا .

ثم دخلت سنة التسعين بعد المائة والألف ، وفيها قتل زيد بن زامل فواز بن محمد من أهل الحوطة ، وذلك أنه أتى ابن زامل في بلاده لما أراد الله كرامته واستشهاده ، فطلب منه المحاكمة للشرع وسرعة انقياده لمشاجرة بينهم سابقة ، فلم ينقده ولا وافقه بل نفر عنه ولاطابقه ، وأنبه على ذلك الكلام وقال أأنقاد في بلادى إلى الأحكام ، وينفذ على فى الشرع النقض والإبرام ، وأنا رئيس من فى هذه البلدة من الأنام ؟ فكيف أهان وأسام ويلوى عنقى وأضام ؟ فجرد عليه صارما غير كهام ، وجردعه كأس الحمام ، وارتدى برداء الغدر وتسربل بالخزى والذل والإهانة ، فلم يحصل له والله الحمد الإعانة ، بل مزقه الله تعالى وأعوانه ، وملك الله تعالى المسلمين ترائه ومكانه ، واستولوا على ساحته وأوطانه واحتلوا على رعيته وحيطانه ، فسبحان من لا يعجزه شىء ولا يفوته حى سبجانه ، فلما صدر عنه هذا الغدر والفتك وظهر منه هذا المكر والهتك وبلغ ذلك على الجزم واليقين عبد العزيز إمام المسلمين ، أمر بغزو المسلمين عليه وإرسال الجند إليه ، فجند المسلمون فى الوصول إليه ، فلم يلبث إلا قليلا حتى أحاطت به الجيوش فى النزول ونزل بساحته الجحافل والخيول ، فلم يستقربهم هناك القرار ، بل لم يقيموا بها شطرنهار حتى شمر للجلاء الساعد والإزار وحاق به ما اقترف من الآثام والأوزار ، وما صنع من العلو والاستنكاف والاستكبار ، فهرب على ظهر فرسه مع ولده وبعض خواصه الأشرار ، فدخل عبد العزيز وحزبه البلد فلم يغر منها على أحد ، بل أعطى أولئك الأمان إلا أصهار من تعدى وخان وماله من خاصة وأعوان ، فأمر على جميع أولئك القوم والملا بالخروج عن تلك البلد والجلا ، وأمر عليهم سليمان بن عفيفان واستمروا على ذلك شطر زمان وعليهم سيمة الإسلام والإيمان حتى أراد الله الرحيم الرحمن أن ينحطوا إلى حضيض الذل والهوان ، وينخرطوا فى سلك أهل الضلال والخذلان .

وفيهما قدم أهل منيخ وأهل الزلفى على الشيخ وعبد العزيز لأداء السلام وتجديدا لعهد الإسلام ، ووفد معهم سليمان بن عبد الوهاب ولم يكن له إلى منيخ رجوع وانقلاب ، بل حسن له في الدرعية السكنى والمآب ، فقبولوا بالقبول والإكرام والبشاشة ، وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحنن واهتشاءة ، فدثر حاله حينئذ وأراشه ووسع عليه قوته ومعاشه ، وكان هذا شأنه مع غيره طيب الله في ضريحه مهاده وفراشه ، فكان ذلك سببا لإنقاذ سليمان وصدقه مع أهل الإيمان وتحقيقه بهذا الشأن ، فقام في هذا الدين بتحقيق وجزم ويقين ، وأفر على نفسه واعترف بما قدمه قبل وأسلف ، ووفى بما عاهد عليه وما أخلف ، ومات والله الحمد على حالة رضى بعد ما جرى منه وما مضى ، فلم يوافه القضا إلا بعد ما رفض ما كان عليه وانقضى . وفيها وفد أهل الإمامة وأميرهم البجادی حسن ، فقدموا على الشيخ وعبد العزيز في ذلك الوطن جددوا للإسلام عهدا ، وأرسل معهم معلما في ذلك المبدأ وهو حمد العرينى ، فسار معهم لأجل نشر التوحيد والتعليم ، ومكث عندهم حتى صدر منهم ذلك الأمر العظيم والخطب الجسيم ، وذلك أن أهل تلك القرية شرعوا ينسجون أردية الغدر والفرية وينظمون أحوال الخيانة والردة بلا مرية ، ويدبرون فيها مظلم الأراء ويديرون أسباب التعدى والاجترأ ويحاولون الفتك بمن عندهم من أهل الدين ، حتى اجتمعوا عليه يتيقن وتعاهدوا عليه مجتمعين وتجاهروا به غير محتفين ، فلما تحقق منهم ذلك حمد العرينى وابن داعج وعرفوا أنهم من غير شك يريدون الردة ، وأنهم يبغيونهم بالقتل غدا أو بعده خرجا منهم هاربين وكانا للسلمية طالبتين ، ثم بعد ذلك أسرعا إلى عبد العزيز بذلك الخبر ، فأمر المسلمين فورا بالتجهز للغزو ، فخرج سعود بهم وظهر وجد السير إليهم ليلا ونهارا لا ينسخ إلا وقت الراحة اضطرارا أو جنوح الشمس اصفرارا ، حتى وصل إلى السلمية فألقى الرحال ووضع فيها من المسلمين عدة رجال ، وأرسل إلى الدم والضبيعة ونعجان مرابطة كثيرة من أهل الإيمان خشية معالجة الردة والافتتان ، وبقي أياما كثيرة يكتب أهل الإمامة من جهة تلك القضية ، ويحث حسن البجادی على إخراج أهل الشر من بلاده والأعدى الذين صدرت منهم تلك السعاية ، واجتمعوا على المسلمين بالفتك والنكابة ، فوعده الامتثال والإخراج وليس دون ذلك من إرتاج ولا عن جلالهم من إفراج ولكن بعد ما ترحل عن هذه البلدة يعنى السلمية

وتحط الأثقال في الدرعية وكان هذا منه خديعة ومكرا وقد حاق به شؤم فعله قسرا، وما أغنى كيدَه وما نوى بل حطه في قعر الإذلال والحزى فتوى ، وذلك أن سعودا لما جاءه منه الوعود بأنه ينفي عن بلده اليمامة كل من لا يحسن له بها الإقامة ولا يعرف أهل التوحيد قبل ذلك إسلامه ولا تبينت له قبل صلاحية واستقامة وبعد ما تشرع في الارتحال تكون منا الطاعة والامتثال رضى بذلك منه وما جال في خلدِه ما صدر عنه ، وما شعر أن وراءه من الغدر نسيجه ، وأن بارتحاله تبدو له النتيجة ، فحينما ما أخذ سعود في الارتحال والمسير شرع حسن مع جماعته لأسباب الردة في تدبير ، فلم تنخ له في البطحاء الركاب وتحط الأثقال أولئك الأصحاب إلا والردة قد أحكت لها الأسباب وولج إليها من كل باب وأظلم أهلها مداهم العقوبة والعذاب . وحاصل ما صدر وتحقيق ما جرى وظهر أنه خرج مع أهل النجدة من أصحابه وكافة رجاله وأحزابه يريد من في السلبية من المسلمين ، وكانوا بذلك الأمر مشعرين ولقدومهم مستعدين وللقائم متأهبين ؛ فلم ينور الصبح بالإسفار حتى نهجم أولئك الأشرار وكان لهم إلى حبل النخل البدار ، وراموا أن يسابقوا المسلمين على القلعة المسورة ، فلم يكن والله الحمد لهم عليها مقدرة ، فبذل دونها أهل التوحيد المعذرة وأرخصوا ذلك اليوم الأعمار ، وكان لهم فيه الغاية من الثبات والاصطبار ، وطال بينهم القتال والكل شعر الساعد والأذيال وأنف من المعرة والإذلال ، وبذل في ذلك جده وجهده وتبين فيه أهل البأس والنجدة وأنجز الله تعالى للمسلمين وعده ، فحمى الله تعالى عباده المؤمنين وصرف عنهم كيد المعتدين (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) فرجعوا على أعقابهم من حيث جاءوا وانقلبوا بالعار والحزى إلى مكانهم وفاءوا ، وقتل من المسلمين اثنان ورجع أعداؤهم بالهوان . وفيها صاح إبليس بأهل الخرج وتنفس وسول لهم الخروج عن الحق ووسوس وزين في الارتداد منهاجه وحث على إغوائهم أعوانه وأفواجه ، وأقبل عليهم بخيله ورجله ركضا ، فقاموا بذلك وأسرعوا إليه نهضا ، وفتح لهم اللعين ذلك الباب وطرح بهم في مفازة الهلاك والعذاب وجمع عليهم من أنواع الذل أسباب ، ثم نادى فيهم بالخراب والذهاب فقال : ليس لي إليكم رجوع ولا إياب ، فقد صارت عقباكم الندامة ، وليس لكم على ملامة . وحاصل ما جرى منهم من قبيح الأفعال وما وقع بهم من الإهانة والإذلال ، أنهم لما حسنت لهم الردة وحقق كل منهم فيها قصده لم يجدوا قوما ورئيس ، سوى قرين إبليس وهو زيد بن زامل ، وكان إذ ذاك عن الأمر غافل وبمأدبره وراموه جاهل ، وليس

( ٧ — تاريخ نجد — ثان )



للمرياسة حينئذ بآمل ، فأرسلوا إليه بالتقدم فقد جاءك ما تريد وتروم ، فأسرع إليه بالإياب فإني أراك بغير ارتياب ، فلم يرعو إلى ذلك الباطل والأذى ، وقال من رام هذا فقد وسوس وهذى ولا أقدم عليكم إلا إذا ولكن أرسل إليكم ابني وهو نائب فيكم عني ويقف على حقيقة الحال وما صار إليه المال ، فخرج ابنه يريد الدلم ونوى ذلك وعزم ، فلم يرعهم حتى قدم عليهم وهجم ، فأرسلوا عند ذلك إلى آل مرة وكانوا قريبا منهم ليقضى الله فيهم أمره ، وأعلم بذلك أيضا أهل اليمامة فعجل كل منهم مجيئه وإقدامه واجتمعوا يريدون المسلمين الذين في البلاد وليس عندهم خبر بمن ناوأ وكاد بل هجموا عليهم من غير تأهب ولا استعداد ووقع معهم في جوف البلاد المقاتلة والمقابلة والجلاد ، فقتل من المسلمين نحو عشرة رجل ونادوا غالب المسلمين من غير إمهال ، وتفرقوا في بلدان المسلمين وبقي أهل الباطل في الدلم مجتمعين ، ولما جاء زيد بن زامر ذلك الخبر وتحقق من أهل بلده ماجرى وصدر أسرع إليهم بالمسير والارتحال وقدم عليهم بعد مضي أيام وإيال، وما تصور في ذهنه أنه يخرج منها بهوان وإذلال، ويعجل له الإخراج منها والجلاء والانتقال ، وحين وصل خبر ذلك الأمر الصادر والفعل القبيح الهادر إلى إمام المسلمين متع الله تعالى به في تمكين جهاز إليهم سعوذا وأصحابه وعجلاه في المسير وأحزابه ، فجد السير حتى قدم إليهم هو ومن معه عليهم فأناخ في بلد السلمية لأجل إخراج من فيها من رعية ، فأقام فيها نحو يومين حتى تجهز للارتحال وتهيأ منها للجلاء والانتقال جميع أهل التوحيد بسكينة وتأيد ، ثم سار مرتحلا بعد ما نال منها أملا ، وخرج معه من غير المرابطة حمائل كثيرة من أهل السلمية بجميع ما لهم من أهل وحيوان وأثاث من غير تلبث ولا ارتثاث ولا مبالاة بذلك الوطن ولا اكتراث ، بل هم لما عند الله محتسبون (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرسه الله تعالى وأفاض عليه جوده دوالي يريد الخرج وآل مرة الذين فيها ومن ساعد على تلك الردة ومقوتيها ، فجد حرسه الله في ذلك يريد جميع من هنالك ، وقد اجتمع في تلك الأراضى جميع من له في الردة ارتياض وعن له إلى بعثها انتهاض ، وقد ملأ تلك الفياض الفجاج من له في الباطل والزيف انتهاج ، واحتسبوا في ذلك للقتال والمقاومة وتأهبوا للجلاد والمصادمة ، بل هم كل ساعة إليها في انتظار وليس لهم عنها بدء ولا اضطبار ، فتقرب

إمام المسلمين إلى الله رب العالمين بالدعاء بالنصر على المبتلين ، وحثّ إليهم النجائب وأعمل في النص الركائب حتى قاربهم حين الهجود وكانوا عفاة رقود ؛ فعند ذلك عبأ أهل الغارة والكمين حتى أخذ الفجر يبدو ويستبين ، فلما انكشف غيب الدجى وزال وجدّ الضوء في الاشتعال ، وفرغ من سبحة الصبح شرع فيما كان فيه له السرور والنجاح فأمر أهل الغارة وغاروا فربحوا في سعيهم وما باروا وبادروا إلى أمره وما حاروا ، فاستاقوا جميع الآبال وما كان لهم دونها إهمال ، فلما شعرت قبائل العرب والبادية أقبلت جميعها عليهم عادية ، فاختلطت الفرسان والأبطال وكان بينهم أعظم مجال ، وكان المسلمون قد وطئهم في مضيق شعب من الشعاب ، فلما نهدت إليهم أولئك الأعراب وعاجلهم بالفزع والانتداب ، فأمسكوا من الشعب المضيق ولم يكن للمسلمين فيه فسيح طريق ، فرمى من المسلمين بعض الناس وكان سببا لحصول الضرر والبأس فانكشف أهل الدين وجد في ساقتهم فرسان المبتلين ، وأخذوا يجاهدونهم ساقة والكل قد بذل فيه الطاقة ، واحتفى أهل الإسلام في ذلك المكان والمقام وصبروا على مصادمة أولئك الفرسان الأجلاف وثبتوا لطعانهم في حالة الانكشاف ، غير أن المسلمين قتل منهم نحو الأربعين على سبيل الحدس والتخمين ، وفك أهل الباطل غالب الإبل ، واستاق المسلمون على عجل ، ورجع المسلمون إلى بلادهم ، وأكرم الله تعالى من تقدم باستشهادهم . ولما وصل عبد العزيز إلى الحائر جهز سرية إلى اليمامة ثمانين راكبا فعقروا فيها إبلا ثم رجع كل إلى أهله آتيا ، وقتل من المسلمين المشهورين عبد الله ابن حسن أمير القصيم وهذلول بن نصير .

ثم دخلت السنة الحادية والتسعون بعد المائة والألف . وفيها غزا المسلمون وأميرهم سعود يريد الحرج ، فذكر لأهل تلك البلاد أن هنا غزوا للمسلمين ، فتأهبوا له في الاستعداد ونفر منهم كل جرى الفؤاد ومن مارس الحرب والجلاد ، فخرجوا إلى لقائه قبل غارته واعتدائه ، فتوافق الفريقان وتصادف الجمعان في أرض السهبا والكل منهم قد روض على الصبر قلبا ورام لعدوه استيلاء وسلبا ، وقوى جأشه حتى ينال غنيمة ونهباً ويفك نفسه مما أحاط به داهية وكربا ، فطال بينهم المجال واستحضر القتال والقتال وقتل من الكل رجال ، ثم حصل بعد أن جهد كل منهم الانفصال ورجع كل إلى بلاده ولم يحصل على نيل مراده . وفيها عثر على أهل سدير ومنيخ بنسج أردية

الردة وبرود ، وسعاية في فتح بابها المرتج المسدود ، وتبين من أناس فيه قيام وقعود ،  
وأتى الشيخ وعبد العزيز الأمير من حقق له ذلك النسيج والتدير ، وحق له أن  
ينشد على لسان التحذير :

أرى خلل الرماد وميض جمر      ويوشك أن يكون لها ضرام  
فإن لم يطفها عقلاء قوم      يكون وقودها جثث وهام  
فدا أعلم الشيخ وعبد العزيز عثمان بن عبد الله بمن قام فيها وقعد ، جهز عبد الله  
ابن محمد في السير إلى تلك البلد ، فسار في يومه ذلك ونهد ؛ فلما وصل عبد الله ومن  
معه من المسلمين إلى بلدان سدير ومنيع ، أمر على الحسيني ومحمد بن إبراهيم وحمد  
ابن عبد الله من أهل حرمة ومن أهل سدير صعب بن مهيدب رئيس الحوطة ومنصور  
ابن حماد رئيس العودة وعياله بالجللاء عن ذلك الوطن الذي نوا به إيقاع الفتن ،  
لكون تلك الأمور المسطورة والأحوال المشهورة المزبورة جميعها منسوبة لهؤلاء  
الجماعة المذكورة ، فأتى بهم إلى الدرعية لأجل نسخ تلك القضية ، فلم تقم أولئك  
الغزاة في الأوطان بل بادروا بالخروج إلى الخرج بإعلان ، فجد عبد الله بن محمد بمن  
معه من المسلمين في ذلك المقصد ففاز بالمكان الأسعد ، وذلك أنه صبح الدم بالغارة  
وأشعل فيهم ناره ، فقتل ستة رجال وعقر عليهم كثيرا من البقر والآبال . وفيها  
نارت للردة في حزمة نائرة وأضرمت للحرب نائرة ، وذلك أن ذوى القلوب الشريرة  
الفاسدة والأفئدة المغולה الحاكمة ، والنفوس التي هي للمسلمين في الحقيقة حاسدة ،  
وللحق منكرة جاحدة حصل بينهم تواطؤ وتوافق وتساعد وتطابق على إشعال نار  
الردى وإطفاء مصباح الهدى ، فصارت منهم الأيمان والمعاهدة والحلف والمعاقدة  
ورئيسهم في ذلك الغدر وناسج أردية الخيانة والمكر جويسر الحسيني ، فوطأ لقلوب  
رءوسا سدير وهم سويد بن محمد وآل ماضي وحمد بن عثمان على الغدر بأهل الإيمان  
وأن أهل كل بلد تقتل من المسلمين من بها قام وقعد ، فأعطوه على ذلك ما أراد  
وأطاعوا له بالمراد ، فلم يكن لهم والله الحمد عون ولا إسعاد ولا ظفروا برشاد وخابوا  
وآبوا بسخط رب العباد ، فلما أرادوا أن يبادروا بالإنجاز ويعاجلوا الفرصة بالانتهاز  
أرسلوا إلى كبار المسلمين الذين في الجمعة أن يأتوا إلى حرمة يعلمون ، فهنا متعلمون  
ومستمعة ، وقد انتظم العقد والإبرام وأتقن مرادهم بالإحكام على قتل أولئك الأقوام ،

ولكن أراد الله تعالى إذلال أولئك العتاة اللثام ، فلم يجيء أهل الدين والاسلام ولم يحصل منهم إلى حرمة إقدام ، فجاء أهل الدين والاسلام إلى حرمة وهم محمد بن شبانة ومحمد بن عثمان الثمري وكنعان بن عيسى وغيرهم ، فلما كان لهم الحجى والإقدام أرسل جويسر ومن معه من الأقوام إلى أميرهم عثمان بن عبد الله ، وكان في نخل له يعلمونه بقدم تلك الجماعة ويودون تعجيله وإسراعه ، وقد أعدوا له ستة رجال لقتله ساعة الحجى ، والإقبال منهم أخوه خضير وابن عمه عثمان فتكفلوا لهم بذلك الشأن ؛ فلما قدم يريد البلاد وكان أولئك له في طريقه بمرصاد ، ولقتله في تأهب واستعداد ، قاموا عليه فقتلوه ونال جويسر وقومه منهم ما أملوه ، ثم بادروا إلى حبس من عندهم ومن استدعوه ومن قصدهم وهم محمد بن شبانة وكافة إخوانه ، وشمروا إلى الجمعة الأذيال وخرجوا يريدونها بلا إمهال ، وغايتهم قتل من بها من المسلمين وإمساك قلعها للتحصن والتحصين ، فلم يصلوا إلى فنائها بالأقدام حتى كان لأهل الدين ممن في البلد إلى القلعة سرعة وإقدام ، فأقاموا مدة يحاولون الولوج فيها والدخول ، فلم يكن لهم إلى ساحتها وصول ، فرجعوا منها بنحية السول ، وأرسل أهل الجمعة بعد انقضاء القضية إلى عبد العزيز رسولا على مطية يخبره بما صار ، فعجل إليه التسيار حتى وصل إليه الخبر عن الواقعة ثانی نهار ، فأمر سعودا والمسلمين بالتجهز مجتمعين فجد سعود لنيل المقصود وبادر في الأهبة في الحال وخرج على غاية الاستعجال ، فلم يلق عصا الاستراحة حتى كانت حرمة مناخه ومراحه ، فطنب على تلك الهضاب رفيع تلك الخيام والقباب ، وبقى عليها أياما مقبلا وكل يوم ينالون من القتال أمرا عظيما ، لا ينفكون عنه ليلا ولا نهارا ، والكل يبدي على ذلك الجلد والاصطبار ، وقتل بينهم من الرجال ذوو عدد في تلك المصابرة والأمد ، فلما جهد الحصار أهل البلاد وأضناهم القتال والجلاد وتحققوا أن سعودا لا يكاد ينصرف عنهم بغير المقصود ، وأيسوا من باطل الوسوس والآمال وجزموا أنهم لا يحصلون على طائل ولا حال ، طلبوا من سعود الدخول في الإسلام والإقبال وأبدوا له الندم والأسف والإذلال ، فأسقط عنهم النكال ، وتلقاهم بالقبول وكان لهم إلى مرامهم وصول ، واشترط عليهم أن ينفوا جميع الأشرار وهو جويسر الحسيني فأسرعوا في البدار فبايعوه على الإسلام والتزموا له جميع الأحكام ، وأمر عليهم ناصر ابن إبراهيم وأطلقوا محمد بن شبانة وإخوانه الذين معه ، ثم لما عزم سعود على السير

والإقبال عزل رئيس الجمعة ، فأمره وأهله بالارتحال لمأصار منه من تلك الأفعال ، ثم لما وصل إلى جلاجل عزل سويد بن محمد عنها فأمره وأهله بالانتقال منها ، وأمر في الجمعة عثمان بن عثمان وفي جلاجل ضويحي بن سويد ، وسار رئيس الجمعة إلى القصب وأقام فيها وقصد سويد شقرا ، ورجع سعود بمن معه من المسلمين ، ثم أمر عبد العزيز على حمد بن عثمان وسويد بالهجرة إلى الدرعية ، فكانت لهم سكن والكل نوى فيها حتى مات فظعن . وفيها سارت للمسلمين فرسان يريدون الغارة على الدلم ، فقضى الله تعالى وحكم أن أهل الخرج يوافقونهم قبل الإراكة ، فلم يسع المسلمين الانصراف والانفراكة بل كل أمل من عدوه مرامه وإدراكه ، فجالت تلك الفرسان وجرى بينهم الطعان وقتل من المسلمين منيف بن نصير وابن شهبى وأصيب من الخرج عدة رجال ورجع المسلمون بعد ذلك الحال .

ثم دخلت السنة الثانية والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرسه الله تعالى يريد الدلم وقد صمم على حصارها وعزم ، فجد السير إليها حتى أناخ عليها وكان وقت لذة الكرى فما أبصره أحد ولا درى ، فتوهل بعض الحلل ونال منها المراد والأمل وبقي ينتظر الصباح حتى يحصل له من مراده النجاح ؛ فلما أسفر ضوءه ولاح وفرغ من صلاة الإصباح نهده إلى الحرب وأشعل جمرة الطعن والضرب وأحاط المسلمون بجميع تلك الحلل وأحكموا الأسباب لأخذ الآراء والعمل ، وما يشعرون أن أهلها ممتعون إلى حين (وأملى لهم إن كيدى متين) فجدوا إلى تحصيل المطلوب وإدراك المنى والمرغوب ، ولم يحيطوا علما بأن ذلك غير مقدر لهم ولا مكتوب ، فأرجف أهل البلاد وأيسوا من أنفسهم في مصابرة الجلال وطمع أهل الإسلام في الفتح لما عاينوا من علامات النصر والنجاح ، وذلك أن أهلها لما خرجوا لقتال المسلمين ونهضوا إليهم ضحوة مجتمعين والتقوا معهم في تلك الحلل فكسرههم الله تعالى وهزمهم على عجل فولوا سراعا على غير مهل فعند ذلك داخل أهلها الذل والحلل وملا قلوبهم الرعب والوجل حتى إن بعض أهل تلك الأوطان طلب لنفسه الأمان ولكن أمر الله غالب ولا يفوته سبحانه هارب ، وكان من قضاء الله تعالى المقدر وحكمه النافذ المراد المدبر أن زيد بن زامل كان ذلك اليوم في اليمامة عند أولئك القوم ، فلما سمعوا الرمي في تلك البلاد فزع هو ومن فيها من العباد ونهذوا إلى ذلك سريعا وأقبلوا جميعا وكان

غالب مقاتلة المسلمين بأهل تلك البلد محيطين وبحلهم محقين وعلى أخذهم مشرفين ، فانصب زيد ومن معه على محطة الجيش المجتعة من غير فكرة ولا خبرة ولا اختبار ولا تدبر ولا استصبار ، بل قضاء الملك القهار وقدر ميسر من الأقدار وذلك أنه عدل من المحلة التي يسمع بها اللغظ والأصوات وعليها المقاتلة والرماة ورام أن يدخل البلد من الباب يظن أن ليس هنالك أحد ، فإذا الجيش بجذائه نازل بقربه وفنائه ، ولم يشعروا إلا بالجلبة والصياح وتشريع أسنة الرماح وإطلاق أعنة الجياد الملاح ، فاندعر الجيش وطاش واندesh حيرة وارتعاش ، وأخذ زيد من ركاب الجيش نحو الخمسين وقتل حينئذ بعض المسلمين ، ثم اجتمع المسلمون وتراجعوا سريعا وتلاحقت مقاتلتهم جميعا وقربوا إلى البلاد كافة وخرج أهلها للقتال بعد الذلة والخافة ، فوقع بينهم في تلك الساعة قتال وقتل بينهم رجال ثم بعد ذلك وقع التفرق والانفصال ، وسار عبدالعزیز حرسه الله تعالى ومن معه من المسلمين فأناخوا على نعجان أجمعين ، وبقوا أياما لها محاصرين حتى فتح الله تعالى على المسلمين منها بعض الحلل فأخذوها وفرأ أهلها على عجل وقتل فيها رجال وفاز المسلمون بكثير أموال ورجع المسلمون إلى بلادهم وقد أكرم الله نحو العشرين من المسلمين في تلك الغزوة باستشهادهم ، وقتل من جميع أهل الخرج فيها قريب من ذلك . وفيها نزل سعدون بن عريعر الخرج وأرسل لعبدالعزیز يطلب الصحبة فوافقه على ذلك وشرط عليه أن لا يقرب البلد إن قصده مكر وخديعة يزين لأهل البلد الردة ، ثم بعد ذلك نزل مبايض فبان قصده فنبذ إليه عبدالعزیز عهده ، فأقام مدة ثم خاف من المسلمين فارتحل في القيظ وتوعر في مضمة الدهنا والصمان وتوسط فيها ذلك الزمان فناله وقومه أعظم النصب وتعبوا أشد التعب ومات ما عندهم من الأغنام وكابدوا طلائع الحمام وأوهن الله تعالى كيده ومارام .

ثم دخلت السنة الثالثة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها عزم أهل حرمة على الردة ونووا وخلعوا ملابس الدين وطووا ، ونشروا للخيانة والردى علما وسعوا إليها أمما وهيئوا لأسبابها وفتح بابها أمرا محكما وعقدا رصينا في زعمهم الفاسد مبرما وذلك أنهم أرسلوا إلى سعدون رئيس بني خالد بما دبروه فكان على ذلك الشأن واجد وعلى القيام فيه والنصرة له مجد مساعد ، فاستدعوا أيضا أهل الزلفي فكان كل منهم على ذلك مستلقي وإنجازة كل حين منتظر مشفى ، فلما لباهم أولئك الأقوام وأجابوهم على

المساعدة في ذلك المرام ، وأوعدهم على يوم من الأيام ينفذ فيه ذلك الإبرام، ويصدر فيه العقد والأحكام وتراق فيه دماء ذوى الدين والإسلام ؛ فلما قرب سعدون من البلاد وتحققوا إنجاز المراد وعرفوا أنه يصبحهم غدا عمدا أهل الباطل والردى فألبسوا أناسا منهم ثياب النساء الغوانى ، وأمروهم أن يسيروا إلى الجمعة من غير توائى، ويصعدوا إلى بروج القلعة حتى يدهموا المسلمين في البلد ثم تكون لهم فيها منعة فلما بادروا إلى ذلك الأمر ومجلوا لنيل ذلك القصر وصعدوا إلى تلك البروج فأمسكوها حتى بدا من جماعتهم المجيء والخروج ، فتنبه أهل الدين لكيد المعتدين فسدهم الله تعالى وأعانهم وخذل تلك الطائفة وأهانهم فلم يظفروا بمرام ونقض الله تعالى حبل ذلك الإبرام ، وأقبل سعدون بن عريعر وبنو خاله وأهل الزلفى وأهل حرمة فأناخوا على الجمعة أياما وحاصروها وراموا بها من الفتك مراما ، وكان تلك الأيام حسن بن مشارى مقبيا في جلاجل مع جماعة من المسلمين ، فلما حاصر أهل الجمعة أحزاب البطلين نهده هو ومن معه إلى الجمعة ليلا فكانوا لأهلها مسددا ونالوا بهم نيلا وأقامت أولئك القبائل والأحزاب في حصار للبلد وإضرار وخراب وعمدوا إلى قطع النخيل والأشجار رجاء أن يدين أهلها إلى السلم والنزولة والانحدار إذا شاهدوا هذا الإضرار ولا يكون لهم على ذلك صبر ولا قرار ، فثبت الله تعالى المسلمين وأوهن كيد المعتدين وكان أعظم من امتحن في ذلك الأمر قبل وبعد فبذل في ذلك غاية الصبر والجهد ، وأوذى فيه وابتلى وصدر عنه في القيام ذلك الأمر الجلى أحمد التويجى رحمه الله تعالى ؛ ولما وصل عبد العزيز الخبر عن ذلك الحال وما دبره أهل الباطل والضلال وما اجتمعوا عليه من الردى أمر بالنفير والمسير على ذوى الهدى ، فخرجوا بعد الاستعداد والأهبة ولم تكن لهم سوى الأحزاب مراد ولا طابة وأمر عليهم عبد الله بن محمد فأسرع إلى ذلك الأمر وأتجد ؛ فلما وصل الخبر إلى تلك الأحزاب أن المسلمين في قدوم وإياب وليس لهم غيركم طلاب ، عاجلوا بالارتحال وبادروا للمسير باستعجال، وشمروا في الرجعة والانقلاب ولم يظفروا مما راموا بحسن مآب ؛ فلما وصل عبد الله بن محمد ومن معه من المسلمين إلى حرمة وكانوا إذ ذاك نائمين ، فعبا الجيش والكمين ، فلم يسفر بضوئه الفجر وتقض صلاته ذات القدر حتى أخذ كل حزب مكانه وثبت على القتال جنانه ؛ فلما شعر أهل البلاد بما دهم ساحتهم من العباد وما حاط بهم من الهلاك والهلم والأنكاد



انذعرت قلوب ذوى الشر والفساد وارتعش منهم اللب والفؤاد وتمنوا أنهم لم يكونوا لما قدموا فاعلين ( ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ) فأحاطوا بهم من كل ناحية وجزموا عند ذلك بنزول الداهية ، فأقام المسلمون لها محاصرين وافتحها آملين ، كل يوم يهدون إلى القتال والقتل ويجدون فى تقطيع الأشجار والنخل ، فقطعوا نخل المويس جملة ولم يكن قطع غير بغير أناة ولا مهلة ، فأيس من الأعمار من فى البلد من الأشرار ونزل بهم الجهد والحصار وأزعجهم ذلك التخريب والدمار . وآخر يوم القتال هجم عليهم المسلمون فيها من بعض الأقطار ووقع بينهم الجلاذ والجلد والاصطبار ، وبذل المسلمون عند ذلك النفوس الغالية وآثروا الباقية على الفانية ، وقتل من الأشرار من منيته دانية وهم عشرة رجال كل بالغ حده فى الشر والضلال منهم مدج المعى ومحمد بن إبراهيم ، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم وأبقى عبد الله بن محمد رجالا من المسلمين وخيلا فى الجمعة حتى ينال أهلها بذلك عزا وتحصنا ومنفعة وليضيةوا على أهل حرمة المعاش فلا يكون لهم إليه سبب ولا انتعاش . وفيها فى شهر رجب غزا عبدالعزيز يريد السمية فلما قاربها شعر به من بها من البرية ، وانصرف راجعا بعد ما كان بها طامعا ولم يصدر منه على أهلها منازلة ولا غارة لأمر اقتضاه رأيه واختاره ونهد من ساعته فى ذلك الطريق لإرادة الله له بالتوفيق ، فجد السير والمسير يريد فرقانا فى أرض عروى نجد من مطير ، فصباحتهم فرسان المسلمين والإسلام واستقبلتهم مقاتلة أولئك الأقوام وحمى بينهم الطعان وثبت الله أهل الإيمان ، فشدوا عليهم وصمموا الحملة إليهم فولوا هاربين وأخذوا تلك الأسلاب أجمعين وحازوا من الآبال فوق المراد والآمال ، ثم رجعوا إلى بلادهم من غير إمهال ، وقتل من المسلمين ثلاثة رجال منهم عدامة بن سويرى . وفيها غزا سعود أسعده الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى ، فسار بالمسلمين يريد حرمة ويرجو الله أن ينزل بهم البأس والنقمة فجد السير إليها ليلا ونهارا فلم يجد دونها قرارا حتى أناخت تلك الجموع المؤيدة المنصورة بساحة تلك الطوائف المكسورة ، وأقام أياما عليها كل يوم ينهد للقتال إليها ويقع بينهم جلاذ وقاتل وتقتل بينهم رجال فى كل جولة ومجال ، فصابرهم على ذلك أياما وليال وهم فى غابة من الذل والإذلال ، واستولى المسلمون على النخل وحللها فأيس أهل البلد من رجائها وأملها وضيق عليهم بعد ذلك أهل الإسلام واحتنك عليهم قضاء ذلك المقام وحق بهم قضاء الملك العلام

وتحققوا أن البلدي دخل عليها من أقطارها ، وقد ذل جميع حمايتها وأنصارها ، فلم يحدوا منها ينتهجون ولا عوناً يرتقبونه ويرتجونه سوى النزول على الإسلام وحقن دماء أولئك الأقوام وإزالة ما يخشى على أهل الدين ويحذر ، فدانوا بذلك وثبت الله الأمر وتقرر فنزلوا وعاهدوا واشتروا من سعود جميع ما في البيوت من الأموال والطعام وتعاقدوا ، فأمر بهدم جميع القصور وإزالة ما فيها من الدور وبجلاء آل مدلج كافة فطاروا إلى البلد من المخافة ، فأضحوا على ما أسلفوا من الأعمال متندمين ، ( فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ) .

ثم دخلت السنة الرابعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها غزا سعود بالمسلمين زاده الله تعالى نصراً وتمكيناً ، فحث الأعوجية والجياد وقصده الزلفي لأجل ما جرى منهم من الفساد ، فشمروا إليهم المسير وفاجأهم قبله النذير فلم تصل إليهم تلك الجيوش والأجناد إلا وهم في غاية من الأهبة والاستعداد ، فشمروا الإزار والذيل ، للخروج إلى لقاء غارة الخيل ، فانهزوا لذلك وانتدبوا وأسرعوا إلى مطاعنتها وطلبوا فالتحمت الفرسان واستمر بينهم الطعان وقتل بينهم رجال في ذلك المعرك والمجال ثم وقع منهم الانفصال ، ورجع سعود ومن معه من المسلمين إلى بلدانهم أجمعون . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد الله بن محمد ، فسار بالمسلمين إلى الزلفي وقصد فأعجل الركائب في نيل ما هو طالب فلم يصل لذلك المحل حتى سبقه النذير على عجل ، فكانوا متأهبين للقدوم ، وكل يوم ينتظرون الهجوم ، فلما أغار على تلك البلاد لم يحصل له منها مراد فانصرف عبد الله راجعاً ، فلما وصل إلى رغبة رجع مع أهل العارض ورجع أهل سدير وأهل الوشم يريدون بلدانهم وإذا سعدون بن عريعر مع جموع بني خالد لهم مواف معارض ، فألبقت عليهم تلك الجيوش والجموع ولم يكن أحد منهم مسلماً ممنوع ، فخالوا على جميع ذلك الجيش وسلم الله تعالى من له بقية من العيش ، وثارت خيول المسلمين وولى الباقي فرسان المبطلين ، وقتل من المسلمين نحو من الثلاثين منهم حسين ابن سعيد أمير العودة وعبد الله بن سدحان من كبار أهل شقرا ، وفي ذلك اليوم أغارت خيل ابنى خالد على فريق من المسلمين سبعان فاذا عندهم أناس من أهل ضرما منصرفون من غزو عبد الله ركائب وفرسان ، فحين غارت خيول ابنى خالد خرج إليهم كل شهم شجاع مجالد فجالدوهم ساعة وزماناً وأسر المسلمون منهم فرساناً منهم سعدون ابن خالد وفدى نفسه بثلاثة آلاف زر أضحى لغالبها ناقد . وفيها سار سعود بالمسلمين

يريد الحوطة فجذ السير إلى تلك البلاد وأعمل في ذلك غاية الاجتهاد ، فأناخ وسط الليل حولها ولم يشعروا بذلك أهلها فرتب أصحاب الكمين وأهل الجيش أجمعين ، فلم يضيء الفجر بإسفار ويخرج أهل الحاجة للانتشار إلا والغارة غادية وغرر الجياد عليهم بادية والأصوات عالية بعدما كانت هادئة ، فأسرع الخروج أولئك الأقوام وكان لهم إلى اللقاء إقدام ، فطال بينهم المجاورة والالتحام وكل ارتدى برداء الصبر والاعتزام ، وقتل من أهل البلد في ذلك المجال خمسة عشر من الرجال ، وقتل من المسلمين بطى المطيرى ، ورجع المسلمون إلى بلادهم .

ثم دخلت السنة الخامسة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار المسلمون وأميرهم سعود بلغه الله تعالى المنى والمقصود ، فحث على السير جياده وركابه ، وكانت الدلم مراده وطلابه ، فتوغل في تلك الأراضي وقد هدأت بلدة الإغماض ، فعند ذلك قام في أداء أكيد الافتراض من التهيئة والتعبئة عند إرادة الانتهاض ، فلم يكن له عن ذلك صدود ولا إعراض ولا انحراف ولا ميل إلى الراحة حتى أشعل الفجر مصباحه ، وركض الصبح على الدجى وبدره بمموده وجفا ، فعند ذلك أذن للكتابة وسأل الله تعالى فيها أن ينيله مطلوبه ؛ فلما فرغ من صلاته نهدي إلى تعبئاته وأخذ الكمين مكانه وحرص على الصبر جماعته وإخوانه ؛ فلما أخذت الشمس في الإسفار كان له إلى الغارة البدار وقبض جميع من في الدلم من المقاتلة وراموا الجلاذ والمقابلة ، فأورث فيهم أهل التوحيد والإيمان مشعل النيران وأرووا من نحورهم أسنان الماران ، فطاشت لذلك قلوبهم وزاغت أبصارهم ورعبت كراتهم وأنصارهم ، فلولوا عند ذلك الأدبار ، ولم يكن لهم على ذلك الهول اضطبار ، وانهزموا على أعقابهم مدبرين وبرحوا في بلدتهم متحصنين . وأقام المسلمون أياما في قتالهم وحصارهم مجتهدين في حربهم ودمارهم كل يوم يصاحبون قطع نخيلهم وأشجارهم ، فقطعوا خضر بن عشبان في ذلك الزمان فعرتهم الذلة والهوان وعلتهم هموم وأحزان وقتل منهم في ذلك الوقت والأمدرجال من غير حصر وعدد ، ثم إن سعودا حرمه الله تعالى نوى بناء قصر في ذلك المكان ويجعل فيه من أهل الدين والإيمان من يضيق على أهل تلك الأوطان ، وصمم على ذلك الرأي والبنا ، فنال بذلك الرفعة والثنا ، وقد كان بذلك الرأي والده مشير ، وهو مبارك المشورة مسدد التدبير ، فرفع قواعد بدع الحق الشامخ العال ، فكان والله الحمد سببا لهدم بدع النغى والزيف

والضلال ؛ فلما فرغ من بنائه وإتمامه وقضى من تشييده وإحكامه ، وضع فيه من الأبطال عدّة ، وجعل فيه خيلا ومن آلة الحرب عدة ، وكان جميع من فيه ذوى بأس في اللقاء والشدة ، وصبر عند الإقدام ونجدة ، وأمر عليهم محمد بن غشيان وكان ذا شجاعة وحدة ثم انصرف سعود راجعا وفي بلده راغبا طامعا . وفيها غارت من المسلمين خيل من قصر البدع فتوافقت مع خيل لأهل اليمامة ، فجالوا معهم ساعة فقتل المسلمون فرحان بن راشد البجادي وجرّعوه حمامه . وفيها ارتد جديع بن هذال بعد ما دعى الإسلام وعاهد وكان عليه من إقبال ، فولى هاربا وفي الضلال راغبا وانتهجه طالبا فأراد الله أن يوافقه مطير في ذلك السير فناوخه أولئك العربان ، وقتل جديع وأخوه وثلاثة معهم فباءوا بالحسران . وفيها حزب أهل البغي والعدوان وذوو التعدي والطغيان على قصر البدع الذي فيه ابن غشيان ، وذلك أن هذا القصر لما أسس وبني واهتم بأمره واعتنى ، واختير من الرجال حماه وفرسانه والمرابطون فيه وسكانه ، فكانوا أولى بأس شديد وإقدام ليس في اللقاء عليه مزيد ، ومصابرة في الطعان والإقدام وعدم الخوف من الحمام ، ولم يتبين من أحد منهم في اللقاء إحجام ، وكانوا في غالب الليالي والأيام يعدون على أهل الخرج وينالون منهم المرام ، ويقعدون لهم المراسد ويأخذون كل قادم وقاصد من الأقارب فضلا عن الأبعد ويقتلون كل صادر ووارد ، واستمر عليهم ذلك الحال وتجرعوا منهم غصص الوبال ، وأقاموا في أكسف بال لا يطعمون لذة المنام في دياجى الظلام ، قد حاربوا الرقاد وصالحوا السهاد والحرب توقد عليهم غاية الاتقاد ، فلما سقمت منهم الأجسام وضاق عليهم في بلادهم المقام وحالت وجوههم ذلك الزمان ، وتغيرت منهم الألوان وضوت منهم الأبدان ، وعميت عليهم مناهج الحيل وسدت عليهم مناهج جميع السبل ، ولم يلفوا في إزالة ذلك القصر سبب استعانوا في ذلك بأفكار العجم والعرب ، حتى جاءهم شخص من تلك النواحي ممن تسمى بالمعرفة وانتسب ، فشكوا له حالهم ومصابهم وما نزل بساحتهم وأصابهم ، فقال : ثكلتكم الأمهات وعدمتم الترفهات معشر الحمقى والسفاهات وأرباب الجهل والترهات ، لم تلدكم النساء للحروب ومكافحات الخطوب وإنما ولدتم للغى والهوى والبطالة ، فاستم مساعير الحرب ولا رجالة ، أغرتكم من هذا القصر أحزان حتى ذهب منكم اللب والجنان ، أغشيتكم منه الذلة والهوان وتشبهتم بالغواني ذوات الأخدان وتلفعتم بمروط النسوان ؟

فقالوا سبحان الله يا أبا العربان : كيف ينطق بالتأنيب منك لسان وتسرع إلينا بهذا الإغلاظ والهديان ونحن الكماة الشجعان ؟ ولكن قدالتقت حلقتا البطان واحتنكت علينا الأوطان ، فعسى أن يكون للراحة منك يدان . فقال :

بشراكم بالفرج فما بكم من حرج      سوف أريكم فكرة ليس بها من عوج  
وتبصرة وهمة تلقى العدا في رهج      إذا رأوها ذهبت قلوب تلك المهج  
أبدى من العز لكم نحرار فيع الدرج      ففكرتني منقادة وقادة كالسرج  
فقد تولى عنكم غيب خطب مزعج      وجاكم مرادكم فأصبحوا في بهج

فقالوا دعنا وهذه الغممة واتركنا وهذه الجمجمة ، فبين لنا بالإفصاح حتى نفوز بالأرباح فقال آتوني بأقوى الأخشاب حتى أصنع لكم ما بقي من الرصاص من الأبواب ، وأجعلها مثل الصندوق وأعلاه مطبوق ، والرجال فيه مداريع وبأيديهم المفاتيح والمصاريع ، ويحمل ذلك الصندوق على عجل وأهله فيه قعود على مهل ويدفعونه أولئك القعود فيسير بالدراريج غير مردود ، فإذا وصل إلى السور يفتح ويحصل المراد وينجح فيهدم السور وينقض ويوهى أساسه وينفض ، وترمى أحجاره وتقتل بعد ذلك أنصاره وتدخل فيه الأجناد ولا يبقى فيه أحد من أولئك العباد ، فلما أخبرهم بهذه الحيلة وفاه ، أقبل منهم كل يقبل فاه ، وقالوا ( إنك اليوم لدينا مكين ) فاحكم بما تريد من أموالنا وتستكين ، فقال : ذلك بعد ما يتم المراد ويحصل لكم الإسهاد ، فعجلوا إلى الأخشاب والأعواد ، فأسرعوا في الاستعداد وأتوه بما طلب وأراد ، وشرعت الصنائع تصنع في الحديد وأقاموا على ذلك أياما بلا تعديد وهم في تعب شديد حتى فرغ من أمره ذلك الشيطان وأبرز كيده من غير توان وقعد فيه أناس متدرعون عتاة مردة وأخذوا يدفعونه ويعطى مقوده وهيشوه إلى السور ومرصده ، فلما توسط في الطريق عند القصر ومشهده أبي إلا الوقوف ، وكأنه عن المسير مصروف ، فعجل الله لكثير من فيه الختوف وحاولوا في ذلك أعظم حيلة ، فلم يكن إلى ما راموه وسيلة وقالوا قد زال الفرع وجاء الترح إن بقي هذا العجل في هذا المكان والمحل هبط من في القصر ونزل فقادوه علينا وأوصلوه إلينا ، فكنا كمن ألقى نفسه في الهلاك ووضع لإتلافها حبال وأشراك ، وكان القوم الذين فيه لا يقدرّون على رده ومن جاء من الأحزاب قتل قبل أن يصل إلى حده ، فخاروا وخاروا وخسروا وباروا ويوم تعدوا وجاروا ، وبقوا

ساعة وزمانا يعانون هما وأحزاننا ، وقد تسربلوا بلباس الإحجام وأبت أن تسير إلى رده الأقدام حتى جرى بينهم عتاب وملام وتنادب وبكاء بدموع سجام، فانتدب له رجال وناداه بعض منهم وقادوه قريب الحال ، ثم بعد ذلك شبوا عليه النار وقالوا لا تستطيع تشاهده منا الأبصار ، فلما غربت الشمس ذلك اليوم وأقبل الإظلام اجتمع أهل الحريق والحوطة وأهل الخرج بالتمام وساروا يريدون الهجوم على القصر والصعود وقد تعاهدوا على ذلك بالآيمان والعقود ، فوصلوا إليه بالمحامل والكل للصعود آمل ، فشرعوا في الرقي والصعود ، وقتل منهم جمع غير محصور ولا معدود ، وبذلوا جد الاجتهاد فلم يشتفوا بمراد ورجعوا وقد قتل منهم خمسة وعشرون وباءوا بالخزي والهون ، ثم لما أعياهم ذلك القصر وعناهم ونكد عليهم معاشهم ودنياهم وحاروا في أقصاهم وأدناهم ولم يحصل لهم فيه مناهم حدد منهم جماعة من آل زامل وآل بجاد إلى سعدون بن عريعر في تلك البلاد وطلبوا منه المساعدة والإسعاد ، فأجابهم إلى ذلك المراد فتواعدوا على الخروج معه ، فخرج بعد ذلك هو والبدوان ممن تبعه ونزل على البدع مع تلك العربان ، ثم بعد ذلك أقبل جميع أهل البلدان وهم أهل الحريق واليامة والحوطة وأهل الخرج فاجتمعوا على سعدون وهم لهدم ذلك القصر رائمون ومع سعدون المدافع ، فاشتعلت بينهم نار الحرب والكل دون عمره يدافع ، وبقوا يرمون بالمدافع السور ، فلم يقع فيه من الرمي محذور وكان عن الهدم موقى محذور ، حتى تبين لهم البأس وعرفوا أن الله تعالى قد نصر أولئك الناس وأنهم عن الوصول إليهم لا يقدرُونَ ، فعند ذلك عزم على الرحيل سعدون وقالوا هذا لا يكون فبعدك يقع علينا عذاب الهون ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اختاروا منه جافية تسلكون فاستم بعد ذلك تلامون ، فظعن وارتحل ، وكل قصدماله من محل وتفرقت والله الحمد تلك الدول ، وبقى سعدون بمداغه مهتما وعلى إتيانه بها نادما مغتما ، لا يدري كيف يفعل ويصنع وهو إلى الهروب قد أسرع وعلى الانهزام قد عزم وأزمع ، فهو يجد فيه ويربع فاقتضى رأيه الشنيع أن يتركها في اليامة على سبيل التوديع ، فسار وتركها في اليامة ، فأخذها أهل الإسلام حين كان للدين بها إقامة . وفيها غزا عبد الله بن محمد بالمسلمين فسار يريد اليامة ، وأرسل عيونه أمامه وطلائعه قدامه ، حتى أناخ عند البلد وسط الليل وكان له على تعبئة جيشه ميل فرتب الكمين ، فلما أخذ الضوء ينير ويستبين أغار الجيش على البلاد ،

فخرج أهل الجلال وتطاعنوا قليلا وصبر أهل الدين صبرا جميلا حتى ظهر كمين الموحدين ،  
فأسرع أهل الباطل مولين وعلى أعقابهم منهزمين وقتل من أهل البلد دون العشرين  
منهم أحمد بن رشيد وعبد الله البجاري ، ثم بعد ذلك انصرف عبد الله بن محمد ومن  
معه من المسلمين فأغاروا على الحريق فألفاهم يحشون مجتمعين ، وكان لهم جماعة معهم  
مجنبيين فناوشوا القتال ثم انهزموا بانحفال وقتل منهم عشرون من الرجال ورجع  
أهل الإسلام بأحسن حال . وفيها غزا سعود بالمسلمين زاده الله تعالى عزرا وتمكن .  
يريد أسلافا مجتمعة من قبائل العربان من آل ظفير وعنزة مقيمين على ماء مبيض  
في ذلك الزمان ، فانتضى سنان الهمة والعزم ، وجرد صارم الجذ والحزم إلى ذلك الأمر  
والشأن حتى وصل إليهم بعد آن ، فشنت عليهم الغارة الفرسان ، وكانوا على أهبة واستعداد  
لللقاء الشجاعان ، فجال معهم المسلمون وهم على العزم والصبر ثابتون ولأنفسهم على الموت  
موطنون ، فلم يدرك منهم أهل الدين وأهل الإسلام في ذلك اليوم غاية ولا مرام  
وانصرفوا عنهم بسلام . وكان هذا أمرا من الملك العلام ليرى خواص الأنام ، ماخفي في  
الغيب من الأسرار والحكم والأحكام ، فارتحل سعود عنهم ونزل بأرض تميم ، ثم أرسل  
إلى مدد من أهل سدير فأقبلوا سراعا إليه وقدموا فورا عليه ، فظعن بعد ذلك وارتحل  
وجد يريد تلك العربان الأول ، فأسرع النزول مع أولئك الدول ، فلم يعد إليهم بعد  
ذلك اليوم إلا وقد جاء الإمداد من العربان أولئك القوم فحين رأوا أهل الإسلام  
قادمين ، فرحوا بذلك لأنهم كانوا على انصرافهم نادمين فأبدوا بالمسلمين الاستهزاء  
والاستخفاف ، ولم يدخل قلوبهم منهم مخافة ولا إرجاف ، بل جزموا أنهم لهم غنيمة  
وأنهم مها شدوا عليهم شمروا للهزيمة ، فكان البلاء موكلا بالمنطق فصير الله عليهم ذلك  
وحقق ، فحين حمل عليهم المسلمون طاعنوهم ضاعة ثم جدوا في الفرار لا يلبون ، فتولى  
المسلمون أكتافهم حين حقق الله تعالى انكشافهم ، وقد قتل منهم في ذلك الحال فوق  
المائة من الرجال ، وغنم المسلمون ما معهم من أمتعة وأثاث وأموال وجميع السلاح  
والأغنام والآبال ، وكان دهم أبا ذراع بمن كان لروحه في ذلك الحين انتزاع .

ثم دخلت السنة السادسة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار عبد العزيز  
حرمه الله تعالى من كل مكروه وبلغه ما يرجوه بالمسلمين يريد الحوطة ، فحث السير  
إليهم حتى قدم إليهم وكان وقت القدوم والإقدام حين عسعس الظلام ، واستقام غيب



الإسلام ؛ فلما أناخ وأقام لم يسرع إلى لذة الراحة والنام بل أخذ في التدبير والاستعداد لمقاتلة أهل تلك البلاد، فلما قضى من ذلك المراد والغرض، وأدى من الدعاء ما أوجبه الله وافترض ، بادر إلى القتال واتهض ، فأغارت الفرسان على طارفة البلد ؛ فلما عاينوا ذلك لم يتخلف عن الخروج منهم أحد ، فالتقوا أهل الدين وكانوا من الصبر على يقين إلا أن الله تعالى ليس لأمره راد ولا يقاومه سبحانه أحد من العباد، فحين صمم المسلمون عليهم باروا وقصدوا البلد وثاروا ، وقتل منهم في ذلك الوقت والمجال خمسة عشر من الرجال ، وأقاموا في بلادهم في جهد وضيق لا يتيسر لهم إلى الخروج طريق ، والمسلمون في تلك المدة قد بذل كل منهم في التخريب وقطع النخل جهده، فقطع جميع نخل الرحيل ثم كان للمسلمين إلى نعبان ميل فساروا إليها وأقاموا حوالها وقطعوا شيئا من النخل ثم انصرفوا إلى أهلهم راجعين . وفيها جرى ذلك الأمر العظيم والخطب المدلهم الجسيم وهو ارتداد أهل القصيم ، فقدر المولى الرحيم أن يرتعوا في ذلك المرتع الوبيء الوخيم وذلك أن كافة أهل القصيم إلا بريدة والرس والنومة لما أراد الله تعالى لهم المسكنة والذلة ، وقضى عليهم في سابق الأزل بالهوان والمذلة وأن يلبسوا ثياب الحزى والعار ويتدرعوا بمدارع أهل النار ويتحلوا بحمية الأشقياء الفجار، ويسلكوا مسالك الأشرار ( وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم ) من شر من أراد بهم الفجور والإضرار ، ونوى بهم قاصمة الظهر وأصروا على ذلك غاية الإصرار فرجع آيبا بالحربة والأوزار اجتمعوا على الغدر بأهل الدين وقتل من عندهم من أهل التوحيد وخصوصا المعلمين ، فحضر كافة رؤسائهم وكبرائهم وقدمائهم في ذلك الوقت والزمان يوم الجمعة في خفي مكان فتفاوضوا الأمر وأبرموه وشدوا عقده وأحكموه وتعاطوا بينهم الأيمان والعهود وحققوا الوفاء بالعقود على قتل أهل كل بلد من عندهم من المسلمين موجود ، في يوم معين عندهم معدود وزمن مؤجل معروف وقته مشهود ، فحين تم ذلك الأمر وانقضى انصرف كل إلى بلده ومضى ولم يكن عند المسلمين من ذلك خبره ، إلا أنهم على ما يصدر عنهم في حالة يقين ورضى ، فأرسل أهل تلك الأوطان إلى سعدون بن عريعر يخبرونه بذلك الحال والشأن حتى يقدم ومن معه من البدوان ، فكان قدوم ذلك الرسول عنده هو المني والرسول فبادره بإعطاء البشارة بعد ما أعلمه بالمأمول وأنه سريع الحصول ، فبادر إلى الأمر في الحال وآذن في جميع البوادي بالارتحال، فأقبل

بنو خالد كافة وعنزة وجدوا في السير والإقبال تعجيلا لذلك المرام الذي لم يخطر له على بال ، وقد داخله من السرور والاستيناس ما لا يعرف حده ولا يقاس ، وقال الآن حان للزمان أن يفي فتنهز الفرصة ونشتفي وقد قرب أن يطلع لي بأفق نجد نجم العز والفخر والمجد وينتشر صوت صيتي في الأقطار فأكون حامل راية الشرف والافتخار فتتحط لهيبتي رقاب الملوك فلا يروم أحد لمنهجي سلوك ، ولم يخلج في لبه أن شمس عزه قد آذنت للغروب بدلوك ، وأن جيشه مقدر عليه أنه موتور به مفتوك وأنه يرجع من حيث جاء معثورا مقروحا منهوك فسار بمن معه من الحماة والكهنة والأنصار يريد أهل تلك الديار حتى ينجز منهم مادبر وصار ولسان الحال يتلو عليه ولكن لا تأمل ولا اعتبار ( إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ) وحين قارب أن يلقي عصي السير والترحال ويحط عن الظهر الأثقال في أرض تلك البلدان أسرع أهل الشر والعدوان وشرعوا الأسنة على أهل الإيمان ، فقتل أهل الخير إمامهم في الصلاة منصورا بالخيال يوم الجمعة وهو للصلاة مرید ، فقطعوا منه الوريد وقتل ثنيان أبا الخيل وقتل آل جناح رجلا من أهل الدين مكفوف البصر وصلبوه بعصبة رجله وفيه رمق من الحياة ، وقتل آل شماس أميرهم على بن جوشان وفعل بقية أهل البلدان مثل ذلك الفعل والشان ومن لطف الله تعالى بأهل بريده وسلامتهم من الشيطان وكيدته ، وتوفيق الله لهم وكرامته وحفظه لهم وعنايته أن سليمان الحجيلاني وابن حصين وغيرهم عزموا على الردة وثبت ذلك عند حجيلان ؛ فلما أقبلت تلك العربان بادر حجيلان إلى قتلهم فقتلوا ولم يدركوا ما أملوا ، ثم أرسل إليه أهل عنيزة على سبيل السلام والإكرام وإظهار المبادرة في الامتثال والاعتزام من عندهم من معلمة الأحكام ومفهمة التوحيد الذي خلعت لأجله الأنام وهما عبد الله القاضي وناصر الشبلي وقالوا هو لا ، إليك قربة ومن تقرب إلى الله تعالى بهم كفر ذنبه ، وهم منا إليك هدية وليس في قتلهم علينا ولا عليك عار ولا وزر ولا خطية ولا مسبة عند الناس ولا رزية فجرد عليهم صارمه وبأسه وأسقى كلا من صرف الحمام كأسه ، فلبس من الحزى لباسه ، فقتلهم حين جاءوه صبورا فقال من مولاه حربا ووزرا وحقق الله تعالى لأهل الدين شهادة وأجرا ؛ فلما استقر في تلك الفجاج الفسيحة الوسيعة مع تلك الجيوش وأسلاف الهائلة المنيعة لبس أهل الشر

والفساد وأهل الشقاق والنفاق والعناد من أهل تلك الأوطان والبلاد ملابس السرور والفرح ، وزال عنهم ما كان في قلوبهم من الهم والأسى والترح ، وجاءت منهم جموع وأجناد وأنصار وأمداد . كيف لا وهم الذين قد حوا في ذلك الزناد وأوروا جمرة الفتنة أعظم الإيراء والإيقاد ، وأرووا شبي المواضي من تغور أولئك العباد (لا يغرنك تقلب الدين كفر) وا في البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) ولما نزل بذلك المحل عجل الله لأناس من جماعته الأجل ، فبادروا إلى بريدة في الإسراع وراموا ههنا حصول الأطماع ، فلم يؤب إليه منهم إلا الأقماع فداخله الرعب والارتياح حين أرسل إلى بريدة يريد الخيانة ، فأرسلوا إليه تلك الرؤس وقالوا هذه ضيافته وحشيمة الإقامة والجلوس فتبسط غيظا وغضبا وآلى إن ظفر بأهلها أن يقطعهم إربا إربا ويوقع فيهم من الفتك والمهتك أمرا عجبا ، وشر إلى أهلها في المنازلة وكانت منه إليهم معاملة ، ولم يحسب أنها تبقى إلى أمد بعيد . فضلا عن كونه يرجع عنها ولا يفيد ، بل جزم أنها مفتوحة عن قريب وأن سعيه لا يضيع ولا يخيب ، فآب أول يوم المنازلة بالحيلة والحرمان والقتل والذل والهوان ، وقبل جماعة من قومه في ساعته تلك لايومه ثم عاود الحملة يوما آخر على السور . فرجع منقوصا موتورا . وقتل من أولئك الحمر السود وكل من رام الهدم للسور والصعود ، وبقيت قتلاهم لا تنتقل ولا ترفع للدفن ولا تحمل بل بقي غالبهم ملقى مهمل . غير أنهم صاروا للعاديات مأثرة ، فهي إليهم تلك الأيام كل حين قاصدة وصادرة وعائدة ؛ فبقي أياما حارًا متقدما ثم أجمع رأيهم وعزمه محققا مصمما أنه يسوق عليهم جميع الآلات والخلق مزدحما ويلجها بعد هدم بروجها وأسوارها مقتحما ، وأنه يعاقب من الجيوش من لم يره متقدما ، فنهض إلى إنجاز ذلك العزم وإنفاذ تلك المهمة والحزم ، وبادر على تودة من الصباح متيما بالبسكوز في النجاح وحصول الأرباح كما يروى في الأحاديث غير الصحاح «بورك لأمتي في بكورها» وليس على راويه من جناح ، فأقبل بكيد عظيم مهول ، يحق للألباب عند رؤيته الإزالة والذهول ، فصر أهل الدين وصابروا . وجد أهل الباطل وكابروا ، وراموا اقتحام البروج والسور ، وهدم تلك الحصون والقصور . والهجوم على أهل تلك الدور فثبت الله لأهل الحق القلوب ولم يكن أحد منهم مذعورا ولا مرهوبا ؛ فرجع والله الحمد مذعورا مرعوبا مهزوما مغلوب وما أغنى عنه ذلك الكيد شيئا وكانت له الذلة والمقتلة فينا ؛ ثم بعد ما صدر منه ما صدر

وجرى منه ما تبين وظهر ، عض من الغيظ الأنملة ، حيث لم يرجع بما كان أماله ، وبقي على أفعاله السالفة وقضاياه التي هي للشرع مخالفة ، متحسرا متأسفا متندما متحيرا متحسفا ؛ فتفاوض مع أولئك الرؤسا الذين هم لا يزالون عنده جلوسا ، فيما يدفع عنه الهم والحزن والأسا واتفق الرأي السيد الجامع ، والأمر الذي هو المراد قطع ، وللعادو مذلة قانع ، وللمقاتلة مزعج رادع ، أنك نصبت لأجل هدم السور مدافع ويأني لنا بحكم ومدافع ، فلا يبقى لأهل البلد عن ذلك دافع ، وبصير لك معاند ومشاقق متابع ولحكمتك منقادا طائع ؛ فأجابهم أن هذا هو الرأي السيد وسينجز هذا قريبا غير بعيد ، فشرع في أسباب ما كان لهم به مجيب وإنجاز ذلك الأمر الذي هو في زعمهم صائب مصيب ، وجمع له أهل تلك الأوطان من جميع البلدان من أنواع الصفر جملة ، وأنجزوا له في قريب مدة ومهلة فلم تمض من الأيام مدة حتى اتفق عنده من ذلك عدة وشرع في صبا الصانع فكان في إحكام هيئتها طامع وأقام يعالجها في إحكامها أياما فلم ينل من ذلك مراما ، بل حاز ذلة وخيبة وآثاما ، وأطال في ذلك الأمر مكثا ومقاما ، وكلما صبا أبت وكلما أفرغها في القالب خبت ، فلم يتم لها حال ولا استقامة ولم يدرك منها مقصوده ولا مرامه ، وعرف في باطله إن لم يدرك شأننا وإن لم ينفذ بذلك لسان ، وكل يوم أو غالب الأيام يجري قتال وجلاد مع أولئك الأقوام وأهل الدين والهدى لم يبالوا بمقام أهل الردى بل هم كل يوم من الحزم في مزيد ومن البأس والنصرة في تجديد ومن الله تعالى في إعانة وتأيد ، فكان حالهم عبرة من الله تعالى للعبيد وآية يستيقنها قلب كل جبار عنيد ؛ وفي أثناء تلك الإقامة بنى قصرا وأنجز إتمامه وجعل فيه عدة من الرجال وذوى البأس في المجال وكان موضع ذلك ليس إلى الحلة إليه من سبيل فانتدب المسلمون إليه ليلا فنالوا من مرادهم نيلا ، وقد أعلمهم أهل الإسلام أنهم يريدونهم جنح الظلام فعجلوا لهم بالإعلام وبادروهم في ذلك القصر فهدم وأزيل وبقي كل من فيه مجندلا قتيل ولم ينج منهم سوى واحد وكان بالخبر عن قومه وارد ، وفي أثناء تلك المدة أغار سعد بن عبد الله أمير الرس مع جماعة من قومه على سارحة أولئك الأعراب فأخذوا غنم سعدون وكانوا نحو أربعمائة في الحساب تسمى تلك الغنم الدغيموات كثير من غنم تلك البريات ، وفي أثناءها أيضا عدا أهل بريدة على بيت من الشعر جعله عبد الله بن رشيد للحرب من التيه والبطر ، وكان فوق النهر مشهورا وفيه آلات

للحرب ورهبة ، فأضحى لديهم مجرورا وقتلوا فيه أربعة رجال ورجعوا في ضحوتهم في أحسن حال ، فلما مضت من الشهور مدة نحو خمسة في العدة وتحقق له من مراده الحرمان والحيلة وأراد لأهله الانصراف والأوبة عزم على اقتحام البلاد والدخول على أولئك العباد ، وقد صنع منتريسا من الخشب يسمى عجلا عند أولئك العرب يرد الرصاص عمن فيه فلا يضره ولا يؤذيه ، فلما ساقوه إلى مرقب البلد وكان في ذلك المرقب عشرة من العدد تكلموا مع أهل المرقب ، وذلك أن عثمان آل أحمد استفتح وهو مع ساقه العجل وجد في الدعاء واجتهد ورفع صوته وقال بفصيح اللسان والمقال : اللهم انصر من هو منا على حق ، فأمن على دعائه أولئك الخلق ، وصار أهل المرقب عند سماعه من المؤمنين فكانوا هم أهل الحق فلذا صاروا من سطوتهم مؤمنين وحاولوا فيهم نكاية فلم يحصلوا على غاية ، واجتهدوا أن يدركوا إليهم وصولا فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا ورد كل منهم خاسرا خائبا ذليلا وترك أكثرهم ذليلا ثم بعد ذلك حمل على البلد حملة هائلة وأصبحت تلك الأمم عليها صائلة وعلى جميع أركانها جائلة ، وإلى تسور الأسوار مائلة ، يساقون بالسيوف من أعقابهم في مسيرهم وذهابهم فازدحموا عند السور والبروج ، فلم يفوزوا منها بصعود ولا عروج بل قطعت عندها الحناجر وأعان الله تعالى من بها من محاصر ، وكان له عوننا وناصر ، فطار عند ذلك الاقتحام وهول ذلك الازدحام كثير من الرؤس والهوام من تلك الأقوام ، وانقلبوا بخيبة المقصود والمرام من ذلك البأس والإقدام ، فلم تسر إليها بعد ذلك أقدام ، ورجع أهل الحق بالفوز والأجر الجسيم والعناية والقبول من الله الكريم كما قال سبحانه في الذكر الحكيم ( فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ) وارتحلت قبائل أولئك الأحزاب والعربان عن ذلك الموضع والمكان بأمر عظيم من الخزي والهوان ، ولما سارت تلك العشائر خرج حجيلان ومن معه مسارعا مبادرين ففاجأ بريدة آل شماس وقتل من وجد بها من أولئك الناس ، فأوقع بها النقرة والبأس وخرج غالب أهلها نائرين مع تلك الجيوش السائرين وعرفوا أنها ليست لهم بدار مقام ، فهربوا مع أولئك الأقوام وشددوا في الانهزام ثم بعد صدور تلك القضية وانصراف العساكر بالرزقة ضاق وسيع الفجاج على من ساعد ذلك المنهاج وانزعجت قلوبهم أشد الانزعاج فلم يجدوا عن الدخول في حوزة الإسلام بدا ولم يبصروا سوا

قصدوا ، فأقبلوا على حجيلان يريدون الإسلام والإيمان وأعطاهم الأمان وأجابهم إلى ذلك الشان بعد ما شرط عليهم النكال فكل بذلك دان ، وأقبلوا إليه مسرعين وحدانا ومجتمعين ووفدوا بلدا بلدا ولم يبق إلا أهل عنيزة بعدا . وفيها غزار كلب لأهل بريدة في أثر سعدون يطلبون الاختلاس من تلك البوادي ويريدون فوافقوا ظهرة مع النفثي بأرض المستوى فكان ذلك الركب لجميع الظهرة محتوى وقتلوا جميع الرجال وأخذوا ما معهم من الأموال ، وقد كان مع تلك الظهرة لأناس من أهل المدينة مال كثير فأمر بأدائه عبد العزيز الجليل منه والحقير فأدى تاما من غير نقص ولا تغيير لأنها كانت أوقافا وأحباس ، فلم يرد أخذها لأولئك الناس وإن لم يكن فيه معرفة ولا باس . وفيها ارتداد أهل الروضة لما كان من سعدون إليهم أوضة وأقبل إليهم بالعساكر والأجناد عجلوا بالردى والارتداد وخلعوا ذلك العهد خابوا وخسروا ولم يفوزوا بقصد فلما ظهر منهم ذلك الحال والشان بادر أهل التوحيد والإيمان إلى قلعة البلد فشمروا كل ساعده فيها واجتهدوا وتحصنوا فيها ، وأقبل سعدون وجموعه فطاف بها هو ربوعه وجد تلك الأجناد مع أهل البلاد في محاصرة أولئك العباد ، وأقاموا على ذلك أيام حتى حاول في قطع ما بينهم أولئك الأقوام ، فلما شعروا بذلك فزعوا وخافوا على أنفسهم وجزعوا فطلبوا لأنفسهم الأمان وخرجوا بعد الاستئمان ، واستولى سعدون وآل ماضى على البلاد ثم نهضوا بعد ذلك إلى أهل الداخلة ، وكان فيها محمد بن غشيان وأناس من أهل النجدة الفرسان فحاولوا إليهم الوصول فلم يكن لهم إلى ذلك حصول ونالوا من أولئك الحماة ورصاص المجيدين الرماة ما أذهل منهم الأبواب وردهم على الأعقاب فلم يكن لهم على الإقامة مصابرة ، ولا على تلك العصابة مكابرة ، فانصرفوا بالخيبة والحرمان وقد قتل منهم أشخاص غالبيتهم من الأعيان وثبت بلدان سدير على الدين والإسلام بعد ما كان من سعدون القدوم والإقدام والأمور الهائلة العظام ، وكان إذ ذاك حسن بن مشاري رحمه الله في جلال مقيم فصانهم الرحمن الرحيم عن تعاطي أسباب الجحيم . ولما بلغ عبد العزيز حرسه الله ما صدر من أهل الروضة وجرى وعلم به يقينا ودري أمر سعودا أن يتجهز والمسلمين حتى ينقذوا أولئك المحصورين فبادروا في الأهبة والجهاز وكان ذلك سريع الحصول والإنجاز فظهر سعود يريد التعجيل إليهم والانتهاز وحين وصل إلى ثادق نزل حتى يتلاحق الجموع والدول ثم يسير بتمام أهبة على عجل فيدرك

عند ذلك الأمل ، فلما بلغ سعدون ظهور العصاة المنصورة وأن ألوية العز عليهم خافقة منشورة ورايات الإمداد مرفوعة على رؤوسهم مشهورة ، حصل له الرعب والارجاف فلم يكن له عند ذلك صبر ولا ائتلاف بل أخذته الذلة والارتعاش ولم يحصل لأهل البلد منه بعد ذلك انتعاش بل ولى مدبرا وانجاش . فلما ارتحل وشرع في السير انتدب أهل الإيمان من قرى سدير مع ما معهم من الإمداد مثل حسن بن مشارى وابن غشيان وقومهم من الأجداد ، فبادروا أهل الروضة بالقتال والجلاد ، فخرج إليهم أهل الشر والفساد وطال بينهم القتال في ذلك المجال وقتل منهم عدة رجال منهم أميرهم عون بن ماضى ثم ولوا مدبرين وأقاموا بعد ذلك منحصرين ثم أقبل سعود بجيوش المسلمين فنزل على أولئك القوم المحصورين فأخذ جميع الحلال التي كانت في النخل ومكت أهل البلد في البلد حلتهم متحصنين في محلبهم وفي قلعة البلد أناس من آل ماضى ورجاجيل لسعدون بن عريعر ، فطال عليهم الحصار وشرع سعود في قطع النخل والأشجار ، فلما تحققوا بهم نزول النعمة والباس من رب الناس وغلبهم القنوط والياس طلبوا من سعود الأمان والاحقوق بأهل الإيمان ، فأجاب طلبتهم وأبى دعوتهم ونزلوا على حكمه وما اقتضاه منير فهمه ، فعاهدوه على الإسلام والتزموا بجميع الأحكام واعتذروا من سوء ذلك القيام وقبح ذلك المرام ، واشتروا منه جميع ما في البلد من الأموال بدراهم نقد ، وهاله في الحال وأمر بجلاء آل ماضى ومن ساعدتهم من الرجال فخرج عنها جميع أهل الشر والفساد وأمر عبد الله بن عمر على تلك البلاد وانصرف سعود راجعا .

ثم دخلت السنة السابعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار سعود بالمسلمين يريد أهل الخرج ذوى الفساد والمهرج ، فلما وصل إلى قرية الحائر أخبر في أثناء طريقه وهو سائر أن آل مرة هنالك فأمر على الدول بالرجوع وانصرف عن قصده ذلك وسار بالجيش يريد فريقا من مطير يدعون الصهبة فعمد إلى ذلك الفريق وطلبه وحث الجياد في السير لئلا ينتذر فريق مطير وكانوا على المستجدة ، فبذل في التعجيل جهده فلم يفجؤهم إلا غارة الخيل وكانوا في سرعة اللقاء كالسيل وشدوا للارتحال في الاطمان والمروء عن ذلك المكان وبقيت حماة الفرسان مشمرة للذب عنهم في الطعان حتى أعياهم الأمر وعالهم وغشهم من مرارة المران ما هالهم وكدر بالهم ، فمزق الله تعالى



رجالهم وشتت حالهم ، فأخذوا بذلك المسكان عن قريب ولم يكن لهم في السلامة نصيب ، وقتل منهم رجال كثيرة وشجعان شهيرة مثل خلف الفغم ودخيل الله بن جاسر ، وغنم المسلمون مامعهم من الأموال وانصرفوا في أحسن حال . وفيها غلا الزاد جدا وبلغ في الغلاء حدا وأخذ الناس من ذلك الجهد والبلا وكان سببا للفناء والبلا وطال ذلك على أهل نجد وسكانها ولم يروا مثله في أزمانها وعم ذلك جميع بلدانها فسقموا من الجوع ، وائس إلا إلى الله الرجوع واستمر ذلك سنين وبقوا تلك المدة مستئين وقد حالت عليهم السنين والأحوال وشاهدوا شد الأهوال ومات من ذلك كثير من النساء والرجال فضلا عن البهائم والأطفال فكان كثير إذا شرع في الصلاة خر وسقط حتى يظن رائيه أنه من الجن قد اختبط ووسوس في عقله وأختلط ، فالتجئوا إلى مولاهم في كشف ما أتهم ودفع ما نزل بهم ودهم ، فأجاب جل وعلا دعاء ذلك الملا وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه وينجح أمله ورجاه ، فأنزل الله تعالى في قلب عبد العزيز الرأفة والرحمة والتحنن بضعفاء تلك الأمة ، فأمر جميع البلدان في تلك السنين والأزمان أن أهل كل بلد ومكان يحصون ما عندهم من المساكين والضعاف ويقيتوهم من الطعام ما به قوام وكفاف ، فامثلوا أمره وقوله وانتهجوا عمله وفعله وقام حرسه الله في الناس حين حلول البأس أعظم قيام فأفاض من الإنعام على أولئك الأنام خصوصا أهل الحاجة والأرامل والأيتام وشمر بالإحسان منتدبا وجد في المعروف والبر محتسبا وكان لأجره من الله مرتقبا ، ولم يزل على تلك الحالة مستمرا حتى كشف الله تعالى عن الخلق ضرا ، فنال بذلك ثوابا وأجرا وحاز مجدا ونفرا . وفيها مقتل زيد بن زامل . وذلك أنه أغار على أهل سبيع وهم إذ ذاك على الرياض فأخذ عليهم إبلا ثم انصرف من ساعته من غير ارتياض . ففرع على أثره سليمان بن عفيصان وليس معه إلا جماعة يسيرة من أهل الإيمان فجد السير في طلبه وحث المطى في عقبه فأدرك ابن زامل مع قومه وكانوا يزيدون على ثلاثمائة راكب بأرض يقال لها الحنية من نجد فشن عليهم الغارة فنال بذلك أعظم قصد ، وقتل زيد بن زامل واهزم جميع من معه من القبائل وأخذ بعضا من ركبهم وفك الإبل وولوا على أعقابهم ، ورجع سليمان ومن معه بالنصر والأمان . وفيها أهدى عبد العزيز حرسه الله تعالى على سرور وإلى مكة المشرفة خيلا وركابا وكرمه بذلك وشرفه ومصدده بذلك التشریف والإكرام وإهدائه ذلك النفيس الذي هو جل

الحطام الرخصة لأهل الدين والاسلام في أداء واجب الافتراض والالتزام خامس أركان هذا الدين على التحقيق والجزم واليقين الذي منعه من سنين وكانوا على أدائه متوجدين ، فجاء الأمر منه في ذلك بالرخصة ، فشمر المسلمون وانهزوا الفرصة فنجوا ذلك العام وكانوا نحو ثلاثمائة من الأنام .

ثم دخلت السنة الثامنة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها عدا براك بن زامل وأهل اليمامة على منفوحة فسبق النذير أمامه ، فلم يردوا أهل البلد حتى تأهب كل منهم واستعد فحين أغاروا عليهم بادروا في الخروج إليهم فاعتنقوهم سراعا وأرهقوهم بأسا ووقاعا وجالدوهم جلدوهم وفرقوا جمعهم وبددوهم وقتلوا من القوم المعتدين نحو خمسة عشر وفيهم أناس من المرتدين ، فأتى سعود بذلك الخبر فجرد عزمه لطلبهم وظهر وجد في أثرهم فلم يدركهم فرجع وصدروا . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى بالمسلمين يريد الحسا فأعمل في ذلك العيس وجد في السير والسرى فلم ينسخ ما سوى المكتوبة والتغليس حتى هجم من ذلك الوطن وقرى تلك السكن على قرية يقال لها العيون فألفاهم وقد استولى الكرى على العيون ، فدبر أحواله وشئونه وأهل القرية لم يأتهم عنه خبر ولا يظنونونه فلما أن نسخ حلاك الديجور شمع الضياء والنور وفرغ في صبحته من دعائه وسبحته نهض إلى ماهيأه وأراد ووطىء ماخرج عن الحصن من مساكن تلك العباد وأخذ جميع ما في تلك الدور والبيوت من الحيوانات والأمتعة والفوت ، وبقى ابن مهنا وجماعته في الحصن متحصنين وناوشهم المسلمون القتال وكانوا من الخوف على أعمارهم مجتهدين . فلم يدركوا منهم مراما ولم يطيلوا عندهم مقاما ، وانصرف المسلمون عنهم ورجعوا منهم ، وقد قتل ناصر بن عبد الله وعبد العزيز ديان . ولما أفبل سعود بأفقه الله تعالى المقصود من الاحسا راجعا ولأمله طامعا اقتضى رأيه السديد وفكره المصيب الرشيد أن يعبر على اليمامة فألفاهم وقد خرجوا جميعهم أمامه وساقهم القضاء والتقدير ونفوذ حكم الإرادة والتدبير لما أراد الله عزه ونصره وإكرامه وأن يحل بأعداء هذا الدين بأسه وانتقامه ويسقى كلا من أهل الشر كأسه وسهامه وحمامه ، فاشتاقت نفوسهم إلى الخروج للتنزه والابتهاج ومطالعة أزهار الرياض في تلك الفجاج ، فلم يستقروا في تلك الرياض حتى وردوا من المنايا الحياض ، فدهمتهم الفرسان من أهل الدين والإيمان في ذلك الموضع والمكان فراموا عند ذلك الشجاعة ومد كل

إليها باعه وحسبوا أن لهم بها استطاعة ، فلم يكن لهم ذلك ولم يقدر ودنا لهم أجلهم المحتم المقدر ، فجالت عليهم الخيول وهب على المسلمين الصبا والقبول ، فشمروا عند ذلك للهزيمة الذبول وولوا على أعقابهم مدبرين وقصدوا بلادهم متمزقين وقد قتل المسلمون منهم نحو الثمانين على التحقيق لا النخمين . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى بالمسلمين وقصد عنيزة من بلدان القصيم وحث السير في ذلك مشمرا لا ينيخ إلا في الضرورة ولا يقيم ، فلما وطىء في جنح الدجى من تلك البلد أرضها وقضى من صلاة الصبح سنتها وفرضها أغارت على طارفة البلد فرسانه وطافت بفنائها شجعانه . فخرج إليها من أهلها كل ذى بأس شديد واستمروا مع المسلمين في تصدير وتوريد وبذلوا من الشجاعة ما ليس فوقه مزيد ، وقتل بينهم في ذلك المجال بعض من الرجال منهم من المسلمين ثنيان بن زويد وغيره ، وجرى بينهم مع سعود كلام في الصلح فلم يتم المتصود ثم بعد ذلك انصرف عنهم وارتحل منهم .

ثم دخلت السنة التاسعة والتسعون بعد المائة والآلف . وفيها غزا سعود فأخذ إبلا معاويند لأهل الحريق كانت مودعة عند سبيع . فأخذها من ذلك الفريق . وفيها غزا سعود بالمسلمين يريد أرض أهل الجنوب وكانت فرقان اليمن له المطلوب . فألح السير إليهم حتى قدم عليهم فألفاهم في أرض الروضة يرعون وألفى رئيسهم في قصر الروضة فأخذه وقتله وقرب الله له أجله ، ثم غارت خيوله ورجاله على أولئك الأعراب وغشيم من عظم العذاب أعظم سحاب . فلم يكن لهم على المأبلة قدرة ولم يكن لهم في الرجاء حيلة ولا فكرة ، فولوا مدبرين على الأعقاب وشمروا في الهزيمة وال انقلاب ولكن الله تعالى قضى أمرا وقدر ، واختاره ودبر . وذلك أن المسلمين لما كشفوا ذلك الفريق وراموا أخذهم على التحقيق أقبلت عليهم من فرقان السهول كراديس من الخيول ، فرجع عنهم حينئذ المسلمون لأنهم إذ ذاك لم يكونوا لهم يعرفون وفك الله أولئك الأقوام بعد ذلك الانهزام ، ولم يعرف السهول جيش المسلمين إلا بعد ما ألفوهم مدبرين وكانوا معهم داخلين ولحكمهم تابعين فكانوا على تلك القضية نادمين . وفيها قتل براك بن زيد آل زامل بنو عمه زويمل وبعهم عبد الله بن محمد بن راشد وظنوا أنهم يدركون حكم الدم والرياسة ، فسدت عليهم تلك المقاصد ولم ينل كل منهم ما هو قاصد وطردهم أهل البلاد وكانوا ذوى بغى وفساد فقصدوا الدرعية وطلبوا خطة

الدين السوية ولم يكن يردّ عن دخولها أحد من البرية، ثم بعد ذلك الحين هربوا إلى الحساء مرتدين . وفيها غزا سعود يسر الله تعالى له المقصود فشمر مع المسلمين يريد الخرج فذكر له وهو في أثناء ذلك النهج أن هنا ظهرة كبيرة وأما من أهل الخرج والفرع كثيرة ومعهم من الأموال وأصناف الأحمال مالا يخطر على البال ، فأقام سعود ومن معه على الثلثا يرصد تلك الخلق المجتمعة حتى أقبلوا يريدون الماء وكانوا إذ ذاك على ظمأ ، فشن الغارة عليهم المسلمون فأخذوا السابقين الذين هم للماء مسرعون وقتلواهم قتلة رجل واحد ثم أناخت الظهيرة ورام كل منهم أن يجالد فاستمروا معهم ساعة في جلال ووقع المصابرة والاجتهاد حتى تبين لهم أنهم لا يظفرون من السلامة بمراد ، فعندها طلبوا من سعود السلامة على الرقاب فأعطاهم ذلك وأجاب ، ومنح الله تعالى عباده المؤمنين السلامة والبصر والتمكين ، وغنموا تلك الأموال وفازوا بالأجر والإقبال، وقتل في ذلك المجال نحو سبعين من الرجال منهم ابن زيد زامل وابن زيد الهزاني وسنان بن شاهين وغيرهم مشاهير ، وقتل من المسلمين نحو ثلاثة رجال . وفيها قدم ربيع وبن ابن زيد وها رئيسا المخاريم وجماعة من قومهما على الشيخ وعبد العزيز راغبين في الإسلام طالبين منهج الأمن والاستسلام ، فعاهدوا على ذلك الطريق وكان لهم في القيام بذلك هداية وتوفيق ، فقد هدى الله تعالى بهم أناسا من أهل الشرك وفريق ، وصاروا ردما في الوادي لأروم رأس الباطل هدم الحق فيه ولا يطيق . وفيها غزا سعود بالمسلمين متعهم الله تعالى بنصره سنين ، فجد السير يريد الدلم من الخرج وسأل الله تعالى أن يسهل له ذلك النهج، فناداه منادى الإقبال بلسان الحال وهو ينص في تيك البيد الفساح : سر فليس عليك جناح ، وقد قدر لك الخير والصلاح، وأعد لك الربح والأربح وتقدمك النصر والفلاح وهي لك في فتح البلد مفتاح ، فاطو القفار في الدجى فعندك من حسن الرجا ضياء ومصباح فسار لذلك وشمر وحث الجياد الضمر فلم يطل لركابه إراحة الجران ولم يلق تحيله رسن ولا عنان حتى استقر في تلك البلدان ورأت بالعيان ملتف تلك الجنان ، فخبئت ذاق طعم الكرى المقل والأجفان بعد تعبته الكرامة والشجمان وتدير جميع ما له من شان ، فلم يضمحل سواد الظلام وينتشر سرعان الأنام إلا وفرصانه عادية مغيرة وسنابكها للعثير مشيرة فكانت لمن صافقته سرديّة مبهرة غير مؤمنة ولا مجيرة فعند ذلك علت في البلاد ضجة العباد وغشينهم

أصوات الفزع والارتياح والحزن والالتياح ، فأقبل جميع من في البلد من المقاتلة والأفزع وراموا عن خلل النخل مجالدة ودفاع ، فلم يجدوا إليه من سبيل ولم يافوا لهم به كفيل ، فرجع كل منهم خاسئاً ذليل وقتل رجال من أولئك القبيل ، واستولى سعود على جميع النخل وحملها فنالت نفوسهم سؤلها وأملها ، ومكث أهل البلاد كافة محاصرين في القلعة من المخافة وسحائب الدالة عليهم مظلة ونوائب الجلاء بهم مظلة وشجعانهم من الرعب مستذلة وأقدامهم إلى الهروب مستقلة لا يجدون ساعة من الراحة ، وحزب الدين مشمر في الحرب صباحه ورواحه وقد أظهروا للتجملد علامه وظنوا أنه يخفف مقامه وحسبوا أنه يكون وسيلة السأمة والتضجر ولا يزالون يعلمون النفوس بالمحال منه والمأیوس تعمل المسجون بالآمال والمحجوس حتى انقطع منهم الأمل والرجاء وعراهم الخطب وجفا وشاهدوا منه مد لهم الدجى وناء عليهم بكلكاه وسجاء ، وذلك أن سعوداً لما رأى ما هم به من الحصار وأنهم لا يطول لهم مكث ولا قرار انقضى رأيه وفكرته واستجمع نظره ومشورته أن يبني قصراً للمسلمين بين النخل وتلك الحلال ويجيد بناءه عن الحلال حتى ينقطع من أهل القرية الأمل وينزلوا البناء على عجل ، فلما فرغ بناؤه وتم ونوى سعود المسير ويترك أناساً فيه وعزم ، خرج جميع من في القلعة إليه وعزموا على البيعة بين يديه ، فحملوا حملة رجل واحد وتقدم كل من هو في الحرب يجالد ومن هو على الثبات والصبر يساعد ، فتلقاهم المسلمون بعزم باتر وبأس مجد غير فاتر حتى أدار الله تعالى عليهم الدوائر وكان لأهل الدين معينا وناصر ، ولأولئك الفجار مذلاً وكاسراً فرجع كل منهم على عقبه خائباً خاسراً ، وتمنى أنه لم يكن للقتال بارزاً ظاهراً ، وقتل منهم رجال كثيرة منهم تركي بن زيد ورجال غير شهيرة يزيدون على الشرير وأقاموا في القلعة محتصرين وهموا بعد ذلك اليوم أن ينزل على سعود جميع القوم ولكن أسر إليهم بعض آل زامل ممن كان مع المسلمين نازل فقال اثبتوا مكانكم والزموا أوطانكم فأنا آخذ لكم الأمان وأحكم لكم عقد الاستئمان ، فكان بينهم وبين سعود واسطة ولاحكام العهد رابطة فأخذ لهم من الأمان عقدا وتم لهم عهدا واشتروا منه ما في تلك البيوت والدور من الحيوانات والأمتعة والسلاح والطعام مما ليس بمحصور واستقرت بينهم الأثمان فانتقدوها بذلك المكان ودخلوا في حصن الأمن والأمان وفي دائرة أهل الإيمان وأمر عليهم سليمان بن عفيصان وكانت كافة نخلهما في بيت مال فاء الله تعالى به ذو الجلال وأجلى عن البلاد كل من جد في الفتنة واجتهد ومن كان قبل ذلك

بالسبب لهذا الدين معروفًا وبالبعض له مشهورًا موصوفًا. وفيها تبين ذلك الحال واشتهر وشاع بين الناس وانتشر ، ورجفت قلوب أهل الجنوب وحل من البأس والكروب وعياهب الخطوب ما لم يدع لهم قلبا ولم يثبت لهم لبا ، فكل منهم أرسل إلى سعود بالطاعة ولى فأقبل أهل الحوطة وأهل الحريق وأهل اليمامة والسلمية وكافة الخرج على سعود فأحكموا الإسلام العهود واشترط عليهم في النكاح ما شاء من النقود ، فكان جميع ذلك لديه محضرا منقود ، ثم انصرف بذلة لمولاه واستكانة مكثرا لخدمولاه وشكره سبحانه وقصد أهله ومكانه ، ثم بعد انقضاء هذه الأمور وصدر ما هو مزبور وفدوا راغبين في الإسلام أهل الإفلاج فأثوا الشيخ وعبد العزيز طلبا لسلوك ذلك المنهاج فعاهدوا على الإسلام والتزام جميع الأحكام فحسن منهم ذلك القيام .

ثم دخلت السنة التي هي للمائة ختام وبها يكون الثاني عشر للقرون تمام ، ويتم بها العقد والانتظام . وفيها دبت بين بنى خالد الفتن واستحكمت في قلوبهم الشجناء والإحن وسعوا في أسباب الحوادث والحن ، وجدوا في أسباب القطيعة بما قدروا عليه من الأمور الشنيعة فأضاعوا شجنة الأرحام وقام فيها ذوو الأحلام فأراقوا بينهم الدما وسلبوا البيض الدما ، وغدا بعضهم للبعض سالبا ولهلا كه مريدا وطالبا ، فأصبحت الأرض من أفعالهم تعج والخلق تجر إلى الله وتضع وتدعو الله عليهم بالإذلال وتعجيل الوبال ولسان حال القضاء ينادى على أولئك الضلال ( إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ) وفيها جرت وقعة جمعة بين بنى خالد ، وسميت بذلك لأن المهاشير وآل صبيح خانوا لعبد المحسن والمتفق ورئيسهم ثويني فأخذوا من يليهم من العربان فوقعت بينهم النوبة وبدأ كل منهم في الآخر الرغبة فثار سعدون وجماعته على ظهور الخيل وقصد المسلمين وترأس عبد المحسن ودوخس في بنى خالد والحسا ، فصار ذلك لمن الإسلام ولا علاء كلمة الحكيم العلامة أعظم مقدمة وطلبة ولا شيطان التوحيد فيها ذريعة فلم تكن بعد ذلك قوة تلك الأسباب عن ذلك مانعة ولا منيعة وبشارة بالفتح معجلة ونصرة للدين لوقتها مؤجلة ، فأقبل سعدون وقومه وأرسل لعبد العزيز يطلب منه الأمان فنهاه عن المجيء إلى البلد حتى يقف على ما عند ثويني من الخبر باستيقان ويتحقق حقيقة الأمر والشأن لأن بينه وبين ثويني قبل ذلك مهادنة ومصاحبة فأراد أن يسد من ذلك أبواب المطالبة

فلم يبال سعدون لما ناله من الذلة والهون بما نهاه عبد العزيز عنه فصار ذلك الاقبال منه فتلقاه بعد ذلك عبد العزيز فلم يشعر عبد العزيز إلا بقدومه وسرعة دخوله البلد وهجومه وكان اصلاته الجمعة خارجا ولسنة التبكير لها ناهجا ، فالتقى مع سعدون عند باب القصر فرجع معه إليه وأمر بتعجيل النزول عليه وهىء له ما أراد ثم رجع إلى طاعة رب العباد وقد حصل له من الكرب ماناء بالفؤاد وحصل له غنية المساءة والأنكاد حين رأى قدوم أولئك العباد ولكنه لما أتم الصلاة وحصل له إن شاء الله من ربه الصلات أسر بذلك الخبر وأعلن للشيخ الذى هو للتوحيد أسن وأتقن ، وشرح له الحال وبين له أن ذلك كدر عليه البال فجلا عنه الإمام جميع الشبه والأوهام وتلا عليه ما جلا الرين عن الأوهام من الآيات المحكمات العظام كما يفهمه كل ذى قلب سليم (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديهم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم) فلم يفرغ من قراءتها بالاكمال حتى سرى عن عبد العزيز ذلك الحال وانجلى عن قلبه الكدر حين تبين له المعنى وظهر ، فلما بلغ ذلك ثوينى تعاضم وتجبهر وصعر خده وتكبر ، وأرسل إليه عبد العزيز بالطف كلام يستعطفه فى قبول ذلك الأنام ويبين له أنه لم أنقض للهدنة عهدا ولم أقتل لحبلها عقدا . ولكن لأجد عن قبول هؤلاء مندوحة ولا بدا وأنا لك بما تريد منهم كفيلا فلا تخش منهم أحدا لا عزيزا ولا ذليلا فلم ينجح إلى ذلك الكلام وأنف من الاستعجاب والاستعظام وجد فى الحرب وشمر وأجمع رأيه عليه ودبر فأرسل إلى البلدان يستعين على ذلك الشأن وشرع فى إحكام الأسباب والآلات وتميئته عددها المحكمات ، وبارز فى ذلك رب البريات ، ونال من ذلك أعظم الرزيات وأقبح الخزي والعقوبات . وفيها غزا سعود نال من مطلوبة كل مقصود فسار بالمسلمين ومعه بنو خالد وآل ظفير مجتمعين ، فحث السير ليلا ونهارا لأجل تعجيل المطلوب وإنجاز المراد له والمرغوب وقصده أسلاف قحطان وكانوا مقيمين بأرض الجنوب فأعنى التسيار إليهم ونص اليعملات عليهم حتى طوى بأيديهم صحف الفيا فى والقفار ولم يجد دونها تلافيا ولا اضطبار وسهل له سهلها وحزنها ، وحاط بأولئك همها وحزنها وعجل إليهم الإنذار بما قد كان وصار فأخذوا فى تعداد وأهبة وكان لهم إلى لقاء المسلمين رغبة ففرحوا بذلك وطربوا وودوا قدومهم وطلبوا وقالوا لظى الخطوب ونار الوغى والحروب لنا معشر أهل الجنوب ، والهيجاء هى المراد والمنى ونحن لها وهى لنا . أيظن



سعود أننا مثل من لقي من الجنود ومن مارس من البوادي القروء ؛ نحن الشم العرانيين الكفاة وذوو البأس والنجدة في الوطيس والحماة وسيعلم ذلك ويعاين ويدري حينئذ على من هو كائن ويتحقق ويشاهد ما لم يكن معه يعاود ونقض كل منهم مذرويه وكان شؤم ذلك القول راجعاً عليه فلما أصبحهم تلك الجنود والأجناد أظهر وأمن البأس ما يذهل الفؤاد وتدرعوا مدارع النجدة في الجلال فشاهدوا فرسان الإسلام منهم أسنة حداد، وأحساماً صلاباً صلاباً، وقلوباً قوية شداد، خفف الله تعالى المسلمين باللفظ والامداد وأعاد عليهم عادته في أهل الفساد فشد عليهم الحملة أهل الدين والتوحيد وأيدهم الله تعالى بالنصر والإعانة والتسديد وأنفذ في أعدائه الوعيد فشرذموا أعظم تشريد وبددوا أقبح التبديد وصاروا بين طعين وشريد ومقطوع منه الوريد ومزقوا كل ممزق وأجرى عليهم عادته وحقق وغنم المسلمون غنيمة عظيمة وانهزم الأعداء أخزى هزيمة، واستولى أهل الدين والإسلام على جميع الأمتعة والأثاث والآبال والأسلحة والأغنام . وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم ومعه من عنزة فرقان فذكر له أن هناك ظهرة عظيمة خارجة من البصرة وسوق الشيوخ حضر وبدوان فأمّ لهم منار الطريق، وكان من خبرهم على يقين وتحقيق فأسرع بمن معه وتبعه حتى وصل إلى بقعا وأقام ينتظرهم حتى قدموا بعد ذلك عليه ووصلوا بما معهم من الأموال والأحمال إليه ، فتلقاهم بغارة مزعجة مرهقة وأسنة ماضية للأرواح مزهقة فطاعنوا ساعة وحيناً ثم انكشفوا بعد ذلك انكشافاً رهيناً وكان كل منهم للذلة موثقاً رهيناً فغنم المسلمون تلك الأموال واستاقوا جميع الأعمال وقتلوا عدداً من الرجال .

ثم دخلت السنة الحادية فوق المائتين والألف ، وفيها غزا سعود بالمسلمين فنزل أرض ملهم وأقام ينتظر إجماع المسلمين فاتاه رؤساء الروسة من اليمامة وأخبروه أن آل بجادي يريدون الارتداد وقد دبوا أحكامه وأجادوا على أهل التوحيد إبراهيم، فشمر من ذلك الحين لإنقاذ المسلمين وحقن دماء الموحدين فوصلها ليلاً وأدرك من التمكن منها ليلاً فلما أصبحوا وتحققوه هموا بلباس الإسلام أن يمزقوه فجأوا نظرهم فيه فنظر كل منهم أن ذلك لا يفكه ولا ينجيه فرموا جميعاً بأنفسهم إلى سعود وقدموا إليه النساء لكي يوافق بالمقصود فأنالهم شطر البغية وأدركوا بعض المنية وألزم عليهم الشيخ وعبد العزيز في البداية وأجلا عنهم أهل الفساد والإذابة ثم بعد ذلك يرجعون إلى بلادهم وأظهروا

لسعود الامتثال وشرعوا في المسير إلى عبد العزيز والارتحال ، فلما توسطوا في قلب  
الفلاة كان في قلوبهم أعظم هناة ، ولووا إلى الحساء الأعناق وجدوا في الوخد إليها  
والإعناق وصمموا البعد عن اليمامة والفراق ، فأمر عبد العزيز بهدم محلتهم التي تسمى  
البنة وقد كانت باللهو مرنّة فهدمت ديارهم وحقق دمارهم وأمر سعود عبد الله  
الرئيس في البلاد وبني حصنا فيها وجعل فيه آلة الحرب والاستعداد وأمر في  
الحصن محمد بن غشيان وأقام فيه مدة من الزمان . وفيها جر ثويني تلك الجرارة وقاد على  
المسلمين تلك الجموع والعساكر وتجاوز في ذلك المسير طوق البشر في التدبير ورام  
أن يغالب الحكيم الخبير المدبر القدير فتطاول في خروجه وتمطى وبلغ في تخطى  
ودبر من الكيد والأسباب والشئون ما لا يقدر على مثله ولا يكون بل يعجز عن  
تحصيله الآخرون وجزم أهل المعرفة بزعمهم ومن يدعى العلم فيهم أن جيوشه لأهل  
الدين يغلبون وأعرضوا عن وعد الله للذين هم يؤمنون ( وعد الله لا يخلف الله وعده  
ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) فسار بتلك الجحافل الجمة الغزار والجيوش التي لا يحصى  
عدتها إلا عالم الأسرار ولا يحيط بها إلا الجبار حافة بتلك المدافع والنمايل الكبار التي  
لا يقوم عندها حصن ولا جدار ولا يثبت عند رؤيتها قلوب الصغار والكبار ، فلم  
يزل يجد إلى نجد السير والمسير ويستدعى في ذلك أصحاب الرأي والتدبير من كل رئيس  
بالحرب خبير وجليس سىء البطانة شرير يحال له دماء أهل التوحيد ويحشّه على ذلك  
ويشير ويدعى مع ذلك أنه من العلم والمعرفة بالمكان الكبير ولم يدرك أنه قاصر الباع  
قليل الاطلاع طافح الغور غير غزير وأنه لا يملك من ملك الله فتىلا ولا قطمير وأن  
الله تعالى وعد أهل التوحيد والدين بالنصرة والظهور على المبطلين وفتح البلاد لهم  
والتمكن ( وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين ) فلم ينثن لهم صارم عزم  
ولا همه بل جسد في ذلك الشأن وهم حتى أنزل في أرض التنومة جميع تلك الأمة  
وأحاطت بهم تلك المهمة وغطتهم تلك الخطوب المدهمة وحلت بهم الكربة والشدة  
والغمة ، والتجئوا إلى المفزع عند الشدائد وطلبوا حسن تلك العوائد والتحفوا القمص  
والأكفان وقال كل منهم الموت على الشهادة والإيمان وسنة من لنا من السلف  
والإخوان ويأبى الله أن نتضمخ بوضر الذلة والإذعان ونبين عند الله والمؤمنين أننا  
غير صبر في الطعان ولا عند حلول الرزايا والامتحان ونعوذ بالله من عاقبة الشرك  
والافتتان وتسويل مكيد الشيطان والاستسقاء من حوض الردى والذل والهوان

فليس هنا إلا التطلع إلى قصور الجنان وما فيها من الحور والولدان . ولما ثوى في ذلك المكان والمحل واستقر به ونوى الإقامة ونزل شرع في مجال القتال وأحدث بهم تلك الفرسان والأبطال وأضرمت عليهم المدافع شرر النار ولم يكن في قلوبهم منها اندعار لما أفرغ الله تعالى عليهم من النصر والاصطبار وربط على قلوبهم فكان لهم من التثبيت أجل قرار وحث أهل المدافع والرماة وندب الشجعان والحكمة وحرص ذوى النجدة والحماة وجلب عليهم بخيله ورجله ورام هدم التوحيد بأمله ، فأبطل الله تعالى كيده ومكره وأظهر فيه وفي جنوده بأسه وقهره ، فخاق به سوء عمله فشرب حياض المر والهم بالأسف عللا بعد نهله ورأى عقوبة ذلك عاجلا قبل موافاة أجله واستمرت تلك الأحوال الشديدة من أولئك الجموع العديدة يقاسون كل ساعة منهم حدة وبأسا ولكن لا يرفعون إلى المذلة رأسا وبقوا أياما في ذلك المقام كل يوم تحيط بهم خطوب الحمام ويتجرعون مرارة السام ولكنهم صبروا تلك النفوس الكرام عن معاناة أسباب الآثام وآثروا دار السلام وما عند الملك العلام على هذه الدار الفانية واشتاقوا إلى دار قطوفها دانية ؛ فلما أيس ثويني من مصادمتهم وتعب من مزاحمتهم واكترب من مقامه هناك واضطرب لبه فليل ( ذلك بما قدمت يداك ) مد أسباب الغدر ونسج رداء الخيانة والمكر فأرسل إليهم بالأمان وزين لهم الاستئمان والنزول عن ذلك المكان والخروج إلى سائر الأوطان وحاولهم في ذلك واجتهد وكان الوسطة بينهم عثمان حمد وكان هو من أولئك الجماعة فظنوا أنه لا يروم بهم مكر ولا خداعة وإن كان نفسه إلى الشر نزاعة فرضوا بذلك وراضوا بعد ما تحدثوا فيه وفاضوا ؛ ولما استقر ذلك الأمان بينهم دخلوا عليهم القاعة سريعا فمجلوا المسلمين حينهم وقتلوا غالب من وجد ولم ينج إلا من هرب وفقده ونهبت تلك القرية ونال ثويني من ذلك خزيه وعجل الله تعالى له في الدنيا العقوبة ولقي من قبيح صنعه وزره وحوبه ، ثم لما بدت منه هذه الخيانة وبدرت وظهرت منه وصدرت ظعن من ذلك الوطن ونزل على بريدة واستكن وناولش أهلها الحرب من بعيد وهم أن ينزل بهم بأسه الشديد ويمكر بهم ويكيد ، فأخذه الله ( إن أخذه أليم شديد ) فأرجف قلبه وفؤاده وأظهر له من الرعب ما حمله أن يؤم منهزما بلاده ومشتت شمله وجمعه وأجناده وأضاع هدرا عليه من المال طريفه وتلاده فولى خاسئا مهزوما مشتتا مبعدا مرجوما ؛ ولما عزم على السير خرج

من أهل بريدة لنفوذ التقدير نحو سبعة رجال وراموا أن يوقعوا في آخر الجيش نكال ، فمجلت إليهم من تلك الخيول فرسان فاقتطعواهم قبل وصول الجدران ، وجد السير يريد البصرة وقد أبدى الله تعالى فيه عبرة وأراه شؤم تلك الأفعال وجعل عاقبته تشتت الحال ، فحين وصل البصرة وقدم إليها رأى الخروج على الباشة والتغلب عليها ، وساعده على ذلك المتسلم وكان لأمره مطيعا مسلم وفي خدمته متقدم ورسمت باسمه الخطب وأبدى من التجبر العجب فحذر عليه الباشة سليمان في ذلك الزمان والتقوا عند سفوان مع تلك البدوان فانهزم ثويني وثار وهدم الله عزه وبار وقل الله من له من أنصار وعمد إلى الكويت وسار وأقام فيها ذليلا يقاسي الهم زمانا طويلا ثم جاء إلى الدرعية يريد الإسلام فهاهد على الوفاء بالدمام ثم نكث ذلك الإبرام ؛ ولما بلغ عبد العزيز حرسه الله تعالى وصول ثويني إلى نجد جد في التأهب والاستعداد وجمعه من الغزاة كل نجد فجهز سعود عليهم أميرا حتى يكون لأهل البلد ظهرا وظهيرا ؛ فلما انهزم ثويني وانصرف وقصد بلاده وانحرف جد سعود في أثره بالمسلمين وكانت تلك الجيوش منهزمين فلم يبرح حرسه الله تعالى يجهد في السير الركاب ويجد في ذلك الطلاب حتى أدرك أسلافا من شمر ، فشن الغارة عليهم وشمر ورئيس ذلك المرقان وكبير تلك العربان ابن جدى فكان إليه مهتدى فلما غطاهم من الغارة الغبار ركب الفرسان الجياد والمهار وأقبلوا لتلقى الأبطال كأنهم في قرن وصمموا على بذل الأعمار دون الأموال والظعن وبذلوا في ذلك مجهودهم ولكن الله لم ينلهم مقصودهم فغلبتهم كلمة الحق ، فلما عاينوا من أهل الدين الصدق انهزموا وفروا وما ثبتوا ولا قروا ، فقتل المسلمون منهم رجالا كثيرة العدد وأخذوا ما عندهم من العدد واستولوا على جميع تلك الأموال من أثاث وأمتعة وزلال وغنم وآبال ورجعوا بأحسن الآمال . وفي أثناء خروج سعود في ذلك للطلاب ظهر عبد المحسن ودويحس وبنو خالد أهل الحسا يظنون أن ثويني لهم في انتظار وارتقاب وأن بلدان نجد قد عمها من ثويني الحراب وأنه مقيم هناك مع الأحزاب لأنهم قد ثبت عندهم بلا شك ولا ارتياب ونقله إليهم عدول ليسوا بكذاب أن ثويني ألزم على أهل الزبير أن لا يخرج أحدا إلا بامرأته وعياله في ذلك السير فامثلوا أمره في الحال وأظهروا مامعهم من الأموال للتجارة والابتياح ولم يحل في خلد هم أنهم إليها يعجلون الارتجاع لما يداخلهم من الذعر والرعب والارتياح بل زعموا

( ٩ - تاريخ نجد - ثان )

أنهم يقيمون أزمانا عديدة في تلك البقاع ولا يرجعون عنها حتى يدعوها صفصفا قاع ، فلذا ظهرت بعد ذلك بنو خالد وكل على ذلك معين مساعد ، فلم يرع بنو خالد وأهل الحسا وهم إذ ذاك قد قطعوا الدهنا يؤمون نجدا ويؤملون بها إقامة وسكننا إلا الخبر اليقين والعلم المحقق المستبين أن سعودا قد جد في السير والتسيار وأن ثويني قضى عليه العزيز القهار بالدل والانكسار وكتب عليه الهوان والدلة والعار والحزى والدمار ، فكان ذلك عندهم من أشنع الأخبار وأفظع ما يطرق القلوب والأفكار ، واضطربوا غاية الاضطراب وشعروا منهزمين في الانقلاب ، وأرسل الله عليهم رجزا من العذاب ، فكان لا يلوى منهم أحد على أحد والكل قد طار عقله وارتعد وارتدى بأردية الموت واستعد وقطعوا الدهنا في ذلك الصيف والصمان والكل منهم صاد ظمآن ، فمات كثير من أهل الحسا ونالوا مؤلم الهم والأسى وتفرقوا في ذلك أيادي سبا وكانوا لمن بعدهم عبرة ونبا . وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم ومن حوله من العربان وقصد أهل الجبل ، فاستقر بذلك المكان وأقام فيه مدة أيام وليال ، وغالب أهل تلك البلاد إلى الدخول في الإسلام في إقبال فقدم عليه في ذلك الزمن كثير من بلدان ذلك الوطن ، وعاهدوا على الإسلام ورغبوا في الدخول والاستسلام ، ومن أعرض عن ذلك وصد ، تصدى حجيلان لحربه وقصد ، وتأهب له واستعد وأقبل عليه بالحروب والحراية حتى يدين الاسلام ويفتح بابه ، وأخذ أموال من امتنع في ذلك الوقت والحال حتى طاعوا للتوحيد بالاجمال ، فلم يشد حجيلان للسير عنهم الرحال حتى تلقى جميعهم الاسلام بأحسن استقبال . وفيها وفد هادي بن غانم المعروف بأمه قرملة على عبد العزيز أناله الله تعالى في الدارين مأمله ، وكان هادي إذ ذاك في الاسلام راغبا وللدخول في الايمان والنوحيد طالبا ، قد انشرح له صدره وتبين فيه حاله وأمره ، وبرق له من الدين بارق ولمع منه له ضوء شارق قبل أن يعرف الحقائق ويسلك في أبيض الطرائق ، فجاء مرغما لكل عدو منافق ومشارك ضال زاهق وهجر من كان محبا له مرافق ومن كان على الباطل مصادق . ولم يكن ذلك الوقت والحين في رئاسة قحطان من العدودين ولا من كبارهم المشهورين ولكنه ترأس بالدين وصار له الاقبال من إمام المسلمين لما صدق وتبين على المشركين ونصح في جهاد المبطلين فصار له تمكن عند المسلمين ، فعاهد حين قدم على الاسلام ولقد وفي العهد والذمام وقام بوظائفه أحسن القيام وبدا له فيه طالع

حسن وجاهد فيه من عبد الوثن ، وأخلص لله في السر والعلن ، وتنصل عن الضلال الذي ترعرع فيه ونشأ والشرك الذي ملأ جميع الحشا ( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ) .

ثم دخلت السنة الثانية بعد المئتين والألف . وفيها تظاهر كثير من أهل الوادي بالاسلام ورغب فيه جماعة من تلك الأقوام ، وسبب ذلك الاعلان والاشتهار وتبين تلك الدعوة والانتشار أن ربيعا وأخاه بدن ابني زيد رئيسي المخاريم في الشرف والأيد لما وفدا مع أناس من قومهم على الشيخ وعبد العزيز وعاهدوا على الاسلام ودخلوا في حصنه الحريز والتزموا الوفاء بجميع الأحكام والقيام بذلك أتم القيام ، وكان وفودهم قبل ذلك العام ، فنفع الله تعالى بهمهم خاصا وعاما ، فلما أرشده الله تعالى وكان له مرشدا وهادي ، وتبين بدعوة التوحيد على أهل ذلك الوادي أصبح كثير من أهل الضلال بل أغلبهم له مبغضا ومعادى ، ولرد قواه ومعارضته بالباطل ممار مبادى ، وأطلقوا عليه أعة الألسنة وحاولوا البقاء على تلك السنن الباطلة الزمنة والطرائق الخبيثة الضالة المنته ، فعند ذلك الحال والأمر بنى ربيع له ولأهل الدين قصرا وشرع في تهيئة بنائه حتى أنه وبناه . فلما قرغ من القصر والبناء جهر بالدعوة مجددا معلنا ، وبادر بإزالة ما في ذلك الوطن من صنم ووثن ، فأشعل في شجرة نارا وكانت معبدا لأولئك الأشرار يزعمون أنها تجلب النفع وتدفع الأضرار ، فلم يرعهم إلا دخان تلك الشجرة وقد قضى منها الإحراق وطره ، فعند ذلك تأسفوا عليها وتحرقوا وتجمعوا على الباطل بعدما تشبثوا وتمرقوا وانتدبوا إلى عداوة من يتبين بالدين ونهضوا ثاني يوم على ربيع في قصره مجتمعين وساروا يريدونه ، وهموا بأنهم يذونه ويردونه وينزلونه من قصره ويهدمونه ويجرعونه الحمام ويسقونه ، فحصر وشم في القصر ثلاثة أيام فصر على ذلك أهل الاسلام وقطعوا ما لهم من نخل وبدا منهم قبيح فعل ، وقتل المسلمون منهم رجلا ولم يدرك أهل الضلال منهم أملا ، فلما أيس أهل الباطل إليهم من الوصول وعرفوا أنهم لا يدركون منهم مأمول ، وأن المسامين أكثروا فبهم الجراح ولم يكن على أهل الدين من جناح وتحققوا أن ليس في مقامهم لهم صلاح وعزموا على المسير عنهم والرواح ، أخذوا حمارا مذبوحا وجملوه في ماء أهل القصر مطروحا ، وكان مأوهم خارج القصر من قريب إلى حد ما يجيد الرامي به ويصيب ، فأتين بعد ذلك عليهم الماء ووجدوا لفقده

ألما وقاسوا منه شدة وظما ، فبادروا إلى الحفير فأظهر الله ماء عين غزير فشربوا منه وارتووا وتيقنوا النصر من ربهم وارتجوا وحكموا به لقوة رجائهم وقضوا ، فقالوا بذلك الأجر والفوز وحووا ، ولكنهم دفعوا بالقى أحسن فأعطوا فرسا من أظهار بالشر وأعلن ، فقبلوها منهم وانصرفوا ورحلوا عنهم وانكفوا ، فأرسل ربيع بن زيد بنجر عبد العزيز بذلك الكيد ويعلمه بما صدر وجرى إذ لم يكن به درى ، فأمدّه بكثير مال وزاد ، وأعطاه سلاحا وأهبة الاستعداد ، وأرسل عبد العزيز إلى مبارك بن عبد الهادي بأن يساعده ربيع ويقوم معه على أهل الوادي ، فحين أتاه الرسول والمكتوب بادر إلى ذلك المطلوب وسار حتى نزل ذلك القصر وشد الله تعالى به لربيع الأزر ، فحاول جماعة الخطاطبة بناء قصر مشرف على ربيع ، وكانت لذلك طالبة وفي إخراجها من قصره راغبة ، فنهاهم ربيع وحذرهم وخوفهم وأنذرهم فلم ينتهوا عن المراد وشعروا في طرق الفساد ونصبوا راية الحراة وشمر كل منهم في البناء ثيابه ، فحين شرعوا في البناء زادهم الله وهنا ، وقتل المسلمون ذلك البنا ، فحين قتل منهم بناؤهم ولم يدركوا من البناء مناهم بعد ما غرهم الشيطان ومناهم ، ألب عليهم جميع أهل الوادي وتغلبوا وراموا هلاك الموحدين وتطلبوا وجمعوا لهم كثيرا من الآلات ، وسعوا إلى ذلك بأسباب وصناعات تسمى الزحافات وكانت صناديق من خشب مطبقة لم يدرك من بها ولم يصب ، وفيها من ذوى البأس رجال وبأيديهم مفاتيح تلك الأقفال ، وتسير محمولة على دراريح يسمونها العجل أهل ذلك المحل ، يرومون إذا قربوا من السور من هدمه بلا محذور ، وكان من به الناس متحصنين بدرع الباس ، وفي كل صندوق ثلاثون من الأبطال ، فساروا يريدون السور من غير إمهال ، فلما قارب الجدار لم يكن لهم إليه تسيار ولا وصول ولا اقتدار ، بل وقفت الزحافتان دونه بعد انكسار إحداها وانكشاف الأخرى فتبين من فيها ؛ فأخذ المسلمون يرمونه فقتلوا منهم تسعة ولم يكن فيهم والله الحمد منعة ، وزحفت تلك الجموع وتداعت إلى هدم السور تلك الربوع فرجعوا بالحرمان والخذلان ولم يفدهم ذلك الكيد والشان ، وأخذ أهل الاسلام منهم سلاحا ودروع ، ولم يكن أحد منهم بما شاهد من الكيد مروع ولا جبانا ولا جزوع ، ثم بعد مضي ليل وأيام أراد الملك العلام على بعض البروج الانتقاض فصار لأهل الباطل على أهل الاسلام ركضة وانتهاض ، فبادروا في الحال بلا أناة ولا إمهال



ساروا على أهل القصر وراموا بهم وقوع أمر ، فحمى الله سبحانه وتعالى المسلمين وقتلوا ثلاثة من المشركين ورجعوا والله الحمد مجروحين مقروحين ، ثم بعد ما انقضى زمان وأمد تجمع كل من أهل الباطل ونهد وحزب كل منهم وقصد على أولئك الأقوام وذلك حين وقع من السور بعض الانهدام ، فوقع عند السور القتال والازدحام وحمى الحرب وحان اللحم وحقن الله دماء ذوى الإسلام ، وقتل من ذوى الشرك والضلال فى ذلك الوقت والحال أربعة من شجعان الرجال ، ثم طلبوا من المسلمين النزول والخروج فكان للمسلمين إلى ذلك ميل وعروج ، فأخذوا منهم الأمان بشرط ما أخذوا منهم من السلاح فى ذلك الزمان والخروج عن ذلك المكان ، فنزل المسلمون منه وخرجوا بعد ذلك عنه ، وقصدوا مبارك بن هادى فكان بإكرامهم مبادى ، ثم بعد ذلك بأيام ندموا على عبدالعزیز الإمام فأكرمهم - جزاه الله سبحانه وتعالى خيرا - غاية الإكرام ، وأمدهم جميعا بكثير من الطعام ووفدهم منه بجزيل من الحطام فرجعوا من عنده بأعظم المقام وكان لهم فى الدين أوفر قيام فبنوا لهم قصرا وشاع لهم بذلك ذكر ، وكان مقابلا قرية تمره ، فنفذ الله سبحانه وتعالى بسببه فى الوادى أمره ، فأقاموا فى ذلك القصر مدة شهرين ولدى منهم انتشار وظهور وغارات أبدا لا تفارق ولا تبارح بل تفاجى وتغادى وتراوح جميع تلك القرى والقصور ، فلم يكن لأهل ذاك القصر عن جهاد من حولهم تقصير ولا قصور ، ثم بعد ذلك تقضت أيام وطال لهم فيه مقام ورغب جماعة كثيرة وفئام فى منهج الدين وتجريده والقيام بنصره وتأيينه وهم الحناججة والعمور والولامين ، فأرسلوا إلى ربيع ومبارك يريدون الدخول فى الدين ويطلبون منهم أنهم يأتون إليهم ويقدمون عليهم ، فأجابوهم إلى ما أرادوا وطلبوا فأنيبوا فضيلة الإسلام وحبوا لما أحبوه ورغبوا وحاولوا كغيرهم فى إطفائه سابقا وتعبوا ، فلم يحصلوا ما أملوه بعد أن شتموا ونصبوا فعاهدتهم على الحق والهدى والتبين فى طمس منار الضلال والردى ، وطلبوا من ربيع ومبارك النزول معهم حتى يجاهدوا معهم العدا ويجالدوا من تعدى عن الحدود واعتدى وراح فى طرق الشرك واعتدى ، فكان منهما إلى الدعوة ميل وإزمام وإلى الإجابة لما أرادوا حث وإسراع ، فخرج ربيع من القصر وسار وكان له فى الدراسة عند الحناججة مقام وقرار ، فأعلن عندهم لله تعالى بدعوة التوحيد ، وكان للدين فيهم تصدير وتوريد ولأهل الضلال فيهم تنخيص وتكيد ورعب ليس وراءه مزيد ، لا يطيب لهم فى الوادى سكن ولا تطعم

عيونهم لذّة الوسن ويدعون على من جر ذلك عليهم وسن ، وأرهف المواضى على إظهاره وسن ، وأحمى عليهم الغارة وشن ، فلما طال عليهم الأمد والزمن وقاسوا منه مصائب وامتحان ، ولم يحدوا لهم نفعا مما كانوا يعبدون ويستغيثون بهم في الشدة ويدعون ويخافونهم أشد الخوف ويرهبون ويؤثرونهم في المحبة على الحق ويرغبون من يكشف عنهم هذا الخطب ويفرج لهم هذا الكرب ، كلا لقد خابوا وخسروا وضل سعيهم وعثروا وأشركوا بالله تعالى وكفروا ، فلم يعانوا ولم ينصروا ، فعند ذلك اجتمع رؤساء ذلك الشأن ومن تظاهر بالمسق والعصيان وتفكروا في الحال والمصير وشرعوا في إبرام حل التدبير ، وهيات قد نفذ القضاء فيهم والتقدير ولكنه في إبانة وحينه يصير ، فلم يلفوا لهم إلى المراد سبيل ولا ملاذا ولا مرتجى ولا ملجأ ولا معاذ إلا إلى الوصول إلى نجران كي يستجيشوا من هناك من العربان ، فاجتمع رأيهم على ذلك المنوال وظنوا أنهم يدركون من المسلمين به هناك ، ويطفئوا نور الله الذي ربا في الضياء والاشتعال وأزال دياجر الإشراك والإضلال . فخرج رؤسائهم الفجار وقوادهم الأشرار وهما جماهير كبير الرجبان وحويل كبير الوداعين ذوى العصيان ، فعمدوا إلى رئيس نجران وأخبروه بجميع ما كان وبثوا له ما جرى عليهم من أهل الايمان ، وشكوا عنده بث المموم والأحزان وندبوه على إغاثنهم سريعا من غير توان وأخبروه أنه إن لم يبادر إلى حسم هذه المادة ويقطع السير والسلوك في هذه الجادة ، وتصير أسنة عزمه مشحوزة حادة وأهل الدين من فرط حده وحدته نادة ، فليس والله دون بلدانك والهجوم عليك في أوطانك لنا فئة مانعة رادة ولا جنود لهم مصادرة صادرة ، فاختر لنفسك قبل اتساع الحرق على الراقع وراموا من عداوتهم وسخف عقولهم مدافعة النازل الواقع والمقدر في سابق الأزل فليس له من الله دافع ، فتعالى وتقدس من لا تحيط بغيبه الهى ويقف إذعانا لطيبته المخلصون فيما أمر ونهى ؛ فلما سمع الرئيس مقالهم الفظيع وتخويفهم الشنيع سرى إليه الرعب والوجل ومزج شغاف قلبه ودخل وغره الشيطان والنفس والأمل وما رأى من الخول ومن يسير معه حيث سار من الدول فعز ربنا وجل حيث لم يأخذ الظالم على عجل ولا يدعه أيضا همل بل ينتقم منه على مهل فيما قدر له من الأجل ، فنهد إلى تلك الإجابة واستدعى للسير أصحابه وأزمع على ذلك طلابه فكان لله الحمد الذل غايته ومآبه فسار مجدا يريد سرعة الوصول

حتى يفوزوا بالمأمول فنزل على الرجبين والوداعين الذين كانوا المحيثين من الساعين، فاجتمع عنده خلق لا تعد ولا تحصى ولا تحسب ولا تستقصى، حين رأى تلك الأمم ملك معهم ذلك الأمم وارتحل بمن معه بمن نهج منهاجه، فسار حتى نزل على الحناجحة فتراموا معه من بعيد واقتتلوا قتالا شديدا، فلم ينل منهم ما يريد وأقام على هذه الحالة يسدد عليهم سهامه ونصاله ويمد من أسباب المكر ما ينتجه الرأي والفكر وكل يوم تطلع شمس وتغيب يجرى ويصدر من القتال فيه بينهم أوفر نصيب، ولكن القريب الحبيب ثبت أقدام أهل التوحيد وكان لهم معينا ورفيق وربط على قلوبهم فلم يمازجها إرجاف ولا وجيب بل كان صدر كل واحد منهم منشرجا رحيب، فلما بان له منهم الإفلاس وكان من المراد على ياس رأى أن ليس عليه في الارتحال بأس، فارتحل والله الحمد رغما على ذوى الإفلاس وأهل الضلال من الناس، فلما ذهب رئيس نجران منصرفا وولى ذليلا منحرفا ورجع إلى بلاده متأسفا وجف قلوب قرى الدواسر فكان بعضهم إلى طلب الإسلام مبادر فطاب الرجبين من ربيع الدخول في الإسلام والإيمان، فأجابهم إلى ما طلبوا وأرادوا وعاهدوا على ذلك فزادوا واستزادوا، وأقبل جميع الوداعين وكانوا في الإسلام راغبين وتتابع على ذلك كافة القرى فأغناهم الله تعالى بعدما كانوا فقرا ولكن نفوسهم لم تكن بذلك تطيب ولم يكن لهم إذ ذاك من النور حظ ولا نصيب، ولكنهم يقولون ما برحنا حربا يصاب منا ولا نصيب، فانتقادوا مستسلمين وأذعنوا للدين مكرهين؛ فلما صدر ذلك عنهم وفد ربيع وجماعة منهم على الشيخ وعبد العزيز وأخبره بما صدر، فحمد الله تعالى وشكر وقابلهم بالحشمة والإكرام وأجزل عليهم الصلة والإنعام وطلبوا منه معلما للتوحيد والأحكام، فأرسل معهم عبد الله بن فاضل فكان لوظيفة التعليم فاعل وبقوا على ذلك نحو ستة شهور ثم كان لهم عن الدين إعراض ونفور، ولاشرك ورد وصدور وانشرحت لهم به صدور، واجتمع على ذلك الرجبين والوداعين وخاموا عرى التوحيد والدين، ودخلوا فيما كان لهم معتاد وسنن الآباء والأجداد وشربوا كؤوس الغى والفساد وأقاموا على الضلال في استبداد، وجاء الخبر عبد العزيز بذلك، فجهز لهم سليمان بن عفيصان مع جيش يجاهدهم هنالك ويوردهم من الهلاك مسالك ويقحمهم منه أعظم المهالك، فسار بمن معه ممثلا وقدم عليهم عجلا فصب عليهم من العذاب عارض سكوب وشب فهم لظى الخطوب، ودام فيهم القتل

والقتال حتى أنكأ أهل الضلال ونكد عليهم العيش والبال وضاق عليهم الحال وعانوا عقوبة الأفعال عاجلا من غير إمهال ، فبعد ذلك رفضوا وهانوا ورغبوا في الاسلام ودانوا فطلبوا ذلك من سليمان ، فأجابهم من غير توان وشرط عليهم القدوم على عبدالعزیز معه في الحال والرضى بما يريد من النكال ، فقدموا معه إلى الدرعية راضين بما يصدر عليهم من قضية ، فعاهدوا عبد العزيز على الاسلام وشرط عليهم في عقد الأحكام ألفي ريال وألف اتفق أن تسلم في الحال ، فالتزموا ذلك وتحملوه ووفوا به وسلموه . وفيها غزا سعود بالمسلمين أدام الله تعالى له النصر والتمكين ، فحث سيره ومسراه وكان وصوله عنيزة هو الذي اقتضاه وراه ، وذلك أنه نعى إليه صحيح الخبر أن بعضا من أهل عنيزة بحث عن أسباب الارتداد وحفر وتحقق ذلك عنه واشتهر ، فعند ذلك أجمع على السير إليهم وظهر ، فنزل عليهم بعد أيام وليال ومكت عندهم يستبرئ الحال ويتحقق ذلك على يقين لئلا يقدم على ما يريده بتخمين فيخالف قول رب العالمين ( يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ) فلما لاحت له شمس التيقن والإيقان من عدول أهل الاسلام والایمان من سكان ذلك المكان وتحقق ذلك الأمر واستبان ، وكان آل رشيد من ذلك النفر والملا أمر عليهم بالجلاء وكل من لهم تابع وفي أسباب الشرطامع وأزال منها كل من يحذره ويخشاه وأمر عليهم على بن يحيى لاختياره ورضاه ثم انصرف راجعا . وفيها غزا سعود بالمسلمين يريد بني خالد ، فأقام في الدهنا يريد أن يتحسس ويتفحص الأخبار عنهم ويتجسس ، فاستقر الخبر أنهم قد أشملوا وثبت عنده فبدا له عنهم ورفض قصده وانصرف . وفيها غزا سليمان بن عفيصان وجمع من الموحدين وكانوا لأهل قطر في تلك الغزوة مريدين ، فأسرع في سيره لأجل قضاء الوطر فلم يلبث أن صبح الغارة آل أبي رميح من أهل قطر ، فدھمهم في تلك الأرض على اغترار فلم يتقدم قبله إنذار وحصل منهم للحرب بدار وجولان دون المال والأعمار ، حتى أراد الله للمسلمين عليهم الانتصار فانهزموا وولوا الأدبار وقتل منهم نحو الخمسين وأخذ جميع ما عندهم من الغنم والسلاح والأمتعة والركاب ورجع بنيل المطلوب وآب ، وفي تلك الغزوة صبح سليمان بن عفيصان بلد الجشة من الحسا فلم يشعروا إلا بعد الحرب والهزم والأسى وقد ملك عليهم السور وأحاط بهم المكروه والمحذور فانتدبوا للقتال وتداعوا للمجال

ولقاء الأبطال وبذلوا الجذ في الجلال مخافة الاستيلاء على البلاد واستئصال العباد وطال الحرب بينهم ذلك اليوم وقتلت بعض رجال من أولئك القوم . وفيها أمر شيخ الزمان وعلامة الوقت والزمان وحائز قصب السبق في الميدان ذو الحجج التي بهرت حين ظهرت والقواطع التي صدعت حين صدحت والبراهين التي قمعت إذ لمعت وسطعت على الأعداء لما سطعت ، المزيل عن التوحيد برقع المبين لذوى الألباب حسنه وموقعه الجالى دجى الضلال والقالى للغواة الضلال ، كاشف غيب البدع والإشراك القائم في ذلك حسب الطاقة والإدراك وليس بمداهن فيه ولا تراك ناهج منهج البيان والصواب محمد بن عبد الوهاب - المسلمين أن يبايعوا سعودا على الإمارة بعد أبيه أطال الله تعالى عمره وصرف عنه السوء وأجاره وكثر جنده وأنصاره ومد في أجله طول الأمد وأنجح له ما أراد وقصد ، فنهض إليه كافة الناس وتناوبت البيعة أنواعا وأجناس وأعطوه المصفقة المحققة من غير التباس ، فاتضح له نهجها واستبان حتى بايع على ذلك كافة أهل التوحيد والإيمان وتعاقدوا على التزام الطاعة بالإيمان فثبتت له عند ذلك الإمارة واستمرت وحقت له بعد والده واستقرت وكانت بيعة معلومة مشهورة متقنة بأحكام الشرع معدودة ، مؤسسة دعائمها على القانون المطلوب الشرعى والمنهج المرغوب المرعى لا ينازعه أعاذه الله من ذلك إلا شرير ظالم ولا يقوم عليه إذ ذاك فيها قائم إلا وهو متعمد غاشم وصل الله تعالى بالائتلاف حبلمهم وجمع على المحبة والاتفاق شملهم وأجارهم عن ركوب خطر الاختلاف وانتهاج منهج القطيعة والاجتاف وحمائم عن الوقوع فيما دمر أولئك الجموع وأخلى منهم المنازل والربوع وطهر عن الشحناء قلوبهم وأنالهم سؤلهم ومطلوبهم وذب عنهم مآذب فى الأمم قبلهم من الحسد الذى أهلك الديار وأهلها ، فلم يبق منهم على أحد وذاك بعد ما عرف أبوه حاله ومسيره وتحقق سيرته واختبره فترجع عنده بيقين العلم والفهم على التحقيق والجزم ما شرف به من الدهاء والحزم وما خول من السياسة والعزم وما تلاأ فى غرته من طالع السعادة وما لاح فى جبينه من بارق السيادة وما عاناه فى رفع منار الهدى من مصادمة أهل الردى حتى رفع الله تعالى به لليلة الوسطى عمودا وعاد معينها بعد ما كان آجنا مورودا وأورق به غصن الحق بعد ذبوله وأسفر قمر التوحيد بعد أفوله فرآه أهلا للسياسة وكفؤا لمنصب الرياسة فحمل أعباءها كاهله فكانت إليه آيلة أهلة . وفيها غزا سعود بالمسلمين

فوافق البيعة أسلاف من عنزة مجتمعين وكانوا إذ ذاك بأرض قنى من نجد مقيمين ولم يكونوا أولئك نتيجة سيره وقصده وإنما كن عرضوا له في طريقه وجده وغنمه الله تعالى لإسعاده وسعده ، فلما رأته من المسلمين أو لو التقدم والسبق قالوا هؤلاء أتوك وفق وعرفوهم على اليقين والتحقيق وكان هذا الطريق أيمن طريق فقد نالوا منه مرادهم من غير نصب ولا تعب ولا تعويق ، فشن عليهم الغارة المسلمون وأتوا من حيث لا يظنون فتبادر من عندهم من فارس وشجاع وانتدب إلى الإفزع وتسربل للطعان والدفاع ولاحق من عندهم من العدد ولم يبق منهم أحد ومنتهم أنفسهم الغرارة أنهم يجمعون أهل الغارة فطاعنوا زمنا يسيرا ورأوا أن ذلك لا يجدى ولا يضير وليس دون الفرار من مصير ولقد صدقوا في العزم والأفعال وإنما كن عادة الله تعالى في أهل الضلال سرعة الخذلان والإذلال فانهزموا على الأعقاب وليس لهم دون الذلة والخزي من مآب وقتل منهم في ذلك المجال عدة من الرجال وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة من أنواع المال . وفيها غزا سليمان بن عفيصان مع جمع من قومه أهل الإيمان وقد أمره عبد العزيز أن يغزو من الحساء العقير فحث لذلك القصد والرام والسير ، فأسرع في ذلك المنهاج وطوى تلك المساجح حتى وصل إلى ماء حرض فإذا عويس بن غفیان مع غزو أهل النمامة خارجا من الحساء قد عرض وكانوا نحو الحسين وقد خرجوا من الحساء مغترين وبلدان المسلمين مریدین ، فالتقى معهم أهل التوحيد ونازلوهم منازل الأبطال الصناديد فبذلوا دون أعمارهم الجهد الجهيد وأبدوا من الأقدام ما ليس وراءه مزيد فأحانهم الفوى الثمين فقتلهم المسلمون أجمعين كذلك بنحزى القوم الظالمين فأخذوا ما معهم من ركاب وسلاح ثم سار لقصده فرحا مرتاح ، فجد السير حتى صبح العقير فأخذ ما في الخان من الأموال وصعد القاعة من فيه من أرجال فأقاموا فيها متحصنين وأصبح بؤت الجريد به محرقين ، أضرم في جميعها النيران سليمان بن عفيصان . ثم دخلت السنة الثالثة بعد المائتين والألف . وفيها غزا سعود بلغه الله تعالى المقصود ومعه جموع كثيرة هائلة وجنود لا يحصى لها عدد ولا يحصرها أحد ، وتوجه يريد بنى خالد وكان على لقاءهم جاهد فجد إلى مراده السير والسرى وطرد عن عيونه في ذلك الكرى حتى أراد الله تعالى أن يلتقى الجمعان في أرض بنى خالد بمكان وكانت جموع بنى خالد قليلة العدد وأكثرهم متفرقون في أرض تلك البلد ووافى منهم من

العربان والأسلاف قوم دويحس وعبد المحسن من غير خلاف ، فَمَا طلع عليهم سعود وجنوده كان كل منهم الهروب مقصوده ولم يعزموا على إقامة وبقا فضلا عن مقاتلة ولقا ولكنهم برحوا تلك الساعة يدبرون من الرأى فسيحه واتساعه فأسرعت إليهم من تلك الجنود فرسان وناوشوهم بعض الطعان ولم يطل بينهم ميدان ولم تتفق محاولة طويلة بين الفرسان وكان ذلك لموجب وشان ، وذلك أن سعود احرسه الله تعالى أسره له في ذلك اليوم أن بعض من عنده من القوم يريد الخيانة لبني خالد وأنه على ذلك مواعد وتحقيق ذلك الإخبار فلم يكن له إلى اللقاء اختيار فسأل الله تعالى ودعاه واستخار فأرسله لخبرته وإرشاده وهياًه إلى إرادته وإسعاده ، فانصرف راجعاً إلى بلاده ومر ببلدان أهل القرى فأخذ ما عندهم لبني خالد من الزاد وقتل عيوننا قبل الملاقاة لعبد المحسن ، ولما رجع سعود مع ما أتى معه من تلك الجنود ولم يلتق مع تلك الشرذمة القليلة كان ذلك إلى طغيانهم وعتوهم وسيلة وعلى فناءهم وإذلالهم حيلة وأى حيلة ، ولكنهم لم يحكم الرأى لها عقداً ولم ينظم العكر لها عقداً ولا أحسن إبرامها التدبير بل القضاء والتقدير . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى بالمسلمين الحاضرة منهم والبادية بعد ما بعث إليهم بالجهاز مناديه فأسرع كل منهم إليه مباديه ، وسار حتى نزل خفيسه الدجاني ينتظر من قومه القاصي والداني ، فلما اجتمعت الجيوش عنده أرسل إلى والده يبين له قصده ويشير عليه بما يشاء ويريد لأن أباه مبارك الرأى رشيد ، فأشار عليه إلى ثويني بالوصول فعسى أن يحصل منه المأمول ، فسار إلى ذلك المراد يريد أولئك الشداد وجاءته في أثناء طريقه عيونته حتى تخبره بتوقيقه ، فأعلموه أن جميع الأعداء وأهل الزيغ والردى كلهم على حمض مجتمعون ، فعجل إليهم لئلا يكونوا بمجيئه يعلمون فلم يجتهد أحد قبل الغارة فكانت لهم هي الندارة ، فلما أقبلت عليهم فرسان الإسلام كان لبني منتفق إليها بأس وإقدام وسرعة اختلاط والتحام ، فانكسرت فرسان المسلمين فأمر عليهم سعود أن ينيخوا أجمعين وأخبر أهل الدين والإسلام أن ليس ثمة إلا الصبر على ما قدر العلام وتجريد مواضى العزم والمهم ، فعاقبة الفشل والفرار تدم ويحصل بها لفاعله الندم ، فوطنوا أنفسهم على الزحام وعرفوا أنهم على إحدى الحسينيين الغنيمة أو دار السلام ، فاصطفوا ميمنة وقلبا وميسرة وأقبلت تلك الجموع تصادم كلا منهم فلم يلفوا على المسلمين مقدرة وقد بذلوا دون الهزيمة المعذرة فلما لم يجدوا بداً إلى العز والسلامة



وصرفوا أنهم مهما أقاموا ذاق كل منهم حمامه فامتطوا الأقدام في الفرار والانهزام ولم يصبروا على الزحام ، وكل من أولئك الشجعان رضى بالذل والهوان وأرعى له الأرسان وطاع بها قهرا من غير إذعان ، فغنم أهل الدين والإسلام ما معهم من جميع الحطام على كثرة أجناسه وأصنافه وفرط تباينه واختلافه من بعض الحيل والأثاث والأمتعة والحيام والصيوان المشهور الأعلام ، ولما حقق الله تعالى لسعود الإسعاد وأناله من أعدائه المراد وأزاد الانصراف إلى البلاد ظن كافة غزاة المسلمين أنهم يصيرون لقرية واردين بل جزموا بذلك وتحققوه على اليقين لـكن أراد أمرا فأراد الله ضده ليخذل الباطل وجنده ويظهر شرف من أراد عزه ومجده ، فلما أناخ سعود للراحة في القائلة كانت نفسه عن ورود ذلك الماء مصروفة مائلة وبدا له عن ذلك الطريق لما أراد مولاه له التوفيق وأعرض عن ذلك المراد ، فلم يكن له إليه إلمام لما أراد الله له العز والإكرام فلما استقلت به راحلته وثارت وصرف وجهها إلى غير قرية بهتت الغزاة وحارت ووجلّت قلوبهم من ذلك وطارت ، فبادر إليه صالح أبو العلا وأخبره بتعلم أولئك الملا ، وكان أبو العلاء هو الدليل فأخذ يلاطف سعودا ويستعطفه ويستميل حتى أعلمه أنه يريد الشرب من الوفرا ليقضى الله تعالى له أمرا ، فلما علم الدليل ذلك الحال واستولى منه صحيح المقال أخذ يشدد ذلك عليه ويعسر المسير إليه وقال له وهو في ذلك صادق تصل إلى بلادك في أحسن الطرائق قبل أن تصل إلى ماء الوفرا فاختر لنا ولنفسك الطريق الأخرى ، فلم يجد فيه ذلك الكلام فسار حتى ورد الماء تلك الأيام فشرب من الوفرا ونوى بعدها الحفر وجد في سيره يريد الورد والصدر حتى إذا توسط وغارب البید عن لهم أن على ماء الحفر طلبا رصيدا وحزبا يريدهم قعيد ، فلم الله حالهم فلفظ بهم وأنالهم وسقامهم من فيض السحاب شؤبوب وأمطرهم من الرحمة عارض سكوب فاستقوا من ذلك العذب الزلال فطاب لهم الحال ولكن لم يعد خطتهم ذلك الوابل بل كان لإغاثتهم نازل ولريهم هامل ، فنزل عليه يريد جميع الغنيمة فساق الله تعالى من أياديه الكريمة وأهدى له من مواهبه الجسيمة ركبا من آل سحبان كبيرهم ابن مفجل فقتلوا أجمعين وكانوا قريبا من التسعين ، ثم انصرف إلى بلاده مؤيدا منصورا مأنوس القلب مسرورا ورايات الإقبال عليه خافقة والألسنة بتوفيق الله له ناطقة . وفيها غزا سعود أناله الله تعالى مراتب السعود فسار بالمسلمين

يريد الاحساء فحث السير لذلك المرام والهجوم على أولئك الأنام حتى أشرف على البلاد وظهر له منها السواد والقتام ، فأناخ على المبرز حين غطى الضياء الظلام واستحكم الكرى والمنام في مقتل أولئك الأنام ، فلم يتبين من النهار ضوءه وبياضه وييد من إظلام تقشعه وانتهاضه حتى بدت خيله وحماته وشهت أصوات البنادق رماته وقد كانوا قبل ذلك الوقت والأوان محيطين بفريق العتبان فحينهاضوا يرددون الأصوات أجاد كثير منهم أولئك الرماة ، فلم يكن لهم سبيل إلى الخروج بل كانوا إلى السطوح في عروج فدافعوا عن الدخول والهجوم ، فلم يكن للمسلمين عليهم إقدام بعد القدوم ثم بعد ذلك اجتمع أهل المبرز فخرجوا إلى الفضاء وجالوا مع المسلمين ساعة ثم رأى سعود الانصراف عنهم وارتضى وأحكمه واقتضى فكره فانصرف عنهم ومر بالهفوف ولم يرد عندهم وقوف ثم مضى من ساعته يريد الوصول إلى قرية الفضول فأناخ عليهم وسط النهار وشمّر للحرب معهم الإزار وأحاطت أجناد الموحدين بأولئك القوم المبطلين وأحدثت الفرسان والرماة والأبطال بقرية أهل الزيغ والشرك والضلال وغطاهم من فوقهم سحب الهلاك وحن لهم الاستئصال والإهلاك وأمطرهم من غيم العذاب عارض فكان لنفوسهم الحبيثة قارض وراموا المسلمين دفعا وظنوا أن البلد تنال بهم امتناعا ومنعا ، فجذوا واجتهدوا كافة ودعوا آلهتهم كما هو عادتهم عند المخافة ورفعوا أكف الدعاء والسؤال وأخلصوا التضرع والابتهال إلى من لم يفرج عن نفسه أدنى الكروب فضلا عن كونه يدفع النوائب والخطوب ؛ فلما فرغ سعود من صلاة المساء هب له نسيم الصبا فزال عنه الأسا ودعا ربه بحضور قلب وبال أن يحسن له العاقبة والحال ويمكنه من هؤلاء الضلال ، فاستجاب له ربه دعوته وعجل له طلبته وأنجح له مؤله وحقق له مأموله فنهد إليهم مسرعا ونهض ، وحفه النصر وأقبل عليه الإقبال وعرض ، فشدوا على القرية الحلة فانتدبوا إلى الفرار جملة ، فلم يلفوا لهم هداية ولا توفيق ليكون المسلمين قد ملكوا عليهم كل فيج وطريق . فعند ذلك كلهم راموا الاختفاء في البيوت والدور فنزل بهم قضاء الله المحتم القدور وحل بهم الأمر المشهور فدخل عليهم في تلك النازل فوردوا من الحمام أمر المناهل وشربوا منه كأسا وأنزل الله تعالى عليهم بأسا ، فقتلوا قتل النعم وسحبوا سحب البهم وكان أكثر الرجال وجدهم المسلمون وهم في بيت من البيوت مجتمعون وكانوا ثلاثمائة نفس فقتلوا جميعا من غير إيس وقتل غيرهم

ذلك اليوم ممن اختفى من أولئك القوم ، وأخذ المسلمون جميع ما في القرية مما ينقل من المال وأنواع السلاح والحيوان والأمتعة والأواني وبعض الطعام شيء له بال وانصرف سعود إلى بلاده راجعا وقد كان عسكر الحساء ذلك اليوم مقيم ، فلما برزوا أراد منهم المسير إلى الفضول مع جميع أهل المبرز فأبى كل منهم وما أحرز بل أبدى الدل والرعب وأبرز ونادى على نفسه بالحين والدلة ورضى لها بالمذلة. وفيها توفي الشيخ عيسى ابن قاسم وكان بنشر الدين مجدا قائم ولتعليم الناس ملازم رحمه الله تعالى .

ثم دخلت السنة الرابعة بعد المائتين والألف. وفيها وقعة غريميل ؛ وذلك أن سعودا حرسه الله تعالى وأسبغ عليه نواله ووالى جميع المسلمين ومن لهم من البوادي والعربان وسار معه بعض بنى خالد الجلوية مثل زيد بن عريعر وقصد بنى خالد وجد في ذلك السان وجاءت إلى بنى خالد بذلك الأخبار وأسرعت قبله إليهم الأندار فأرسل عبد المحسن إلى أهل الحساء يريد منهم الدول ويحثهم على ذلك فلم يطع قوله ولم يمثل وحاوهم أخوه ثواب وخوفهم فلم يجسد فيهم ، فانصرف منهم على عجل بخيبة القصد والأمل فنزل بنو خالد بأرض غريميل المعروف وكانوا حينئذ جماعة كثيرة وصفوف يزيدون على آحاد الألوف ، وأقبل سعود بأهل التوحيد فنزل تجاههم بتودة وتأيد فتقابلت تلك الصفوف وتقاتلت تلك الألوف وبرحوا أول النهار في تجلد واصطبار وجولان بينهم وطراد ومناوشة بعض وجلاد حتى بان وقت العصر وحان وأدبت فريضتها على سكية واطمئنان ونشق أهل الدين نسيم الصبا وسبق كل منهم إلى الجلاد وصبا وباعوا على الله ثمين الأعمار آخر ذلك النهار ، فصبر عند ذلك بنو خالد ورام كل منهم أن يقاتل دون ماله ويساعد ، فلم يكن المولى لهم مساعد فزحزحهم المسلمون عن مصافهم العالية وأمست رمتهم عن مواقفهم جليلة وأمسى المسلمون لأعقابهم تالية وانهمزم جميع تلك الأمم ولكن أقبح فرار ومنهمزم ، فأنحدرت الرماة من رفيع تلك الآكام مشمرة في الفرار والانهمزام ، وملك المسلمون محلهم وشتت الله شملهم ولم يبرحوا بعد ذلك النزول والانحدار في تشمير الساعد والإزار للانهمزام والفرار وكانوا آخر نهارهم وبقية ليلهم إلى أسحارهم في هزيمة وانكسار وضياع أموال ودمار ، لا يلوى أحد على ماله وأهله ولا يروم سوى نجاة عمره لقبح فعله وحق للمسلمين والله الحمد عادة الله ووعدده وعمهم فضله وإحسانه ورفده وتفضل عليهم بتلك الغنيمة

العظيمة فحوا تلك الأموال الجسيمة ولكن سعاداً نهج معهم منهج الكرم المعدود وأحسن فيهم السيرة ولم يؤاخذهم بما سلف منهم من الأمور الكبيرة وسابق تلك الجريمة وما راموا من الأمور الضريفة ، فما جار فيهم ولا قطع بل أعطى ومنع ووصل ورفد ولم يعاقب منهم أحد ، وأسدى إليهم المعروف ونطول وأبدى إحسانه عليهم وتفضل واختلف حال أولئك العربان بعد ما حق عليهم النذل والمهوان فبعض صار وجهه من ساعة الهزيمة الفرار إلى الأحساء فازداد هواناً وتعسا ، ولم تزل فرسان الموحدين في أثرهم طالبين ولأكثرهم مدركين فلم ينبج بما عنده إلا القليل مثل ابن جرذى وغيره فما كان عليهم من سبيل وبعض صار وجهه إلى سيف قطر وذلك عبد المحسن وعيال عريعر الذين معه وبعض من جماعتهم فكل قصد الزيادة . وحذر واختارها لنفسه بعد التأمل والنظر والفكر ، وأكثر أهل البوادي والعربان استأثروا بالاستقرار في الحساء والاستيطان فشمروا في طلب الأمان من سعاد وانسجول في حوزة أهل الإيمان فأعطاهم ذلك وأنالهم فأدركوا منالهم ، ولما انقضى شأن غريميل كما سطر . وقيل أراد سعاد حرسه الله تعالى من زيد بن عريعر أن يسير معه إلى الحساء حتى يقيم فيها علم التوحيد والدين ويزيل ما فيها من بدع الباطلين ، ويحقق على أهلها العهد في الدخول في الطريق المحمود حتى يستمروا على سنة خير المرسلين ويقاموا عما كانوا عليه من سنة آبائهم الذين كانوا لهم مقلدين وبآثارهم وآصارهم مقتدين فأبى عن ذلك وتعلل وتضجر وتماطل . فأراد سعاد إليهم الوصول حتى يه المقصود والرسول فارحل من ذلك المكان يريد ذلك الشأن ، وفي أثناء ذلك الطريق عن في قلبه أمر وخطر صرفه عما إليه بدر فشمروا للظهور والنجدة فظهر . وفيها غزا ربيع المسمى قاعد بجماعة من قومه فشمروا لعزمه الساعد وسار بمن معه وساعده وتبعه يريد بعض البدوان ممن صد وأعرض عن الإيمان ، فلما أشرف على بني هاجر وكاد أن يكون عليهم غائر وجمعهم مشتتا كسر سول الشيطان لأكثر من معه من البدوان وغزاة العربان أن يخالعوا حلة الدين ويفتكوا بالمسلمين ، فلما أغار على عرب بني هاجر انحذل عنه أكثر من كان معه سائر وصار غالب أهل البادية على من بقى معه عادية ولم يثبت مع جيش المسلمين سوى ابن قرملة وأحمد بن نجان فكان لهما ثبات على الإيمان ، فعند ذلك اشتد الكرب والبلاء على المسلمين من ذلك الملا ووقع بينهم القتال وحمى بينهم

الجهال واستمر الطعان والضرب واشتد الخطب والكرب من آخر النهار إلى هزيع من الليل والأبطال تقحم في ذلك المعرك الخيل ، فقتل من المسلمين نحو العشرين وأخذوا منهم مثلهم مأسورين وكانت تلك الوقعة تسمى الليلة عند أولئك البرية فبعد صدور تلك القضية طمعت في الردة النفوس الشريرة وأهل الأفعال الردية، فارتد جماهر وحويل ومن معهم من الأقوام وعدلوا عن مناهج الإسلام. وفيها أرسل غالب الشريف إلى عبد العزيز حرسه الله تعالى كتابا وذكر في أثناءه أنه يريد إنسانا عارفا من أهل الدين حتى يعرف حقيقة هذا الأمر المبين ويكون فيه على بصيرة ويقين، فأرسل إليه عبد العزيز الحصين كي يشرح له بلسان الخطاب وجه الحق والصواب ويزيل عن محياه النقاب فيبدو عند ذلك لألاء السنة فيدعو حينئذ لمن أوضح هذا السبيل وسنه وكتب معه الشيخ إليه رسالة بين فيها دعوته ومقاله : ونصها بعد البسملة من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام نصر الله بهم سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وتابعي الأئمة الأعلام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم. وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله ، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البناء الذي على القبور كبر على العامة وعاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب ما نخفي على مثلكم أعظمها اتباع الهوى مع أسباب آخر فأشاعوا عنا أن أنسب الصالحين وأنا على غير جادة العلماء ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها وأنا أخبركم بما نحن عليه بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام فنحن والله الحمد متبعون لامبتدعون على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وتعلمون أعزكم الله أن المطاع في كثير من البلدان لو يتبين بالعمل بهاتين المسألتين أنها تكبر على العامة الذين درجوا هم وآباؤهم على ضد ذلك وأنتم تعلمون رحمكم الله أن في ولاية الشريف أحمد بن سعيد وصل إليكم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله وأشرفتم على ما عندنا بعد ما أحضروا كتب الحنابلة التي عندنا عمدة كالتحفة والنهاية عند الشافعية، فلما طلب منا الشريف غالب أعزه الله ونصره امتثلنا وهو إليكم واصل ، فإن كانت المسألة إجماعا فلا كلام، وإن كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد

فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم أني على دين الله ورسوله وأني متبع لأهل العلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقدم عبد العزيز الحصين مكة المشرفة فأكرمه غالب وشرفه واجتمع معه مرات عديدة وعرض عليه رسالة الشيخ المفيدة فعرف ما بها من الحق والهدى وما نفته من الباطل والردى فأذعن بذلك وأقر ثم بعد مدة أبى وكفر وتمسك بقديم سنته وأصرّ وطلب منه عبد العزيز الحصين أن يحضر العلماء معه فيقف على كلامهم ويسمعه وينظرهم في أصول التوحيد فأبوا عن الحضور وقالوا هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك ورفع يدك عن معتادك وجوائز بلادك ، فطار له وارتعش قلبه . ثم دخلت السنة الخامسة بعد المائتين والألف . وفيها غزا سعود أدام الله له السعود فسار بالمسلمين وجدوا السير مشمرين وأنضوا الجياد والركاب في ذلك التسيار والذهاب . ولم يزل يعنق وينص في ذلك السير حتى قارب أن يشرف على عربان من مطير كبيرهم الحميداني وأسلاف آخرون في أرض الجريسية مجتمعون وقد سبق إليهم الإنذار ولكن لا يرد الحذر الأقدار فعجلت لهم قبلة وكانوا مع ذلك على مهلة ، فرحلوا وهجوا وجدوا فيه وعجوا ونادوا بالويل وضجوا ، فلم يكن لهم عن الأقدار من مطير ولا فرار فخانهم بأرض الجريسية الجبار وخانهم كما هو عادته الفرار فصبحهم الجند الكرار والحزب الذي هم ليسوا في اللقاء فرار والعصاة التي هم للدين أنصار وللتوحيد حماة وأعوان وأصهار . فحاولت تلك البوادي أن يردوا الفرسان العوادي وجالوا معهم في الميدان وصار بينهم قتال وقتل وطعان حتى علاهم البأس الشديد والهلاك الأكيد من حماة التوحيد فأخذوا غير بعيد ونفذ فيهم الوعيد فانهزموا أجمعين واستولت أعقابهم خيل الموحدين وقتلوا منهم نيفا وخمسين وغنم المسلمون ما معهم من الأموال من الأمتعة والأثاث والزاد والغنم والآبال ورجع المسلمون بنيل الآمال . وفيها مات عبد العزيز بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحسن الله تعالى له المآب . وفيها أظهر الشريف غالب كيدا لم يظهره قبله محارب ورام أنه لأمر الله غالب فقاد من الجيوش والأحزاب والحضر والعرب والأعراب ما لا يكاد يحصر رقه القلم في كتاب وحشد البدوان من كل شعب وفج وساقهم من كل واد ونهج وجمعهم من كل ناحية وبلاد فأقبلوا يهرعون إليه من كل واد وجاءوا بأهبة واستعداد وسارت له الرسل والركبان إلى

جميع القرى والبلدان تطلب العون والنصرة والكل ساعده وأنجح أمره ؛ فلم يدع بلدا ولا قرية له أو حوله أو يظن منها الإغاة إلا أرسل إليها فورا رسله وركبانه ووصلوه بما يصلح شأنه ويقوى تجبره وتكبره وشيطانه وتمالاً معه الخلق كافة وما كان لهم من الله تعالى مخافة بل جدوا معه وقاموا وسهروا في منامهم الليالى وما ناموا فياخبتهم وما طلبوا وما راموا أيحارب رب العزة والجبروت ومن بيده الملك والملكوت ؟ أينادى بالحرابة أصل الإسلام ؟ أينادى على هدم أساسه جميع الأنام ؟ أيسعى بالوهن إلى حمى التوحيد ويتداعى على إزالته بعد التشييد ؟ أينسلون إليه من كل حذب وينسل له ذوو الحاجة والأرب ولا يهاب جناب الرب ويرتقب ، كلا لقد عميت الأبصار والبصائر وانسد نهج الإنصاف فليس إليه عابر وعدل عن منهج البيان فأضحى محياه غابر وتركت عين الشريعة فكاد نعيمها أن يكون غار حاموا على سلف الجدود والأبوة وبذلوا فيها النجدة والفتوة وتمسكوا فى الحقيقة بتلك السنة والطريقة والتزموها أشد التزام ، فلم ينكفوا عنها على الدوام رخص عندهم فى استقامتها نفيس الحطام وهان لديهم فيها الذل والتسلم والاستسلام بل رخص عندهم ما هو أعظم وأجمل وأنخم وأكمل وأجل وأعلى وأرفع قدرا وأعلى الأعمار وجواهرها وأرادوا المناصب وظواهرها فهانت عندهم الرقاب والأعمار وركبوا لها ركاب الأخطار وطرحوها فى ميدان القمار وألقوها فى ذلك المضمار فكانت عقباهم الخسران والدمار ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله وكل يجازى بفعله ، فلما رأى ما اجتمع فى فئائه ورحابه وما نزل فى أوديته وشعابه وما ضمه إليه تطلاب ركابه من أولئك الخلق والجموع والأسباب والملا الذى طبق وأوسع الفجاج والفلا ركض برجله وتجر وعلا وشمخ بأنفه واعتلا وزين له الشيطان أملا وسعى إليه عجلا وتحكم فى قلبه أبو مرة ونفذ فيه غيه وأمره وزخرف له مكره وغدره وحقق له فى مرامه سولا وحته على التسيار وصولا وكان ذلك إلى تسوية حيله ، فأسرع إليه وحرص عليه قبيله فبادروا إلى الخروج وسعى إلى ذلك المنهج المنهوج وأظهر سريعا امتثال الطاعة لما رأى عنده من قوة الأسباب والاستطاعة فكانت ولله الحمد بضاعته أخسر بضاعة فلما آن أن يبدو لظهوره شمس وحن أن يتبين فى جبينه نحوس ويخسف فى أفقه نجم سعده ويكسف بدر توفيقه ورشده ويقف الخلق على ما أملوه من مجده وترجع أبصارهم خاسئة بعد مطالعتهم لركنائه ويمنه وجده



ومشاهدتهم فلول صارم عزمه وجدته وأقول كوكب عزه ونصره وفقده فقد جزموا وحكموا وفهموا وعلموا أنه يفتح نجد بنجده ويكسر حزب الموحدين بأسبابه ووجدته والأسرار التي وصلت إليه من جده (سبحانك هذا بهتان عظيم) يشهد به كل ذي علم عايم وقلب على الحق مستقيم ، جهز عبد العزيز الشريف مع كثير من تلك الأجناد والأمم وعجلاه في المسير إلى نجد فسار إليها وأمّ ، واثالت أيضا إليه من الأعراب قبائل وأصبح كل سوادهم إليه نائل وأقبلوا بأجمعهم إليه عاجل وارتد كثير من أسلم لأجل ذلك القسيار والسير منهم حسين الدويش وعربان من مطير وتظاهر بأسباب الردة في كل بادية وبلدة خلق كثير لا يحصون ولا يعدون ولا يستقصون ، وبدأ للشرك دخان وضرام وعلا منه بالأفق قتام وجنح إلى الضلال بعد الإسلام من الناس فثام وتبين العناد جهرا والشقاق ونفق والله سوق النفاق بل نجم وقام على ساق ، ولكن والله الحمد لم يحصل لأهل ذلك مراد ولا اتفاق ، ولم يبد لشمس مطلوبهم إشراق ، بل شاهدوا من الهم والغم على نصرة الدين وأهله ما أوصل أرواحهم إلى التراق وأسقامهم من صرف الأسف والحسرة كأسا مريرة المذاق ، فلم يبرحوا حتى الساعة في قيد من البلا وأعلاق ، وأسر دائم وإفلاق حتى يكون من الثرى تحت أطباق ، فسار عبد العزيز الشريف مع تلك العربان وكافة الأعراب والبدوان وأكثر الأسلاف إذ ذاك معه قحطان فنزل سريعا على قصر في السر يقال له قصر بسام ولم يكن فيه إلا قريب العشرين من الأنام ، فأناخت تلك الجموع حوله وكان لهم عنده ضوضاة وعولة وأصوات وزعقات وجلبة هائلة وضجات ، وحملوا على ذلك القصر أعظم حملات وراموا الصعود إلى تلك الشرفات وراموا الأسباب والسلام والكل على التسور عازم ، فأبعدهم الله تعالى عنه وأزاحهم منه فصارت تلك الحملات عليهم خزيا ونقمات وأعقبتهم هوانا ومذلات ، فلم يدرك منهم فائدة ولم يحصل على مراد ولا عائدة ، فانصرف خاسئا ذليلا وأقام في أرض السر زمانا طويلا نحوا من أربعة شهور ينتظر من أخيه غالب الظهور وفي أثناء تلك المدة المذكورة والإقامة المسطورة عزم على الرجوع إلى ذلك القصر والعود فرجع إليه فلم ينل ما أمل من الربح والفود ، فلما نزل عليه وأناخ حواله عزم ، وآلى وأقسم بالله تعالى أن لا يبرح عنه حتى يقتل أهله ويخرجهم منه وعزم على ذلك الأمر وصمم على البين فجزم جميع من معه أنهم يستولونهم على يقين وينالون منهم التولى والتحكين ، فدهموا

بالسلام الجدار محتدين ولبس الدروع من يريد الصعود لأجل التخصين وأتوا ذلك اليوم بكيد أزعج الباب أهل الدين ورعبت قلوب الموحدين ولكن أراد الله لهم النصرة والتمكين وإعلاء كلمة المسلمين ونجاة عباده المؤمنين فظهرت حكمة رب العالمين وبان خزي المبطلين وتحقق حينئذ أهل الإيمان والإسلام أن جميع الأنام لا يقدرّون على إيجاد ذرة فضلا عن إيصال مضرة فزادهم إيماناً مع إيمانهم وأقرهم في أوطانهم ، وقد قتل من جماعة الشريف وقومه في المرة الأولى والثانية في يومه رجال كثيرة وصارت حاله في الذل شهيرة ، وفي أثناء تلك الليالي والأيام أمر عبد العزيز الإمام أهل الإيمان والإسلام أن يجردوا مواضي العزيمة ويصدقوا النية في الجهاد لدى العطايا الجسيمة فقد أقبلت إليكم الفتنة العظيمة والمحنة التي أرجو أن تكون لكم منحة عميمة وأرسل بهذا الإعلام والإخبار إلى المسلمين في جميع الديار وحثهم على سرعة الحجى والتسيار فأقبلوا بعد الجهاز إليه وأمر سعود بالظهور فظهر ونزلوا عليه وأقام سعود في أرض رحين عند البلدان حتى تلاحق به جميع أمداد أهل الإيمان ثم بعد ذلك أمر حسن بن مشاري مع بعض البادية أن يغزوا تلك العربان المعادية التي هي بالشر مبادية فنهضوا سراعا ، فلم يفجأ بعض العربان التي مع الشريف إلا بالخييل العادية ، فأخذوا بعض الإبل ورجعوا بعد حصول الأمل ، وفي تلك الأيام أرسل سعود حرس الله مجده وخلده معه نعيمشامع جمع من المسلمين إلى أهل الوادي ليكون أكثرهم عن الإسلام مرتدين وهم قوم حويل وجماهر ، وقد أرسل إليهم غالب الشريف بعض العساكر وأمر فيهم شريفا يسمى شاكر وكان أكبر تلك الأقوام بني هاجر ، فسار نعيمشامع لذلك السبيل ولم يكن له دون ربيع ومبارك من تأميل ولا مرام ولا تحصيل ، فأسرع بهم اللحاق وحصل بهما له الاتفاق واستضاءت بقدميه لأهل التوحيد تلك الآفاق فلما قدم تلك البلاد شمر مع ربيع ومبارك ومن معهما للجهاد فخرجوا إلى اللدام سائرين ولأهل الباطل المجتمعين فيه قاصدين ، وكان أهل الردة وجميع العسكر قد نزل حوله وعنده فقصدهم أهل الإسلام في بعض الأيام وجرى بينهم قتال والتحام والتهبت نار الطعان وثبت الله تعالى للمسلمين الجنان فشدوا على أهل العصيان فانهزموا ولم يبق منهم للجلاد اثنان وبادروا البلاد وقتل منهم ذلك اليوم عشرون في التعداد منهم من آل شري أربعة رجال وقتل من المسلمين ثلاثة ورجعوا بأحسن حال . ثم بعد ذلك وصدوره

بأمد غزا سعود بمن معه ونهد وجرد مرهف البأس على أولئك القوم وجرد فأوخذ وأعنق بذلك السير حتى أصبح أسلاف مطير عربان حسين الدويش الذين هم للحرب محد السنان وتريش ، فلم يرعهم إلا رجفة الأرض من منابك العراب والأسنة تلمع في ضياء الشمس مثل ضوء الشهاب والبواتر التي تبيض مثل البروق في خلل السحاب أو لمعات النار في الالتهاب فتلقتهم أولئك المطران وأقبلوا عليهم مجتمعين في قران كأنهم أجنحة النسور والغربان ، فرام أولئك العربان أن يسقوا عطاش المران من نحور أهل الإيمان ، فأبى الله أن يدنس واضح غررهم هوان أو ينال من ضررهم إنسان أو يصل إلى تلك النحور التي هي تمر لألفاظ القرآن من أيدي الأعداء سنان ، فأيدهم الله تعالى بعزه ونصره وخذل العداة بقدرته وقهره ، فقتل المسلمون منهم بوق العشرين وأخذوا بعض الإبل ورجعوا سالمين ولما جرى على عبد العزيز الشريف وقومه ما جرى من الذل والحزى بقي حائرا متندما متفكرا فلم يجد له الرأي ما ينتج له المراد إلا الكذب على أخيه غالب حتى يخرج من مكة إلى تلك البلاد فأرسل إليه الرسل أننا قد أدركنا الأمل وأنا أخذنا بلدانا فأنت أنت والأمداد على عجل فقد رعب أهل الوطن والمحل والكل قد جبن وذل فلما جاء ذلك الخبر بادر إلى ذلك وظهر فرجع والله الحمد بالذلة وصدر وناوأ المسلمين ونواهم بالفطية فما قدر وبذل وسار بمدافعه وقنابره وجاء والله بالكبر وأتى معه من الأسباب والآلات ما لا يؤمله البشر ولا تعبر تياره الفكر وكانت حاله لكل معبر عبرة من العبر وآية دالة على الوحدانية وصدق هذه الدعوة لكل من سمعها فضلا عمن شاهدها وحضر وبرهاننا لأنما لأهل التوحيد من يأتي بعد ومن غبر ودليلا فاضحا لأهل الضلال والزيف والغير فسبحان من حجب عقول من شاء عما أبدى من الآيات وأنشأ وطبع على قلوب الضالة عن إدراك المعرفة له وقذفها في مهواة الدرك الأسفل من الدرك وألقاها تعاني فيه ما أعده لها وأودعها فيه وترك وأخذ بمن أحب ذات اليمين فاختر كل منهم ذلك الطريق ومسلك . اللهم لاتهاكنا فيمن هلك واجعلنا بمن دان نفسه وقرنها وملك واجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وفلك . وكان خروج غالب في شهر رمضان الذي فيه تغلق أبواب النيران ؛ فلما خرج غالب ظعن عبد العزيز ومن معه من أرض السر وارتحل حتى وافى أخاه غالبا على الشعري فاجتمع معه ونزل واستقر بهم القرار

في تلك الأرض وكل يوم يصدر منهم إلى تلك القرية نهض ويجري منهم بأس وشدة واصطلام وحدة وسفط للأعمار وعرض، وقد عزموا على استئصال أولئك الأنام وثلم الدين والإسلام ولم يخشوا قبيح الآثام يوم الوقوف والعرض، كيف لا وأكثر البوادي به لا يصدقون (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وأقام غالب وجموعه وجنوده وكل يوم تزجي سحب العذاب على تلك القرية رعوده ويهددهم بالاستئصال والإهلاك وعوده وأسبابه وآلاته وكيدته على مصداق قوله شهوده ويقسم بالله العظيم الواجب وجوده لا تفارق نجدا حتى تدمرها عساكره وراياته وبنوده ويتم له مراده وسؤله ومقصوده، فأبى الله إلا أن يدوم عليه حزنه ونكوده ويشمت بهوانه وذله وخزيه عدوه وحسوده ويتألم لما ناله محبه وودوده، فرجع لله الحمد ذليلا متندما هو وقروده وعادت سنابير أشباله وأسوده وأرضت أرانب قفر وبنغات نسوره وفهوده فتبارك الذي بيده الآيات البينات ويرفع الأعلام على انفراده بالألوهية والعبادات ويأبى أهل الزيغ والضلالات إلا إصرارا ونفورا، صرف سبحانه الأحكام للناس وبين، وصرف قلوب أعدائه عن الهدى لما تبين، وأبدع الأرض وما فيها والسموات وحفظها وزين (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) ولما انصرف الشريف غالب مرعوبا غير مدرك لما هو طالب بل مقتول من جنوده كثير من الرجال مشئت الفكر مكدر البال وجاء الخبر سعودا عن رحيله وانصرافه أمر محمد بن معقل مع بعض من المسلمين أن يتبع أثره ويغير عليه من خلافه، فبادر محمد لما أمر وجد في ذلك الأثر فأغار على فريق من قحطان فأخذ عليهم إبلا كثيرة ففزع عليهم منهم فرسان وجالدوا لردّها فلم يقضه الله لهم فما كان وأخذ من الأفزاع خمسة عشر فرسا بخيعة كريمة ورجع بأوفر غنيمة، وفيها غزا سعود أدام الله تعالى له بالتمكين والسعود فسار بالمسلمين وأدج في ذلك السير يريد شمر وعربان مطير ولم يبرح يجد في مسيره وينتضى فيه عزمًا ويجرد له همة وحزما حتى أدركهم عند جبل سامى ولم يفهموا عن مجيئه خبرا ولا علما، فأناخ في ذلك المكان عند ماء يقال له العدو وكان عنده عربان يدعون البراعة والعبات قد نزوا حذوه، فلما قضى من الصلاة شأنه ودعا الله أن ينزل عليه نصره وسكينته ويثبت جنانه وأن يذل ويهزم بحوله وقوته عدوانه وصبح أولئك الأسلاف والعربان وشتت خيله أرة على البدوان، فعند ذلك نهض أولئك المردة العتاة الأباليس وكلهم ما بين معلم ومقلص

وشاكي السلاح ملاييس ورئيسهم ذلك اليوم حصان إبليس ، فطاعنوا حتى وهنوا وشاهدوا من الأهوال ما اختاروا عنده الذل وركنوا وجدوا في الدفع عن الأعمار والأموال والظعن ، وبذلوا في ذلك من البأس ما لم يبذله أحد من الناس في سابق الزمن حتى كتب الله تعالى عليهم ما كتبه على ذوى الضلال والفتن وأجرى للموحدين عليهم ما أجرى على إخوانهم من ذلك السنن فشمروا في الانهزام والفرار وجسدوا في الادبار والانكسار وكان للموحدين عليهم الدولة والانتصار فمنح الله تعالى المسلمين جميع أموال الكفار واستولوا على تلك الأمتعة والأثاث والغنم والإبل وقتل حصان إبليس وولده ولكنه ركب غيره فمأذل ولا انخذل بل أخذ يركب العقول ويملأ قلوب الفحول فضلا عن صهوات الخيول وقتل أيضا منهم أبو هلبية وغيرهم رجال وانهزموا بأقبح حال ، ولما قطع الله تعالى وصلهم وجذ حبلهم وشتت شملهم تفرقت تلك البوادي والفرسان تندب من حولهم من العربان وتخبرهم بما صدروا كان ، وكانت تلك البوادي ترعى الغنم وقسيم البهم في فياض أراضى سلماء ، وتحسب أنها تنال بذلك أمنا وسلماء ، وترد على رغم العداة زلال ذلك الماء ، وقد أغراها الشيطان في نفسها وأغواها وزين لها أن ليس أحد يرومها ويقواها فضلا عن كونه يود مصادمتها ويهواها حتى أورها من الهلاك مهواها وحينئذ وقف عليهم وناداهم بدعواها هذا جزاء الخواة ومشواها إنها تهلك النفوس بطغواها ، فلما جاءتهم الأخبار من أولئك الأشرار بشرح حال تلك الواقعة جرعتهم كئوس السم الناقعة وكانت ألبابهم منها نادة فاقعة فتداعوا إلى النصره أفواجا وملئوا لها مهامه وفجأها وهيئوا لها سببا ومنهاجا وانضم إليه ممن حولهم كل ذى عمود وكان إلى تلبية الداعى إجابة وعمود ومبادرة للإغاة ونهود واجتماع على ذلك الباطل وشهود وعقود ، وإحكام الثبات وعدم الفرار بأوثق العهود ، فأقبل كل منهم يولى على عدم التولى وبذل المجهود وجاءوا بالنساء والأطفال والمطافيل والآبال وجميع الغنم والأموال حتى يصدقوا البأس ولا يكون عنها صدور ، فأوردتهم ذلك البغى الطريق المسدود والذل الذى كان لهم إلى حياضه ورود ونال المسلمون بذلك الأمر المحمود ، فحين أقبلوا على المسلمين يزحفون وهم على ذلك الماء أجمعون تأهبت للقائهم الفرسان واستعدت لطحانهم الشجعان والكل صدق ذلك اليوم من أهل الإيمان فلم يستتر بالذل والجبن منهم إنسان سوى بعض فرسان من البدوان ، وكان

ورودهم على المسلمين مساء قبل الغروب وقد أبرموا الحيلة فيه فقالوا ندهمهم قرب الليل فإن كان منهم الهروب اشتفت منهم القلوب وحصل لنا المني والمطلوب وإن كان الفرار منا كان الليل منجاة للمطلوب فلا يدرك الطالب منه مرامه ويجد السير والسرى والليل أمامه وقد نشر على السارى أعلامه ويعمى أثره وأعلامه فحملوا على أهل التوحيد حملة ليس وراءها مزيد وقد زين لهم إبليس أن يجعلوا الإبل لهم عن الرصاص منتريس، فساقوها أمامهم وصبر المسلمون حتى قاربت خيامهم فحملوا بعد ذلك على من ساق تلك البهائم فهزموهم وصارت الإبل لهم غنائم وقتل من المشركين كثير في تلك الحملة منهم ابن الجربا من غير مهلة وأبرزت فرسان الكفر والإشراك من التهور في الشجاعة ما لم يصل إلى أدناه دراك ولم يذكر له نظير في العرب والآثراك ولكن تلقى الحملة بالصدور وسمحوا كما هو العادة بالأرواح والنحور وصدقوا في الاشتراء والابتياح وقالوا والله لانضيع ولا نضاع فأمسى كل منهم ببذل العمر مطواع وإلى الشهادة قلبه نزاع حتى حففهم مولاهم بوعدة ونال منهم غاية قصده وأنزل عليهم النصر والسكينة وكانت قلوبهم على الثبات راسخة رصينة وأجرى في أعدائه سنته وأجزل على المؤمنين فضله ومنته ، فانهزم أهل الضلال بعد ما أفرغوا الجهد والحال ( وما كان لهم من الله من وال ) وكان ظلام الليل في بدو وإقبال وولوا على أعقابهم في الأدبار وكان ضوء النهار في إدبار، وكان ذلك من نتائج الأفكار ولكن الله الكريم بفضله العميم أنال المسلمين من أموالهم ما لا يخطر على البال وأذاق الأعداء أليم الوبال، فشمرو المسلمون في أثرهم الأذيال بعد أداء المكتوبات من غير استعجال وتناول بلغة من الزاد على إمهال، واستمر الطلب في أثرهم أياما وليال والمسلمون في أثرهم مجدون حتى تركوا أغلب الأموال وهربوا بالنفوس يسرعون فتراجع حينئذ المسلمون عنهم وجمعوا جميع ما حووا منهم من الخيل والأمتعة والغنم ما لا يكاد يحصل مثله ويغنم فالذى اجتمع عند المسلمين من الإبل يزيد على ستة آلاف ومن الغنم فوق مائة ألف بلا منازعة ولا خلاف ولا غلو في القول ولا إسراف سوى مامات في القلاة ، فلم يكن إليه التفات ورجع المسلمون بالعز والإقبال وباء أهل الضلال بالإذلال وقتل منهم بعض رجالهم منهم مسلط بن مطلق الجربى الذى زاد في الشر وأربى .

ثم دخلت السنة السادسة بعد المائتين والألف. وفيها غزا سعود لازال إلى المعالي

في صعود فسار بالمسلمين يريد القطيف وبلدانها حين أراد الله تعالى ذلها وهوانها وأن يدمر أهلها وسكانها ويمزق منها أصنامها وأوثانها ويخزي أربابها وأعوانها. فسار في ذلك مجداً ولبغتهم مستعداً ، فلم يستكمل الليل راحة وإناخة حتى كان الحظ مراحمه ومناخه ، فأمست رواحله به مناخه وحطت خيله وفرسانه فيه يمينا ويسارا وخطر خطيه في فناءه تبخترا وافتخارا وسابق النصر الاقبال إليه وجارى ، وألفى جميع تلك القرى بلا شك ولا امتراء قوما فجارا قد خلعوا من أعناقهم شعار الحنيفية وحملوها آصارا وخرقوا الملة السنية فنالوا به أوزارا وأطفئوا مصابيحها السنية ورفعوا لارفض منارا وأقبلوا على عبادة آلهتهم ليلا ونهارا وزادوا في ذلك غلوا وعلوا واستكبارا ، ولقد جاءتهم النصائح فأعرضوا عنها ازورارا ( وقالوا لا تذرنا آلهتكم ) وأصروا عليها إصرارا وبارزوا في ذلك إعلانا وإصرارا من أحاط بالأشياء علما خفية وجهارا واستمرت جياده تجول وتبارى حتى عرف قصده وحققه معرفة واختبارا فأحاطوا بسيئات بعد ما تلاً الأضواء وزاد إسفاراً وكبروا في نواحها إعظاماً لله وإكباراً فملئت قلوب أهل الضلال حين شاهدوا ذلك الحال ورأوا ذلك القتال مهابة واندعارا وصبروا ساعة تجلدا واصطبارا وهموا أن يحفظوا جوانب البلد فلا يهتك المسلمون منها دارا ، فأرغم الله تعالى أنوفهم وعجل لهم هلاكاً ودماراً فتسورها المسلمون وهجموا فيها زمرا وأقطارا وقتلوا من فيها فلم يجدوا لهم من آلهتهم أنصاراً وأسقتهم قواضب الموحدين وأسنة المسلمين كؤوس الردى فنالوا هواناً وخساراً وشربوا منها عبيطاً يزيد احمراراً فقتل منهم ذلك اليوم خمسة عشر مائة إقلالا وإكثاراً واستولوا على جميع ما فيها من الأموال التي لاتعد ولا توصف ولا تحصى استعظاماً واستكثاراً ، ثم قصد المسلمون القديح فمقدحت فيه زنادهم فأورت نارا ودهمهم المسلمون فأشعلوا فيها للموت نارا واستولوا على ما فيها من الأموال التي لاتماثل ولا تبارى ، فعند ذلك أيدت بلدان القطيف جفلة وهزيمة وانكساراً ، فاستولى المسلمون على العوامية وعنك وغيرهما لما أخرجوا أهلهم وعمدوا إلى الفريضة وراموا بها حصاراً ، فأحاط بها المسلمون ودعوههم إلى الاسلام فأبوا إلا كفورا ونفارا وأقاموا أياما يقيسون ذلة وجهدا واحتصارا حتى بذلوا للمسلمين ثلاثة آلاف زر فقبلوا ذلك وعجلوا بها إحضارا ولما أزال المسلمون ما فيها من الأوثان ، ومعبودات الشيطان وكنائس الرفض والطغيان فأصبح أهلها عليها حصاراً وأحرقوا



تلك الكتب القيحة بعدما جمعوا منها أحمالا وأوقارا ارتحلوا إلى تلك الأوطان في غاية من السرور والتهان وقد حازوا أجرا ونخارا . وفيها توفي شيخ الإسلام والأئمة الأعلام المتبحر في العلوم النافعة المفيدة والمعاني التي لم تبرزها سوى فكرته المجيدة ذو الفكر الوقاد والدهن المنقاد الغائص على درر التوحيد في قعر البحور الفائق جواهره الأصداف حتى زين بها النحور المستنبط من كتاب الله تعالى ما يقصر عنه بعضه الفهم ولا يقدر على إبراز شذرة منه ذوو التدقيق في العلم المتفنن في فهم القرآن والاستنباط فلا يقاس قعر تبوئه ولا يغاص ولا يحاط ، المنفرد في نشر أعلام التوحيد القائم فيها لله تعالى بالتجريد المؤيد فيها بالإعانة من الحميد المجيد المسدد فيما يبدى من الدقائق ويعيد المنصور من الله تعالى على كل جبار عنيد وعالم ضال مضل مر الذي بهر علمه حين ظهر وشاع صوت فضله واشتهر وطبق أطباق الأرض صا وانتشر قامع أهل الشرك والضلال وراوع ذوى الزيغ والضلال معز أهل الله والإخلاص والجمع ومذل ذوى الإلحاد والأهواء والبدع من أصبح محيا الدين وأضحى منيرا وظلام الضلال متقشعا مستطيرا وثغر الحق متبسما تبجحا وتبشيرا وأصبه به السمحاء مرفوعة العماد ثابتة الأطناب والأوتاد قائمة على نهجها في البادية واليه يؤمها الحاضر منهم والباد، فأرشد الله تعالى بدعوته كثيرا من العباد وهلك من أالله عليه ذلك فأعرض وناد، فلم يحضر للدعوة ناد، المقيم من السنة لاحبا ونهجها المقرب منها مائلها ومعوجها، ناهج منهج الصواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب طيب الله وجعل الجنة مثواه، فلما أراد الله تعالى أن يصب سحاب الرحمة عليه ويوصل تمام جوده وإحسانه إليه ويدنيه من حضرته ويقربه لديه اختار له منزلة الدنوة من الحضرة . يوفيه بفضل أجره ويعجو عنه ازره ، وكان ابتداء المرض به رحمه الله تعالى في شهر ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفاته والانتقال ، فنقله الله إلى جواره وحض وقربه إلى حظيرة قدسه وجنته وأدناه إلى دار رضوانه وكرامته ومحل تفضله وإحسانه ومبرته وكانت حاله من العبادة في الصلاة والصيام مشهورة بين الأنام لا يزال القرآن في دجا الظلام ودأبه إحياء غالب الليل بالقيام والتأني والتثبت في تنفيذ الأحكام حتى يتيقن ذلك ويحكمه أحكام، لا يميله الهوى عن الشرع ولا يصدده ولا تلهي على ضده عداوة ولا ترده بل يحكم بما ترجح له وجه صوابه وتبين له فصل خ

كتب الأئمة الأربعة المقلدة في ذلك المتبعة لا يعدل إن لم يجد نصا من كتاب الله  
 نبيه صلى الله عليه وسلم إلا إليها ، ولا يعول إن لم يلف قاطعا إلا عليها بعد  
 مة والتحقيق للنص وشدة البحث والكشف عن معارض والفحص . وكان رحمه  
 الى وأفاض عليه سحب غفرانه ووالى هو الذى إليه بيت المال يجي ويدفع إليه ذلك  
 من جميع بلدان المسلمين ويفرقه عليهم أجمعين ، وكان على حالة رضية وطريقة من  
 مرضية ، وكان عن ذلك المال متكففا وعن كثرة الأكل منه متعففا بل يعجله  
 ما ومصرفا ولا يأكل منه إلا بالمعروف وليس أحد عنه من ذوى الفقر مصروف  
 سمحاجوا اذا كريما لا يلفى عنده المال مقبلا ، وكان لا يرد السؤال إما أثاب عاجلا  
 بد حال فيرجع سائله بنجح الآمال . وتوفى رحمه الله ولم يخلف دينارا ولا درهم  
 نزع بين ورثته مال ولم يقسم ، بل كان عليه دين كثير فأوفى الله عنه الجليل  
 بر . وقال المصنف يرثيه :

الله في كشف الشدائد نفع	وليس إلى غير المهيمن مفع
نكسفت شمس المعارف والهدى	فسالت دماء في الحدود وأدمع
م أصيب الناس طرا بفقده	وطاف بهم خطب من البين موجه
لملم أرجاء البلاد لموته	وجل بهم كرب من الحزن مقطع
ب هوى من أفقه وسماؤه	ونجم ثوى في الترب واره بلقع
وكب سعد مستنير سناؤه	وبدر له في منزل اليمن مطلع
بح تبدى الأنام ضياؤه	فداجى الدياجى بعده متقشع
غاص بحر العلم والفهم والندى	وقد كانت فيه للبرية مرتع
م جلا عنهم صدا الرين فاهتدوا	فأسماعهم للحق تصغى وتسمع
م ذوو فقر وجهد وفاقة	حزوا واقتنوا ما فيه للعيش مطمع
د رفع المولى به رتبة الهدى	بوقت به يعلى الضلال ويرفع
له من لمعة الحق لمحة	أزيل بها عنه حجاب وبرقع
ه نعيم الفهم مولاه فارتوى	وعام بتيار المعارف يقطع
يا به التوحيد بعد اندراسه	وأقوى به من مظلم الشرك مهيع
ار صبح الحق باد سناؤها	ومصباحه عال ورياء ضيع

سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها  
وشمر في منهاج سنة أحمد  
وينفي الأعادي عن حماه وسوحه  
ينظر بالآيات والسنة التي  
فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها  
وعاد به نهج الغواية طامسا  
وجرت به نجد ذيول افتخارها  
فآثاره فيها سوام سوافر  
لقد وجد الإسلام يوم فراقه  
وطاشت أولو الأحلام والفضل والنهى  
وطارت قلوب المسلمين يومه  
فضجوا جميعا بالبكاء تأسفا  
وفاضت عيون وأستهلت مدامع  
بكته ذوو الحاجات يوم فراقه  
فمالى أرى الأبصار قلص دمعها  
ومالى أرى الأبواب تبدى قساوة  
لقد غدرت عين تزن بمائها  
يحق لأرواح المحبين أن ترى  
وتتلو سريرا فوقة قر الهدى  
فما بالها قرت بأشباح أهالها  
فيالك من قبر حوى الزهد والتقى  
لئن كان في الدنيا له القبر موضع  
سقا قبره من هائل العفو ديمة  
وأسكنه بحبوحة الفوز والرضى

سواه ولا حاذى فناها صميدع  
يشيد ويحي ما تعنى ويرفع  
ويدمغ أرباب الضلال ويدفع  
أمرنا إليها في التنازع نرجع  
وأسمى محياها يضىء ويلمع  
وقد كان مسلوكا به الناس تربع  
وحق لها بالألمى ترفع  
وأنواره فيها تضيء وتسطع  
مصابا خشينا بعده يتصدع  
وكادت له الأرواح ترى وتتبع  
وظنوا به أن القيامة تفرع  
وكادت قلوب بعده تتفجع  
يخالطها مزج من الدم يجمع  
وأهل الهدى والحق والدين أجمع  
وليست على فقدها تهمة وتدمع  
وليست على ذكره يوما توجع  
عليه وكبد قد أبت لا تقطع  
مقبوضة لما خلت منه أربع  
وشمس المعالي والعلوم تشيع  
ولم تك في يوم الوداع تودع  
وحل به طود من العلم محرع  
فيوم الجزا يرجى له الخلد موضع  
وباكره سحب من البر همع  
ولا زال بالرضوان فيها يمتع

وفيهما غزا سعود أدام الله تعالى له السمو والصعود فسار بالمسلمين يطوى المهامه ويتحمل في ذاك المشاق والمكاره وينضى الاجسام والقلوب في قطع تلك المفاوز والدروب حتى وطأ يمين اليمن أرض الحروب فشرب هو وجنوده من الحناكية نوى وارتوى فعزم أن يصبح حرباً ومطيراً على الشقرة ونوى فما أقام بعد ذلك ولا نوى بل سار حين ألفتهم منه العيون وذكروا أنهم كلهم على الماء يسقون وأنهم عنه منهزمون وقد ظنوا أن المسلمين لهم لا يطلبون فلم يتم لهم على ماء الشقرة شرب ولا ورود إلا والمسلمون من عليهم نهود فيكلّ فر بنفسه يجود ولم يستطع الوقوف فضلاً عن القعود فهزمهم الله تعالى بالذل والإرعاب فشمروا للهروب بين تلك الشعاب وكان المسلمين خلفهم طلاب فشدوا في أثرهم بالسير والذهاب فلم يبرحوا عنهم ولم ينفصلوا منهم حتى صاروا شذر مذر وتوعدوا الريعان والحجر وتجللوا صلد ذلك المدر فرجع عنهم المسلمون وشرعوا فيما منحهم الله يجمعون وغنموا غنيمة عظيمة وكانت على المشركين أخزى هزيمة وأخذوا ثلاثين من الخيل وحازوا مجداً وغنماً ونالوا مع ذلك أجراً واجتمع من الإبل في تلك الغنيمة ثلاث آلاف فقسمت على التسوية والإنصاف وقتل من أهل الضلال بعض من الرجال ورجع المسلمون بنيل الآمال في أحسن حال وأنعم قلب وبال رغماً على أنوف أناس من ذوى الشر والإبلاس الذين زين لهم إبليس أعمالهم وزخرف لهم أفعالهم وأحوالهم وأحال عليهم غرورهم وأوحى لهم فطنوا أن الطريق الذى عليه الموحدون ضلالة وحمق وبدعة وجهالة وسفاهة محققة مفهومة ووسوسة عند العقلاء معلومة وبالحروج موسومة وستموت بعد موت صاحبها وينطفى منير منهاجها ولاحها ويندم حينئذ قلب طالبها فلا تلقى لها من الناس داعياً ولا تجد بعده سامعاً ولا واعياً فأبطل الله تعالى فاسد تلك الدعوى وأخزى ذوى النفاق والأهوا وألقاهم بقدرته في القعر الأهوى وطبع على قلوبهم بطابع البلوى وأعطى أهل الإسلام الغاية القصوى. وفيها غزا هادى بن قرملة مع جمع كثير العدد وليس معهم غير البدو أحد جدد في سيره ذلك واجتهد مع أولئك الأعراب حتى وافق مطير على ماء الحناجج في ذلك الطلاب فصباحهم على ذلك الماء المورود فالتقته فرسانهم فبذلوا في الذب المجهود فاجتلدوا ساعة حتى من الله الودود بالنصر على المسلمين فأصبح كل من ذوى الشر مشرود وأخذ المسلمون ثلاثة آلاف بعير وفاءوا بأحسن بشير .

ثم دخلت السنة السابعة بعد المائتين والألف وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بأهل

الخرج والفرع وأناس من البدوان فشمروا لقصدته وابتدروا حتى بدت له أعلام قطر فأغار على من بدا منهم وظهر فأخذ ما معهم من غنم وركاب بعد مجالدة وضراب وصدر إلى وطنه وبلاده بعد نيل مراده . وفيها غزا سعود سلك الله به مناهج السعود فسار بالمسلمين يريد بني خالد وكانوا مجتمعين فشمروا في ذلك وجد السير والسرى ولم يكن عنده خبر بما قدر الله لأولئك الورى من ظهور براك وجماعته، وكان ذلك بعد قتل أبيه ورياسته في بني خالد والحسا وولايته وأخذته لفرقان من سبيع وغيرهم واعتدائه عليهم وغارته ؛ فلما توسط المسلمون تلك الفجاج وتسمنوا ذروة ذلك المنهاج ورأوا ما بذلك العربان من الاندثار والانزعاج علموا عند ذلك خبره وفهموا غارته وضرره ، فأحضر سعود غزاة الإسلام ونشر لهم تلك الأعلام وطلب منهم المشورة والإفهام وما يترجح عندهم من المرام هل يقتفى أثر هؤلاء الأقوام أو يقصد أهلهم ومحلمهم فليس عندهم من يحول دونه من الأنام فأشاروا عليه بعد الاستشارة والأفهام أن يعمدوا إلى أهلهم عاجلا فيصبحهم ويرجع آملا فذلك لدينا أولى وأرجح وأسرع للمراد وأصلح فأبى ما دعوا إليه وقال : إن الأولى والأصلح مصادمة هؤلاء الأشرار فهو إنكاء لهم وأسد في الرأي والأفكار وصمم على ذلك الشأن بعزم مرهف وحزم باتر وسنان فلم يثنه عن ذلك رأى إنسان وكان ذلك توفيقا من الله وإحسان ؛ فنهض بعد فكرته في حينه وساعته بعد سؤاله مولاه واستخارته وجد في السير عازما والملاقاة رأما وقال بعد رفعه أ كفف السؤال بخضوع وإذلال : يا من لا تخفى عليه خافية في السر والعلانية مكننا من هؤلاء واجعل منايهم دانية واجعلهم خيرا بعدعين وأدر عليهم دائرة البلاء والحين ، فعجل مولاه له الإجابة وأدرك منه ثأره وطلابه ، فلما وصل إلى ماء اللصافة وقد انجلى عن من معه الوجل والإخافة نزل بها يرصد من أولئك القدوم ويتحرى لهم كل ساعة الهجوم حتى أُنجح الله تعالى مراده، وجاءه بشير السعادة : قم إلى السعد والإسعاد، فقد تبدى لك كوكب المدد والإمداد وأشرق عينك في الآفاق والألاء حظك في الإشراق ولن ترى لأعدائك من باق ، فنهض مسرعا لذلك النداء فإذا المراد قد طلع وبدا فأسرعت من قومه خيل العرب البادية فناوشهم الطعان الفرسان العادية وظنوا أن هذا غزو لبعض البدوان فطمعوا عند ذلك في الطعان وراموا أن يدركوا منه أسباب التهان، فأبى الله تعالى عليهم إلا تشتيتهم في البلدان ؛ فلما تناشبت القواضب والحراب وتلاحمت فرسان الأعراب طلع عليهم علم الإسلام وأظلمهم من الحمام

غمام وأمطرت عليهم من العذاب سحائب وجرعتهم من كؤوس الردى مصائب وحلت بهم خطوب ونوائب واستقلت عليهم كروب غرائب وسدت عليهم مناهج المطالب وأبدى الله تعالى فيهم أمورا عجائب وصار كل منهم للنجاة طالب وفي سلامة عمره راغب وعن حومة الوغى هارب، فأخذ المسلمون يقتلون فيهم قتلا ذريعا حتى قتلوا منهم ذلك اليوم ستمائة سريعا وأخذوا ما معهم من خيل وركاب وجدوا في أثرهم الطلاب وهم يأخذون فيهم ويقتلون والمسلمون لهم مقتفون ، والذي غنمه المسلمون من الخيل مائتان مختلفة النوع والألوان، وفي تلك الأيام أغار من آل ظفير أقوام وأناس من الحجاز لم يدركوا سعودا فصار لهم إلى بنى خالد انتهاز فصبحوا أهلهم وأخذوا كثيرا من الإبل وحووا غالب المحل وجرى بينهم قتال فرجع أهل الغارة على عجل وقد فازوا بالأمل ، ولما فرغ شأن أهل الشيط وانقضى سار سعود يريد الحسا ومضى وأرسل غنما أبا العلا ومهوس بن شقير إلى من في الحسا من الملا وكتب معهما كتباً يدعوهم إلى الدخول في دائرة الأمان ويطلب منهم الاسلام والإيمان ويرغبهم في الانقياد والاستسلام لدعوة الملك العلام ويحث على ذلك جميع أولئك الأنام ويحذرهم الصد والإعراض فكان أغلبهم ذلك اليوم به راض وكانوا إلى الإجابة في مبادرة وانهاض بل لم يحصل منهم تردد ولا ارتياض فأجابوا جميعا أولئك الدعاة وكل أطاع بذلك وأحاط به علما ورعاه ، وأسرعوا إلى خط الكتاب وقد بينوا فيه غاية الطاعة وعدم الارتياح ولم يدخل قلوبهم إذ ذاك ارتياح ولا اضطراب وحثوا سعودا على القدوم إلى البلاد حتى يبايعه أولئك العباد ويمهدهم أحسن المهاد ، ولما أرسل سعود غنما ومهوسا إلى الحسا أرسل بعدهم سعود بن غيث مع ركب من المسلمين وأمرهم أن يكونوا في طريق الحساء مكنين حتى يكونوا لمن أراد الهروب مدركين ، فلما قدموا ذلك المحل وافقوا غزوا لأهل عمان قد جدوا في الهروب على عجل فقتلوهم وكانوا يزيدون على مائة رجل وأخذوا ما معهم من الخيل والابل ، فلما قدم إلى سعود الكتاب والرسل تم له السرور وحصل وأقبل إليهم تلك الأيام بعد ذلك الانتظام وكان قدوم الرسل في وسط شعبان وقدوم سعود أول رمضان ، فلما قارب القدوم والوصول كان لكثير من أهل الحساء إلى ملاقاته حصول وإسراع إلى رؤيته محبة له وقبول ، فنزل قرب عين نجم وطلع لسعوده في أفقها نجم وخرج إليه جميع أهل البلاد وعاهدوه على الاسلام

بالانقياد والاعتصام بحبل الله والقيام على أعداء الله وأحكموا عقود الالتزام بجميع الشرائع والأحكام والاهتمام بها أوفر اهتمام وأقال أولئك الأنام من الجهاد أعوام ترغيبا لهم في البقاء على الإسلام وتأليفا لأولئك الأقوام فأبوا إلا الدل والصغار حين أراد الله تعالى لهم الهلاك والدمار؛ ولما أخذ منهم أوثق العهود وأحكم عليهم في البيعة العقود وقلد بالبيعة رقابهم وعرف حالهم ومآبهم وأنهم قد طوقوا بها الأجياد ولم يدر أنهم من الخيانة على ميعاد شرع فيما يطلب به شرعا وألقى في إنجازهم بصرا وممعا، فأمر بجميع ما فيها من المعبدات والقبب والقبور التي يستغاث بها وتدعى وتندب أن يزال ما فيها من المحظور وأن يسلك بها سنة القبور وأن تستوى على المنهج المشهور وأن لا يصرف إليها نذور وأمر بهدم ما فيها من كنائس الرفض والبدع فالتزم أهلها الصلوات الخمس والجمع، وبعثت أماكن الزبيغ والأهواء والضلال ومعتقدات ذوى السفاهة والاعتزال وذوى الضلالة والإضلال وأمر بإقامة شرائع التوحيد والاسلام وإبطال ما خالف الشرع من الأحكام، وبالمواظبة على إظهار الصلوات في المساجد ومعاقبة كل متخلف عنها معاند وقتل كل منكر جاحد، ونادى على أنواع الربا بالإبطال فلا يسعى في أسبابها ولا ينال وإفساد كل حيلة داعية إليه أو طريقة هادية عليه، فأضحى أهل العقود الفاسدة والحيل وذوو العقول القاصرة التي لم تدرك المعرفة ولم تنل يتحسرون على مذاهبهم الأول وذهاب أهل تلك الدول، وأمر بالتدريس في جميع الأربعة المذاهب وتأييد كل سالك إليها وذهاب، وتعليم العلم ونشره وإحيائه بالانذار فيه وذكره والتجرد والتجريد في تفهم التوحيد، فقاموا فيه بعد ما قعدوا وشمروا في العلوم واجتهدوا وأقر الأئمة في مساجدها وأكل حاصلها وفوائدها، وقرر العلماء في المدارس فأصبح كل في كتب مذهبه دارس، فلم يكن منهجها مطموسا ولا دارس وأقر الأحباس والسبل، فلم يصل إلى أربابها خلل، وأبطل جميع أوقات الرفضة وعطل ذلك الطريق وهجر كل واحد من أربابه ورفضه، وأبطل جميع أنواع المظالم، وعفى أثر المغارم فكسد سوق الأخماس وعطلت العشور والأمكاس فاستقامت الحنيفية السمحاء على المنهاج وزال ما بها من الاعوجاج، فأسفر وجه الحق بعد ظلامه وتقشع منه كثيف قتامة وانجلي عن بدر السنة متراكم غمامه فأضاء نوره وأسفر واستكمل التمام بعد ما أقر فصاحت حمائم النصر بألحانها وصدعت بنغمات العز على أفنانها



تغنت في روح الأنس على أشجارها بأفنانها مذكرة بالشكر والحمد لأهل الحسا  
 سكانها بإزالة المحذور وحلول التوحيد في أوطانها . ولما أفرغ جهده في مهد سنين  
 لحق والهدى ومحق مناهج الضلال والردى وفرغ من إثماله وأسباب أعماله وتم  
 ، في ذلك المراد وعزم أن يرحل عن تلك البلاد ، فأشار عليه كثير من أهل البلدان  
 ن يبني له حصنا وجداً كل منهم في ذلك واجتهد ، وأتوا إليه مرارا عديدة فكانت  
 قوالهم عنده غير راجحة ولا مسددة ومشورتهم غير مفيدة واستعانوا عليه بجماعة  
 من قومه من ذوى الشأن على إنجاح ذلك البنيان وتعجيله لهم في ذلك الزمان ؛ فلما  
 لم يجد بدا من ذلك سمح لهم باللسان وأشار بأن يكون موضعه فيما يصلح له من المكان ،  
 فاجتمع الرأى والنظر والمشورة والفكر على أن ليس له مكان يصلح ويليق سوى  
 بيوت آل حميد وما حولها من الفريق فطاع بذلك ودان وهدمت تلك البيوت  
 في ذلك الأوان وكل بيت ليس بيت مال واحتيج إليه أمر أن تدفع إلى ربه قيمته  
 كاملة وتحضر لديه فلا يضيع ملكه عليه وحث على ذلك قيمه وأوصاه وحذره شؤم  
 العاقبة إن خالف أمره وتعداه ، وشرع أهل ذلك الوطن والمحل في إحكام ذلك البناء  
 والعمل ، فلم يرد إتمامه عز وجل . ثم ظعن سعود حرسه الله تعالى عن مكانه وارتحل  
 وقصد قرية أنطاع من القرى ونزل ولما أراد الله تعالى الذل والهوان بأهل ذلك  
 المكان وحكم عز وجل بدمار ذلك المحل وأن تكون العزة لله ولرسوله والمؤمنين  
 والذلة لأهل الإلحاد والمبطلين فتح لجميع الضلال والغواة أن يدعوا مسلك الفوز  
 والنجاة ويلوذوا إلى مناهج البغاة ويحنجوا إلى ظلم تلك الظلالات ويقتلوا أولئك  
 القوم الهداة والجماعة الذين هم للتوحيد دعاة ويسقوهم صرف الحمام والردى ويطمسوا  
 بعد ذلك منار الحق والهدى ويعلنوا بأمور الفسق والردى ، ويحسبون أن الله تعالى  
 يتركهم سدى ، كلا وعزته لا يفوته من بغى واعتدى فسعى في نسج برود الإثم  
 والأوزار وهيئوا لها أردية وإزار ، وقام في ذلك الأثر والآثام أناس كثيرة وأقوام  
 ينسبون إلى الكرم والإكرام وأكثرهم فساق وطغام ورفضة وفجار وعوام ، منهم  
 محمد بن سعدون ومحمد بن عبدالعزيز ومن العتيبان مهيني بن عمران ، ومن أهل الهفوف  
 سعد آل ملحم وابن عفاف والحبابي وعلي بن أحمد وابن حبيل وصويلح النجار  
 فاجتمعوا في بعض ليالى تلك الأيام خارجين عن البلد والأنام حين استحکم دجى الظلام  
 ( ١١ - تاريخ نجد - ثان )

وأناخ بجرانه على العيون بالمنام، فتعاطوا بينهم مفاتيح الكلام، وتجارَت خيول أفكارهم في ميدان ذلك المرام، وتبارت في ذلك المضمار على الإنقاذ والإبرام ولكن لا يدرك ولا يرام إلا بعد المعاهدة والمعاقدة والانتظام، وتوثيق ذلك بالحلف والأقسام والتغليظ في ذلك والإعظام، فحكموا أمرهم بينهم وأبرموا غدرهم وشينهم ولفظوا بنقض العهود في ذلك الميعاد، وأجمعوا على نكث العقود في ذلك الإنقاذ، فأسرعوا بعاشر شوال يوم الجمعة في الارتداد وقتلوا كثيرا من أهل التوحيد والرشاد الذين مكثوا عندهم للتعليم والإرشاد. وتعاطى ذلك الأمر وباشره أهل الشر والفسق والفساد وغيرهم من ذوى الشقاق والعناد فأصبحوا وقد أشفوا من دماء المسلمين الفؤاد فأطفئوا بتلك الدماء المراقبة لواعج الحزن الذى أربى في الانتقاد وأوقره الأسف غاية الإيقاد، فباءوا بسخط رب العباد ودخلوا في دائرة أهل الإيعاد ومهدوا لأنفسهم من الملاك مهاد (إن ربك لبالمرصاد) فاستقلت عنهم حينئذ أظلة السعد والإسعاد وطوح بهم في خصلة الطرد والبعاد، فنالوا بعد ذلك أعظم الأنكاد، وقتل غالبهم بعد أمد من الآماد وجلا بقيتهم في كل البلاد فهم كل يوم في عناء وضنا وسقم ومقاساة هموم وأحقاد، ولا يزالون في مزيد وازدياد، وجرى ذلك اليوم بتلك الصيحة حين وقعت تلك الفتنة القبيحة في البلد ضجة هائلة عظيمة، وأظاتها حينئذ خطوب جسيمة وقتل ذلك اليوم عبد الله بن فاضل وحمد بن حسين وإبراهيم بن حسن بن عیدان وهؤلاء يعلمون الناس التوحيد في تلك الأوطان، وقتل أمير المرابطة محمد بن سليمان وقتل محمد الحملى الأمير وحسين أبو سبيت الوزير وسطا في ابن عياش ومبارك وأخيه شهيل وناجم ونهبوا بيت أبي سبيت والحملى، وأخذوا ما فيها من المال وباءوا بأقبح الأحوال. ثم بعد ذلك أمروا على مبارك بن خليفة وأخاه وصالح بن عياش وأخاه وأحمد بن هديب بأن يحسبوه من الطرف فأقاموا عندهم مدة، وكان جملة من قتل نحو الثلاثين، وقتل المهفوف عبد العزيز المني. ولما سمع محمد بن غشيان وكان أميرا على مرابطة من السكوت من أهل الإيمان أصوات الناس والضجة وذلك اللفظ والمعجة ركب خيلا مع قومه وابتدر الأصوات وكان مقبلا في بيت الباشات؛ فلما عرف الحال وتحققه وفهم أن الأمر قد عاجله وأرهقه قصد كويت الحصار وكان إذ ذاك لم يكمل له الأسوار فتحصن هو وقومه فيه عمن يريده ويؤذيه، وكان قد أخذ على

ركابه بعض الزاد لأجل التهيؤ في الحصار والاستعداد ، فأطبق خلفه تلك الأمم حين قصد ذلك القصر وأمّ ، وراموا له وقومه إدراكا ونظموا له عقودا وأسلاكاً ، وأسرعوا إليهم ونهّدوا وحاولوا في ذلك وجهدوا وحرصوا على ذلك وجردوا وأخزاهم الله تعالى فما ربحوا ولا سعدوا . ثم بعد ذلك بأيام اجتمع أهل الحسا في انتظام واتعدوا على السور أولئك الأقوام فخرجوا كأنهم جراد منتشر وقصدوا ذلك القصر ومن فيه من البشر وحاولوا فيه بأنواع من الضرر وجاءوا بأمور بعضها أدهش وحير الفكر وبهت العقول وبهر ، وأضحى كل من في ذلك القصر محاطاً به محتصر يحزم كل من شاهد تلك الحال أن أجلهم قد قرب واحتضر فأيدهم الله تعالى وثبتهم ونصر وخذل أعداءهم وأذلهم وقهر حتى إن محمد بن غشيان عدا عليهم في غفلة وقتل أربعة منهم وصدر ، وقتل منهم رجال كثيرة في تلك الأيام ممن قاتل وحصر ، فرجعوا خائبين ولم يكن لهم عليهم مقتدر ( ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر ) ولم يفيثوا إليه ولم يقبلوا عليه ولم يكن منهم مذكر ( حكمة بالغة فما تغني النذر ) وبقي ابن غشيان في ذلك القصر أياماً ولم يدرك منه تلك الأحزاب مراماً وثبت الله تعالى للمسلمين فيه أقداماً ، فلم يتيسر للأعداء عليهم فيه إقداماً ونالوا ذلاً وخزياً وهواناً وإحجاماً ، فكانت هذه الحال آية من الله تعالى وإعلاماً يزيد الموحدين في الله إعظماً ، ولما قل الزاد وطال الحصار والجهاد ولم يبق عند محمد وقومه شيء من الطعام ولا رهبة يقاتل بها تلك الأقوام خرج ليلا ونارا وسلك سبيل الفرار وخرج من الحصار وجد في السير والذهاب ، ولم يكن لهم إليه طلاب فشمر إلى إخوانه وبلده وأوطانه .

ولما خرج ابن غشيان وافاه غزو المسلمين من العتبان فرجع ومن معه معهم وصبحوا قرية الشعبة وهجموا عليهم بين الدور ووقع القتال في تلك القصور وقتلوا منهم رجالاً وأخذوا منها حيوانات وأموالاً ورجعوا سالمين ، وجاء سعود حرسه الله تعالى الخبر وشاع الحال واشتهر وهو إذ ذاك مقيم على أنطاع وقد امتلأت بذلك الأسماع ، فاستشار أهل الدين والإسلام في الظهور إلى نجد أو الإقبال على أهل الحساء والإقسام ، فاختلف لسان المقال وتدير الفكر والبال في ذلك الشأن والحال فبعض رأى الإقدام عليه وصوبه وبعض رأى تأخير ذلك إلى حين وطلبه حتى يأذن الله تعالى فيه ويهيء مطلبه وينزل على أهل تلك الفتنة شدته وكرهه وبأسه وخطبه ونوبه ، فسار يريد نجداً ومجداً

السير ذميلا ووخدا ، ويدعو الله أن ينجز له فيهم وعدا ، ويمكنه من تلك الأعداء ويهيئ له من أمره رشدا ورشدا ويوليه إسعادا وسعدا ، فوصل إلى بلاده في ذلك الزمان وصار مجيئه الحسا بعد آن . وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم وبعض البادية فسار يريد بني عمرو وكانت للمسلمين معادية فصباحهم بالغارة ، فلم يشد كل منهم للحرب إزاره بل جد وصدق في النياراة ، وقتل المسلمون منهم رجالا وأدركوا من الابل منالا . ثم دخلت السنة الثامنة بعد المائتين والألف . وفيها سار سعود سلك الله تعالى به السنن المحمود يريد الإحساء وإحصارها وتدميرها وجارها وفساقها وكفارها وأرفاضها وأسوارها وذوى الردة والذين أطاروا شرارها وقتلوا معلمة التوحيد وأضيافها وخطارها ، فأغضبت ملك الملوك وقهارها وأسخطت خالقها وجبارها وغافر الذنوب وستارها ، فأسرع في السير بالمسلمين وقد اتفق رأى الموحدين على الحصار والمضايقة والمنازلة وبذل الجد في الاجتهاد والمقاتلة . وكان زيد بن عريعر وإخوانه وجماعته حين تلك المنازلة في بلد الكويت نازلة فأقبلوا بعد مدة على الحسا فزادهم الله تعالى حزنا وأسى وبقوا مع أهلها تلك الأيام وهم مستعدون لقتال أهل الاسلام ؛ فلما كان آخر عاشوراء المحرم عزم سعود على النزول وتقدم فنزل على قرى الشمال وكان في الشقيق ستمائة من الرجال فأضرمت نار الحروب وأحاطت بهم سوء الخطوب فأوقدت أعظم الوقود وأحدثت بهم أولئك الضراغمة الأسود ؛ فلما نزل سعود في ذلك المكان خرج أهل الشقيق ومن معهم نحو ستمائة من العسكر من أهل العصيان ووقع بينهم وبين المسلمين قتال وقتل ذلك اليوم بينهم رجال ، فلما أضاءت شمس ثاني يوم بالنور بدر المسلمون إلى القتال فلم يكن من أهل الشقيق ظهور فسار إليهم أهل الإيمان وأرادوا البروز ، فلما كان وبقوا محتصرين في ذلك المكان وجرى بينهم قتال بالبنادق قضى الله بالموت على من كان لأجله موافق ، وشرع المسلمون في قطع النخل حتى من الله تعالى عليهم بالفتح والفضل . فلما كان أول الليلة الثالثة حين استحكم الظلام هرب من في الشقيق من أولئك الأنام وتفرقوا في القرين والمطير في والمبرز والكل طلب النجاة ولنفسه أحرز ، فأتى الخبر اليقين إلى سعود والمسلمين في ساعة الهروب والانهزام فأرسل أناسا يحفظونها من أهل الاسلام فألفوها من أهلها خالية وأخذوا الأموال التي فيها خالية لما كانت حمايتها عنها جالية ثم بعد ذلك اجتمع أهل تلك القرى في القرين وهما بالاشتداد

وعزموا على القتال حين أرادوا تلك البلاد والأمداد، فأطال المسلمون عليهم المحاصرة وناوؤوهم بطول الإقامة والمصابرة، فكتب الله عليهم الهوان والذلة، وطلبوا من سعود الصلح عن القرية والمحلة، فصالحهم عنها على نصف ذلك فتناصفوا جميع ما هنالك من أمتعة وسلاح وحيوان وجميع أنواع المال وطعام وغيره فاقتسموا على تلك الحال ونحى أهل المطير في ذلك المنهج، وكل من قرى أهل الشمال على المناصفة عرج، فلما انقضى شأن الشمال في قليل من الأيام والليال وأطاعت تلك القرى مما حل بهم واعتري وذات أنصارها وهانت وألتي المقاليد بعضها للإسلام ودانت، وأمر على أهل القرين بالجلاء عن الوطن فكل ارتحل عنه وضمن سار بعض الخيل والجيش إلى أهل المبرز فخرجوا جميعا ومعهم من عندهم من أولاد عريعر وفرسانه والكل قد أبدى شأنه وأبرز فالتقوا مع المسلمين وجالت معهم فرسان الموحدين وجرى في ذلك المجال طعان وقتال فشدت فرسان التوحيد على تلك الجموع العظيمة فلم يلبثوا إلا ساعة فشدوا في الهزيمة وقتل ذلك اليوم من أولئك القوم غدير بن عمر وحمود بن غرمول، فرجع المسلمون إلى رحلتهم ومحلهم بعد ماجدة الأعداء في هزيمتهم، ثم بعد أيام نهى المسلمون إلى أهل المبرز مرة أخرى وتقابلوا معهم عصرا وخرج أهل المبرز للقتال وكان المعترك دون نخيل أهل الشمال فتداعى الجميع في ذلك المجال ولم يقدر فيه انقضاء آجال فرجع كل إلى ماله من موضع ومآل؛ فلما عرف المسلمون من أهل المبرز تلك الحال واختبروا سيرتهم في القتال سعوا لهم في تهيئة أسباب الحيلة والخداع باظهار بواعث الطمع والأطماع حتى يرغب أهل تلك الجموع والاجتماع، وليستعروا المسلمين في اقضاء واتباع حتى يبعدوا بهم عن تلك المواضع والبقاع ويخطوهم عن ذرى تلك التلاع فلا يكون لهم صعود ولا ارتفاع، ثم بعد ذلك يكرون عليهم للدفاع ويعطفون عليهم كضواري السباع والنسور الجياع فيكون حينئذ منهم هروب واندفاع ورعب واندعار وارتياح، فيشد المسلمون عليهم في الاتباع بقلوب متوجدة عليهم ذات التياح وأفئدة لم يفارقها حزن ذلك الافتجاع ومواض مصقولة الشبا فحدها بترقطاع، وأسنة كالبرق اللامع سريعة الانتهاب للأرواح والانتزاع؛ فلما كان يوم الثلاثاء شمر المسلمون للقتال في الاسراع واجتمع من أهل الحسا ما لا يقدر عليه ولا يستطيع ولم يطرق السمع في قتال العرب مثله سماع حتى كادت أبواب المسلمين أن تزيل القناع، فنادها هاتف الاقبال بصوت ملاء

الأصماع قد جاءكم الفتح والنصر فلا ترجف القلوب ولا ترع ، فسكنت وراضت وكان منها لذلك قبول واستماع ، وأقبلوا على أولئك الجنود التي عدت النفع والانتفاع ، وقد عزموا على الوفاء لله تعالى وصدق الابتياح ، وكل ينشد بعد الحوقلة والاسترجاع قول شاعر مقدم شجاع :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لا ترعى

فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع

فان الموت غاية كل حي وداعيه لأهل الأرض داع

فصد قولهم الحملة فامتعت ألوان تلك الجموع من الرعب أعظم امتناع ، فكان لهم

إلى الهزيمة إسراع بعد إزمام ، ولم يحصل منهم والله الحمد مطاعنة ولا نزاع ، بل غالب

تلك الأمم لم يقفوا ساعة في المجال فضلا عن الجلال والقراع ، جفلوا كأغنام صاحت

بها أسود بقاع ، فصار لهم إلى البيوت معاجلة وانقطاع ، وقتل منهم نحو الستين ذلك

اليوم ومثلها في سائر الأيام فكان بها اقتناع . وانهزم زيد بن عريعر إلى بلدان المشرق ،

فلم يكن له إلى البرز رجوع ولا ارتجاع إلا بعد طلوع الشمس ثانی يوم حين علم حال

البلد بتحقيق الاطلاع . ثم بعد أيام سار المسلمون إلى أهل بلاد ابن بطل ، فخرى فيها

قتل كثير من أولئك الضلال وانهزم جميع أهلها فلم يثبتوا فيها ساعة المجال ، وأخذ

المسلمون ما فيها من الأمتعة والحيوان والطعام والأموال ؛ ثم بعد أيام سار المسلمون إلى

بلدان المشرق يريدون عليها الإقدام ، فهجموا على مضيق تلك الدروب ، وطاف على

الجبيل طائف الخطوب ، فاقتحم المسلمون عليهم وأرادوا الوصول إليهم ، فوقع عند

البلاد قتل وجلاد ، ثم انصرف المسلمون إلى مكانهم وارتجف أهل المشرق في أوطانهم

وبقى كل من أهل الإسلام تلك الليالي والأيام يجد في القتال ويجد في الضرام ، فأسرع

المسلمون خصوصا العربان وسائر أولئك الأعراب والبدوان يباكرون صرم النخل

والأثمار ، ولا يرحون عنه حتى يدبر النهار وأهل الحسا في مضايقة وبأس ودمار

وضيق معيشة وحصار ؛ فلما أراد الله تعالى أن يبرز في مقام الإظهار ما قضاه سبحانه

لأوليائه واختار ، ويسلك بهم الطريق السهل الخيار ، وينشر لهم أعلام الظفر والتمكين

والانتصار ، ويستقر قواعد التوحيد في تلك القرى والأمصار ، فيشتهر ذلك في سائر

الأقطار أتى براك بن عبد المحسن سمودا حرسه الله تعالى ، فأخبره أن أهل الحسا لهم

رغبة في الدخول في الدين وإقبال وأنهم متندمون على صدور تلك الأفعال ، وأنهم يطلبون طريق الإيمان والإسلام والالتزام بسائر الأحكام ، فقال ذلك لهم ولا يردون فعمسهم لسبيل الحق يهتدون ، وعن مهيع الغي ينتهون ولكن يخرجون للعهد إلينا ويقدمون للمبايعة علينا ، فعادله بالقول مرارا ، وقال إنهم لا يقدرُونَ على مواجهتك خوفا منك وفرارا ولا يستطيعون لرؤيتك اضطبارا ، فلم يرعو إليه وأولاه إعراضا وازورارا وقال لابد أن يسرعوا إلى ذلك المكان إحضارا ، فاستعان براك بكبار أهل التوحيد على إنجاح ذلك الرأي السديد ؛ فساعده أهل الدين والإسلام ، وقاموا معه أتم القيام حتى نجح ذلك المي والمرام ، واتفق الرأي والانتظام بين براك وكبار أهل الحسا أن سعودا إذا ظعن عن ذلك المكان والمقام ، وفرغنا من الأثمار والصرام أنك تأتينا ونبايعك على الاسلام ونخرج زيد بن عريعر وإخوانه وننفيه هو وأعوانه وامل هذه حيلة وخديعة إذ لم تكن نفوسهم بمجيئه لهم مطيعة ، فارتحل سعود بلفه الله تعالى المقصود حين ألح عليه إخوانه في ذلك الشأن ، وقالوا عسى أن يكون هذا سببا لهم في الإيمان ، وجد في سيره يريد الأهل والأوطان ، وقد نال أبهى الأنس والسرور والتهان ، وأزهى صلات البر والجود والإحسان؛ فلما وصل سعود إلى تلك الديار زال عن الحسا ذلك الخوف والرعب والحصار ، وبرحوا على ذلك مدة أيام ، وقد وجدوا بعد ذلك لذة المنام ، وزال ما بهم من الهم والأسقام ، حتى كان من براك عليهم مفاجأة وإقدام ، يريد ذلك العهد منهم والإبرام ، والوفا بما عاهد عليه أولئك الأنام ، وقال لهم هذا وقت الوعد فقد وصل سعود إلى نجد ، وقد حان حين الوفا فاياكم وسلوك طريق الخلف والجفا ، فتصيرون من الهلاك على شفا ، فأبوا إلا الخلف والإخلاف وركوب متن الإجناف ، فلم يحصل بمرامه إسعاف ، وثار بينهم القتال ، واختلفت كلمتهم بعد ذلك الحال ، واقتربت قلوب تلك القبائل فكان الله تعالى لهم مذلا وخاذل ، فلم يقبلوا نصحا لقابل ولم يروضوا إلى عدل عاذل ، فنفذ فيهم حكم الحكم العادل والقضاء النافذ الفاصل ، فانصرف عنهم براك بعد أن لم يحصل على إدراك ، وخرج إلى البادية ثم بعد ذلك كانت خيله عليهم عادية ، وقدم عليهم في رمضان وجرى القتال والطعان وخرج جملة من أهل الدين من السياسب مجتمعين وكبيرهم سيف بن سعدون فكانوا للقتال كل يوم يهدون ، واجتمعوا في قرية الجشة بعد أن لم يدركوا في البرز حيلة



فكان ذلك إلى الفتح ذريعة ووسيلة ، فاجتمع أولاد عريعر محمد وإخوانه وجميع جيشه وأعوانه وأهل المبرز وأهل الهفوف في بلد الجفر وكانوا مما لا يضبطهم الحصر فمكثوا فيه أياما وأطالوا فيه مكثا ومقاما ، وكل يوم وحين ينهد إليهم براك والبدو والسياسب مجتمعين ، ويقع بينهم طعن وطعان ومجاوله خيل وفرسان وتلاحم ومصادمة واقتران ، وقتل بينهم رجال في تلك الأيام والليال ، والكل يمدى الصبر في حومة المجال ، حتى أراد الله تعالى صلاح الحال وحسن العاقبة للمسلمين والمآل ، فأدخل براك الهفوف باحتيال فطاب له حينئذ القلب والبال وتم له السرور والإقبال ، وهرب أولاد عريعر دويحس ومحمد وماجد وكل من الخاصة مساعد ، وأقبل براك إلى المبرز صبيحة ذلك اليوم ، فتلقاه بالقبول أولئك القوم وأتوه لأجل السلام والتهنئة بالقدوم والإقدام وإنجاح السؤل والمرام ، فطلب منهم المعاهدة على الدين والاسلام والالتزام بجميع الأحكام ، فعاهدوه على ذلك وحدانا ومجتمعين والتزموا القيام بتوحيد رب العالمين ، فوفى العهد طوائف وحمايل وآحاد في الفرقان غير منحصرين والرافضة وكثير من غيرهم دخلوا في ذلك العهد مكرهين وودوا لو أصبحوا له ناكثين ، ولكن الله ضرب عليهم الذلة بحوله إلى يوم الدين ( وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ) ؛ ثم بعد صدور ذلك الأمر وإبرامه وتحقيقه وإحكامه وجريان شرائع الدين في الحسا وأحكامه كتب براك إلى عبد العزيز لمزيد إخباره وإعلامه ، فسر بذلك الإخبار والإعلام وبادر بالحمد والشكر لمولى الإنعام على ما حبا أهل الاسلام من هذه المواهب الجسام ، فأمر عبد العزيز براك بن عبد المحسن أن يبذل في الدين جهده ويوفى عهده ووعدده ، ويجلي ابن فيروز وأحمد بن حبيل ومحمد بن سعدون فجلاوا بعد ما ألزم عليهم براك يخرجون . وفيها غزا محمد بن معيقل مع أهل الوشم وأهل القصيم وأهل الجبل ، فسار بمن معه من المسلمين على غير مهل حتى أناخ بدومة الجندل ، فخط فيها رحله ونزل ، ثم أخذ يحاصر أهل تلك القرى ويضيق على أهل الزبيغ والافترا . ويفاجئهم كل يوم بالقتال ويغاديهم بأعظم الفعال والأهوال حتى ضاقت بهم الحال وكلهم دانوا بالإسلام بعد إذلال ، ولم يبق من تلك القرى إلا قرية بني سراح ، فلم يكن لها إلى الدين ارتياح ، واجتمع عنده كثير من الأموال فأعطى منها آل درع وكانوا مقاومين لابن سراح ، ولهم تقدم وإقبال وكانوا في حصار

شديد ليس عليه مزيد، وقد تمسكوا بما منجوا وأعطوا، فلم يدنسوا وجوههم بغبار الردة ولم يخطوا. وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بأهل الخرج والعارض وأهل سدير فشمروا ساعده للجد في السير حتى وصل إلى بلد الكويت بعد الهجوع، فأناخ يهيئ مامعه من الجموع، فلم تنجل الغياهب حتى فرغ من تلك المطالب ورتب الجيش والكمين، ثم بعد الإسفار أغارت خيول المسلمين فخرج مقاتلة أهل البلد مجتمعين وناوشوا المسلمين القتال وعقدوا للحرب المجال، ثم بعد ذلك ظهر عليهم الكمين فولوا مدبرين وعمدوا إلى البلد مسرعين وقتل المسلمون منهم نحو الثلاثين وأخذوا عليهم غنا كثيرة وأسلحة ثمينة شهيرة، ورجعوا إلى بلادهم فأنزى والدمال والأجر حائزين. وفيها غزا هادي بن قرملة رئيس قحطان ومعه محمد بن معقل وأهل الوشم ومطير وعربان كثيرة من البدوان، فلم يزل في ذلك النهج سائر، حتى أصبح عربانا كثيرة من البقوم وبني هاجر، وذلك أنه قرب منهم والليل داج وداجر والظلام مجتمع العساكر، فلم يرعهم إلا ركام العيائر والجياد التي كأنها الرياح السواثر، ولمعان المرهفات البواتر، والأسنة التي تفتت الصدور والمرائر، فراموا الجلال ووطنوا عليه نفوسهم، فأصبح كل على ما أصابه صابر حتى أراد الله أن يدير من البلاد أثر على أولئك المخالفين لأمر عالم السرائر، فشد عليهم المسلمون فأضحى جواد عزهم منكسرا عائر، فقتل ابن شري المسمى ناصر، وأرادوا بعده الثبات والتجلبد، حتى دهمهم ما لا يستطيعه الضراغم في الآجام والخواضر، فأصبح كل منهم يريد النجاة لنفسه نائر، وعن حومة الوغى بعد شدة البأس هارب نافر، وأخذ المسلمون منهم نحو ثلاثة آلاف من الإبل لكل ضابط وحاصر وآب جند الضلال خائبا خاسر.

ثم دخلت السنة التاسعة بعد المائتين والألف. وفيها غزا سعود أيد الله تعالى بالنصر والسعود، وكان عربان الشمال له مرادا ومقصود، فسار بالمسلمين يطوى منشور البيد بأيدي اليعملات على العنق والتوخيد، ويؤم مطلع السها والفرقدين، وإيال بما حصل لعيسه من الكلال والأين، ويشكو إليه طول السرى وحلول البرى قلوب الكمت والرواحل، وتحن إلى الورود من فرط البعد ومداومة الوحده فيعلمها بزلال المناهل، وكان لمطالعة القطب لا ينفك ولا يزال ولا يرتعاب النصر والظفر في ذلك الوجه في رجاء وآمال حتى لمع ضياء البشرى والسرور في ساجى ذلك الديجور

وطلع له كوكب الاقبال والحبور وهبت على أعدائه ريح الدبور ، فجاءته طلائعه وعيونه بالنهاه بأن القواسم هاهنا وكبيرهم ابن عفيصان وهم عرب من آل ظفير ، فكانوا قبالة ووفاقه في ذلك المسير فصباحتهم في أرض الحجرة غارته ولم تسبقه عليهم نذارته بل فجأته بحصول مراده بشارته ، وبغت أولئك السلف دماره وخسارته فلم يستطيعوا مع المسلمين الجولان ولم يعتقدوا لحومة الوغى والبأس ميدان ، بل ناوش منهم بعض الفرسان وراموا قليل طعان ، ثم شحروا في الهزيمة من غير توان ، وقد أخذ المسلمون منهم إبلا كثيرة وجميع المحلة والغنم وكان الإبل نحو ألف وخمسمائة بعير على سبيل التقليل لا الكثير ، ورجع المسلمون إلى البلاد وقد حفهم الإسعاد . وفيها جرت وقعة سعد بن قطنان ، وكان قبل ذلك قد أبدى للدين إذعان وأسلم قبل ذلك الزمان فأراد أن يتبين على أهل الضلال وعباد الأوثان خصوصا البدوان ، فبنى قصرا محكما ثم بعد ذلك تبين في الدين معلما وجاهدا من أهل دينه من لم يكن مسلما فنالوا منه ذلا وهوانا وندما وأسقامهم كؤوسا مترعة دما حتى حاولوا فيه مأثما وهيئوا له أمرا محرما ، فشرطوا لاثني عشر رجلا كل واحد منهم في البأس مقدما على قتل ابن قطنان دراهم كثيرة يأخذها كل واحد منهم مغنا وينتقدها بعد الفعل متسلما ؛ فعند ذلك جد كل واحد فيما كان ملتزما ، فأبدوا للغدر والمكر حيلة وسلما فهاجروا إلى قصره مبدين للدين علما ، وأقاموا أياما يدبرون لما راموا أمما ، وقد واعدوا رؤساء أهل دينه على يوم يكون مجيئهم فيه متقدما ، فلما كان بعض الأيام وشرع في الصلاة من كان لها مقدما جاء جمع كثير فدل على كل واحد من ذوى المكر له جبلا ورمى ، فصعدوا جميعا السور ونزلوا وحمى الحرب واحتفى ، واعب الباطل بينهم وارتمى وانتخى كل بنخوة الجاهلية وانتفى ، فقتلوا غالب أهل القصر ، فصاروا شهداء رحما ، وأخذوا أولاده فأرسلوا الكبير إلى الشريف فجعلوه في حبس الدما ، وجاء بقية أولاده عبد العزيز فأعطاهم أموالا كثيرة وإبلا شهيرة وانصرف كل منهم محبورا مكرما . وفيها غزا سعود خلد الله تعالى له الاقبال والسعود ، فسار بالمسلمين يريد عربان القبلة وقد تقدمته طلائع العز والسعد قبله ، فجذ في طريقه وقد باراه النصر والاقبال وجاراه التأييد والظفر ، فلم يكن لهما عنه انفصال ولا مفارقة ولا زوال ؛ فلم يزل يدأب السير والترحال ويديم إرضاء الأعوجيات على اتصال حتى أراد الله تعالى من تلك الأمكنة علوه وقربه ومنحه

طلبة أى طلبة ، وذلك أنه نزل على قري تربة بعد أن طالع بعض العربان من دعاة ذلك المكان، فجرى بينهم مناوشة وطعان ثم انهزموا بعد ذلك حتى توغلوا الحرار فلم يكن عليهم توصل ولا اقتدار ، ثم بعد ذلك أقام سعود في تلك الأراض ، ولم يكن له عن حصار القرى إعراض ، فاستمر محاصرا لأهل تلك البلاد وكل يوم يصدر منهم قتال وجهاد ومصاربة عند التسور وجلاد ، وكل يوم يحمل أهل الاسلام على الأسوار ويرومون التسور على البلد والأحذار، ويقاسون من أولئك الفجار من طلائع الموت ما يزيغ الأبصار، وقتل من أهل الدين والاسلام في جميع تلك الأيام نحو عشرة رجال كان لهم على الشهادة آجال ، منهم محمد بن غشيان وكان يعد من الأبطال الشجعان ، وقتل من أولئك قريب من ذلك ، ثم شرع المسلمون في قطع مالأولئك الأقوام من تلك النخيل العوام ويخربون فيها كل يوم حتى كادت تنفت مرأثر تلك القوم حين رأوا قطع تلك النخيل الجليلة وأربابها عن حمايتها محصورة ذليلة ، ولم يكن لهم سبب إلى سلامتها ولا وسيلة غير المصالحة عنها وكان ذلك لهم حيلة ، فصالح أهل قريتين سعودا على نخلهم وقطع نخل قريتين لسوء فعلهم ثم بعد ذلك الحال وانقضاء المراد على الكمال ، عزم المسلمون على الارتحال فساروا على تؤدة وتمهال من غير غلو في السير ولا إيغال . وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بجمع من أهل الخرج والفرع والبدو ممن يدعى الإيمان ، فسار يجد السير لنيل المراد حتى أناخ من قطر على بادية تلك البلاد فأغار عليهم فثاروا فورا وتركوا الجلاد ، فأخذ ما عندهم من مال من أمتعة وغنم وآبال، وقدم بذلك بلد الاحسا وأقام يبيع ذلك فيها وأرسى، ثم بعد فراغه أصبح فيها وما أمسى . ثم دخلت السنة العاشرة بعد المائتين والألف . وفيها أظهر الشريف غالب عساكر كثيرة وجنودا غزيرة ورأس عليهم فهيد الشريف ، فنزلت عليه البوادي كل سلف وفريق وسلکوا للشر كل طريق ، وأقبلوا يريدون ابن قرملة وكانوا على ماء يقال له ماسل، فأقبل عليه تلك الأجناد والقبائل وأتوه بعد قتل عيونه على غرة لينفذ الله أمره فدهموه وأهله في شعب من الشعاب ، وقد ملكوا عليه فم ذلك الشعب فلا يمكنه خروج ولا ذهاب فطاعنهم زمانا طويلا وقتل منهم ثلاثين رجلا وقتل من خيل ابن قرملة نحو عشرين ، ثم انهزم ابن قرملة وأخذ الشريف تلك القوم المجتمعين ولم يقتل سوى رجل واحد من المسلمين . وفيها غزا سعود يسر الله تعالى له كل مراد

ومقصود ، فسار بالمسلمين يعتسف من الفيا في السهل والصعب ، ويطوى من أديم  
الموامى كل موحشة يباب ، لا يسمع بها غير أصوات العرج والدثاب ، يضل فيها القطا  
فراخه فلا يهتدى ويحير الحرّيت في مهامها فيتقنع قناع الموت ويرتدى وتروح على  
رياضها اليعافير وتنتدى ، لا يرى بقفورها أنيس ولا يبصر في لاحها آ نار العيس مظمأة  
لا يدرك فيها ما يبل صدى الظما ، يحاكي لون أديمها زرقة السما مغبرة الأفق والأرجا ،  
يحس السارى بها بما للجن فيها من الغممة والزمزمة والأزجا ، فلم يزل يدأب المطى  
في ذلك السير الإعناق ، والأباطح تسيل منها بتلك الأعناق حتى قطع بصارم العروتين  
تلك المفازة وأراد مولاه لمراده إنجازه حتى تبين له من سواد الحرة ذلك الحجر وبدر  
له منها ذلك المدر ، وألقى لها الجران عند أولئك العربان وذوى الضلال والعصيان وكانوا  
أسلافا كبيرهم ابن محيور من العتبان ، فمد لها طول الراحة بعد هزيع من الإعتماد  
وسجى دياجير الإظلام إلى أن شدت عساكر الظلام في الهروب والانهمزام ، ونادى  
المنادى بدعوة الإسلام وأذن للصلاة بالقيام ، وقضيت على الطمأنينة والتمام ، وكان الدعاء  
بعد ذلك ختام ، بفيل التوفيق والمرام ، فأسرعت الرجال إلى الرحال وأطلق الركاب  
من الاعتقال وأسرعت الأبطال إلى الجياد وتسئموا صهواتها للجلاد ، وشرّع كل  
منهم سنانا وسأل مولاه الاعانة وجردت القواضب المرففة ، وشنوا على أولئك العربان  
غارتهم المرففة ؛ وشعواءهم المتلفة ، فانتدبت فرسان الشرك والضلالة وأقبلوا فرسانا  
ورجالة وجالوا في الحرب مجاله ، ثم أنزل الله تعالى عليهم الذلة والبأس ، فانهزم ذوو  
الضلال والإبلاس ، وأخذ المسلمون جميع أولئك الناس وولوا على أعقابهم وتوعروا  
في الحرة في ذهابهم وعجل الله تعالى لهم بعض عقابهم ؛ فشد المسلمون خلفهم في ذلك  
الأثر حتى أعيانهم مقاساة ذلك الحجر وخشوا على أنفسهم وخيلهم من الضرر ، فرجع  
كل واحد منهم وصدر وأخذ أهل الإسلام المحلة ، وشتت الله حزب الشرك وفله ، وأخذ  
من الإبل نحو الألفين أو يزيد ، ورجع المسلمون بالأجر والزيد ، وأخذ أيضا عشرة  
آلاف من الغنم وغنموا أعظم مغنم ، وقتل ذلك اليوم من المسلمين سبيلا وكان مقداما  
نبيل . وفيها غزا قاعد بن ربيع أمير الوادى فسار يجمع من قومه يريد من هو بالمسلمين  
معادى . وأدج في ذلك الزمن وهجر لذة الوسن حتى رأى من بنى هاجر فريق آل ضمن ،  
فاستقر باله واطمأن وثبت قلبه وركن فصبحهم بالغارة المحيدة فكانت أسنته لهم عاملة

مفيدة ومرهفاته لهم مبيدة مبيدة فقتل منهم فوق الأربعين، وأخذ ما عندهم من خيل وإبل وغنم، وولى قليل من الرجال منهزمين، وفيها أظهر الشريف غالب جموعاً وأجناد وعساكر من كل قرية وبلاذ وانضم إليه أهل بلدانه وجميع أعرابه وبدوانه، فرأس فيهم ناصر بن يحيى الشريف وأمرهم بمصادمة بوادي الدين ومن هو منتسب للمسلمين، فخرجوا يفتحون السهل والوعر ولا يصدهم عن مرادهم الضجر؛ فلما تحقق عبد العزيز ذلك الخبر وشاع بين الناس واشتهر، أرسل إلى عربان المسلمين من قبيلة نجد وأعلمهم بماعزم عليه الشريف من ذلك القصد، وأمرهم أن ينزلوا بالأهل والأطعان على هادي بن قرملة كبير قحطان، وأمر ربيعة أمير الدواسر والوادي أن يظهر مع جيش من قومه وينزل على هادي، فالكل من أولئك الأقوام أسرع في الامتثال والقيام لأمر عبد العزيز الإمام، وبأدروا لذلك المهم والاعانة في دفع ذلك المد لهم، فلم تمض قلائل من الأيام حتى اجتمع أولئك الأنام على ماء بنجد يسمى الجمانية، فالتأمت به تلك الأمم البدوانية حتى كان آخر الأيام الشعبانية، نزلت تلك الجموع الشيطانية وأبرزت من البأس وفرط الإبلاس واختلاف الأجناس ما يدهش العقول الإنسانية، ويرعش القلوب الجنانية، فلما بدت الغرة الرمضانية تلاحت الفرسان العربية، وشرعت الحراب السنامية، وجردت السيوف الهندوانية، وقتل ذلك اليوم أبو مجبور من الأبطال الفرسانية، وانفصلت جميع الأمم الفرقانية، لما غابت الأنوار الشمسانية، فلما طلعت شمس ثاني رمضان تداعى عند ذلك الحكمة الشجعانية وحملوا حملة هائلة ظلمانية وتصلت تلك القوى الجسمانية، والقلوب الصلدانية، وثارت تلك العجاجة الدخانية، واصطلمت تلك المدافع النيرانية، فأعلن عند تلك الأمور الهائلة العيانة أهل الدين والإسلام بشعارهم بتعظيم الصمدانية والاعلان بكلمة التوحيد والوحدانية، فهزم الله جميع تلك العدوانية، وحف المسلمين النصر والظفر من العناية الرحمانية، وتفرق أهل الضلال في خلال العقبات الشعبانية، وقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل، وأخذوا من الإبل والغنم ما لم ينل مثله ولم يرم، وأخذوا جميع المحلة والأزواد والطعام وتلك المدافع المجرورة ومنصوب تلك الحيام، وكانت الغنم التي حصلها المسلمون مائتي ألف غير ما قضى الله تعالى عليه بالحنف، وعدد ما استولوا عليه من الإبل ثلاثون ألفاً من غير خطأ ولا زل، وقتل من المسلمين رجال وانهزم الأعداء بأقبح حال، وكان محمد بن معقل قد

أرسله عبد العزيز لعربان المسلمين مددا ، فلم يأتهم إلا بعد ما فرق الله تعالى المبطلين عددا وجعلهم فرقا وبددا ، وكان قدومه عليهم بعد يومين فاطلب بنى هاجر ولم يبال ، بما معه من الأين ، فأدركهم على ماء يقال له القنصاية ، فأغار عليهم وقتل نحو الأربعين من تلك البرية فشدوا في الانهزام ، بعد تلك القضية وكان هؤلاء الأعراب شمروا في الانهزام بمالهم والذهب حين رأوا جيوش ابن قرملة على قومه مربين فعاجلوا بالانهزام مدبرين ، فاجتمعوا على ماء القنصاية وظنوا أنهم قد أحرزوا أموالهم ، فخابت آمالهم الظنية وحوالها كلها ابن معقل وعزز بها تلك القضية السوية ، وانصرف بنيل أمنية ، وفيها غزا مبارك بن عبد الهادي ومعه من قومه من أراد الجهاد من بين حاضر وبادى ، فسار في عزمه ذلك ومرامه يجد السير والسرى في جميع ليليه وجميع أيامه لم يثنه النصب ولم يساومه التعب فينحل عندهمته وإحكامه حتى قرب من أرض نجران ، فلقى هناك بعض البدران يسمون آل الهندى ، فكان حينئذ للغارة عليهم مبدى ، فلم يشعروا إلا باعتزاز الرماح وبريق الصفاح ، فانهضوا جميعا للقتال والكفاح ، ولم يتخلف إلا من ليس عليه جناح فتطاءعوا ساعة وزمانا ومكثوا للجلاد حينا وأوانا ، ثم انهزموا بأفطاح حال ، وقتل المسلمون منهم ثلثين من الرجال وأخذوا جميع ما عندهم من الحلة والغنم والآبال وانصرفوا في أحسن حال .

وفي شهر رمضان من سنة عشر بعد المائتين والألف وبراك وآل الحسا من تحت إمام المسلمين لمعت للفتنة بوارق ووحث للفتنة بوائق ، وفاح للشر عرف وشذا ولاح طالع النحس والأذى واستبطن البغى والغدر واستعلن الفحش والنكر وعصفت للحياة رياح ، وظهر على الفساق البشر والارتياح ، وعلمتهم من الفرح نشوة وزادت قلوبهم على المسلمين قسوة ، واستنشق المسلمون المنكر عرفا فلا يستطيع أن يرجع في المنكر حرفا بل كل يوم ينتظر أن يلاقى حنفا ، فاستمرت الحال أياما وليال وبطانة الشر تعلو أو تزيد وتضمحل البطش بأهل التوحيد ، ولكن ليس عن ساحة الصبر من محيد ، فلما أراد الله تعالى إنفاذ الوعد والوعيد وتهيئة أسباب التمكين لأوليائه والتأييد وهلاك من أراد هلاكه وخذلانه ، وذل من أراد ذله وهوانه ، قدح زنادها وحقق ميعادها فأورث بالشر نارها : استطار لهبها وشرارها ، وسما جهارا منارها وأعلن أصحابها وأنصارها ، وتأزر بإزار الغدر شرارها ، وارتدى برداء الفتك فساقها



وفجارها، وبقيت تمور بين أهل الفجور تلك الشهور. هذا والمسلمون من أهل الحسا بين لعل وعسى، وكل تجرع مزاراة الخوف واحتسى، وتدرع بدروع الهم واكتسا وكابد حرارة الغم والأسى، وقلوبهم بين رجيف واضطراب ووجيف واكتئاب إلى يوم اللنية في ارتقاب، وفي حطم البلية في احتساب. هذا وإمام المسلمين عبد العزيز أدخله الله كنفه الحريز، يرسل المكاتيب ويكثر فيها المعاتيب ويعمل الرسل والأرقام في كل أسبوع من الأيام، إلى براك بن عبد المحسن ويحضه على نفي المسىء والإحسان إلى المحسن، وقد اهتم بذلك والله هذا الإمام أشد الاهتمام، وأمره أن يقيم الدين أشد القيام وأن يشيد قواعد الدين ويبيد جملة المبطلين ويزيل من الشرك أصله وأساسه، وينفي دعائه وأناسه، ويقيم على الحق والهدى ويشرد أهل الزيغ والردى، ويبتهل بإقامة السنة ويتبع منهج الرسول الذي سنه، ويأمره بإعلان شعار الإسلام وإخلاص الدعوة للملك، العلام وإيقاع الخمس الصلوات في المساجد والجماعات، ويبذل له النصيح سرا وجهرا ويبين له أنك إن فعلت هذا نلت عزا ونفرا وحويت من مولاك عزا ونصرا وأعظم لك نوبا وأجرا وقد ألزم عليه في ذلك أعظم الإلزام، وأمره أن يفي بما عاهد عليه الله حين دخوله في الإسلام، ويفعل ما شرط عليه حين عقد الإبرام، وما التزمه في الحاجة من الأحكام من نفي أهل الباطل والفجور، وطرد أصحاب الفساد والشرور، كما هو في صحيفة المهد المذكور، وفي حجة العقد مقرر مسطور؛ فلم تغن النصائح والإنذار، ولم يبادر بما دعى إليه من إزالة الأشرار، وتعذر من الإمام في عدم القيام وعدم الوفاء بما عاهد عليه أن هذا لا سبيل إليه وقد أعيا الرأي والفكرة، وليس إلى جلاء رؤساء الفتنة من قدرة، لما يؤدي إليه الحال ويتربق في المال من الاختلاف والشقاق، وقيام أهل الرفض والنفاق، واجتماع أهل الزيغ والباطل على أهل التوحيد والأفاضل والأمر يؤخذ على مهل، ولم يدر أن الأمر جاءه على عجل، وأن الفتنة قد حزبت أحزابها والبدعة قد نحت كدورها وأربابها، وأن الله تعالى قد حقق على الرافضة خرابها ركبت على فساق تلك البلد ذهابها، وأبدى لهم جزاء ردتهم الأولى وعقابها، وبين لهم شؤم الحياة وما بها. وما أشقى به أهلها وأصحابها، هذا وأردية البلاء تنسج وتحاك ويسعى فيها كل فاجر أفلاك، إذا عسق الليل ودجت الأفلاك، وتراعى شرر الباطل في الأفلاك، وكان الذي يسعى في نسج تلك الأردية والبرود، وعقد تلك الألوية الضالة عن المنهج المسود.

من هوفى كل فتنة معدود ، وفى كل مقام على المسلمين مشهود ، رأس الفتنة ورئيسها الذى يثبت على أصلها وتأسيسها ، ويرسى عليه عمودها ، وتورق به أغصانها وعودها ، وتثبت أوتادها وأطنابها ويفتح بشؤم فكره بابها ؛ وذلك لكونه لا يزال سميرا للفساق والفجار وظهيرا للعصاة والأشرار وهو صالح النجار ؛ فكان إذا هدا الناس واشتد ظلام الأغلاس أخذ بالشر والإبلاس فركب دابته وجد وقصد قصر على بن أحمد فأحكم الرأي والمشورة وعرض عليه تلك الأمور المحظورة ، ثم سار من عنده وأجمع محكم قصده ونحى على الجبابى وقصد وأحضر ابن عفات واجتهد وظن أنه لم يشعر به أحد لكون هذا السعى والاجتهاد وإعمال المسير والترداد إنما هو فى الليل وفى النهار يظهر للمسلمين المناصحة والميل ، والمسلمون يعرفون حقيقة حاله وقبيح ما ينظمه من فعالة وقد أرسلوا الرسائل والكتب وجدوا فى الطاب ، وأعملوا المطى بالأرقام إلى عبد العزيز الإمام يطلبون منه النجدة والمدد والعدة ويحثونه على النصر والانتصار وقد بينوا له جميع الذى صار وما بدا لهم من الشين الذى صار ، والشر الذى ارتفع له غبار وكذلك أرسلوا إلى الأمير سعود بأن يسعفهم بالمراد والمقصود وكان حينئذ حرس الله مهجته وأدام عزه ودولته منيخا قرب شقرا ، فلما جاءت الرسل من المسلمين ومن والده متع الله به المسلمين وقمع به أعداء الدين ، أحضر وجوه الغزاة المشورة فيما يراه وما عزم عليه وأبداه وبين لهم ما يراه بأهل التوحيد من أهل الحسا وما خالطهم من الخوف والأسى وقال أريد أن أعجل لهم المدد قبل أن يقع بهم الفتك ممن تعاهد عليه ولا تعد حتى يكون لهم عون ويلقى العدو به ذلا وهونا بل ربما يكون مجيئه البلاد سببا لبطلان ذلك العهد والاتعاد ، وتحمد بمجيئه نار الفتنة التى توقد كل ليلة غاية الإيقاد ؛ فأرسل وهو فى ذلك المكان إبراهيم بن عفيصان ومعه مائتا مطية تعجلا للرعية واستدفعالما أعد من البلية وما عزم عليه من الردة الردية ، وكان ذلك رأيا مباركا ميمونا خاليا من شوائب النحس مصونا وحزما شبا مرهفا مسنونا ، وعزما حاز المسلمون به ركودا وركونا ؛ فلما أقبلت الرسل إليهم وقدموا عليهم وسمعوا كلام البشير وتحققوا الحجة والمسير ، وفهموا قرب مكان الطليعة عرفوا أنهم ليس لهم حيلة ولا ذريعة وأنها ليست لهم بمنعة ولا منيعة إن لم يسارعوا إلى ما عليه عزموا ويعجلوا ما عقدوه وأبرموا ، وينفذوا ما نوهوه وأحكموا ، ويبدروا المسلمين قبل قدوم المدد المقبلين بما أجمعوا

عليه من الفتك وندبوا إليه من الخيانة والهتك ونصب أعلام الارتداد ورفعها بين العباد وشهرتها عند الحاضر والباد ، قبل تلاحق الإمداد ، لكي يغمسوا كافة أهل البلاد في منن تلك الأقدار ويضمخوهم بهاتيك الأوضار ويدخلوهم في دائرة الهلاك والأخطار فأبى الله العزيز القهار أن لا يكون ذلك إلا على الرافضة والفساق والفجار ؛ فلما آن أن يبدو للقضاء الأزلي آثار ويظهر بعض ما انطوى في الغيب من الأسرار وحن الحين وحق المكر بالأشرار ولمع بارق قوله تعالى ( وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ) وأقبل ظلام ليلة الفتنة ومسجى واسود فيها محلولك الدجى وأرخت الظلام فيها سدوله فقد الأفق من البدر أفوله حتى أتى أهل الضلال والردى والذين يريدون الفتك والاعتدا من الرفعة والنعائل وغيرهم من الأراذل وسفلة القبائل رئيسهم النجار وأنيسهم إذا انسلخ النهار ، فاجتمعوا عنده وعرف كل منهم قصده ، وعاودوا الرأى تلك الليلة وأبرموا التدبير والحيلة بأن تقتل من فيها من أهل التوحيد كل قبيلة بل سمى كل من المتعاهدين قرينه وقتيله وبينوا التدبير والاحتيايل وصمموا على الفتك والهتك والاغتيال وبارزوا بالحرب شديد المحال ( وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال ) . هذا والأندار على المسلمين تتوالى والأخبار تتلى عليهم وتتتالى ؛ فلما أراد حقن دماءهم سبحانه وتعالى وخذلان من ساعدى الفجور ووالى وتعذيب من اجتمع على الأولى والثانية وتمالا وإلبابه فى الدنيا هوأنا ؛ إذلالا ومقاساته تنكيلا ونكالا ، نما ذلك الخبر وفشا ذلك وظهر بعد أن خفى واستتر وتحقق أمير السياسب سيف آل سعدون ما هم له مستعدون وما هم عليه مجتمعون ، فأحضر المهاجرين من إخوانه وأخبرهم بقصته وشأنه ، مع أنهم كانوا لذلك مستيقنين وللخيانة مستيقظين وللغدر كل يوم متوقعين ، إلا أنهم كانوا على الله متوكلين والموت نفوسهم موطنين ، فاتفق رأيهم وانتظم أن يرسلوا إلى من يخشى منه الردى من جماعتهم ويتهم ، ومن دخل منهم فى الحلف وعزم ؛ فلما أحضروهم كافة ووضعوا لهم سبيل المخافة وما يترتب على ذلك من الآفة وأن أهل الشر والفساد يريدون غدا الارتداد وليس لهم غيرنا مراد وجيوش المسلمين والأمداد تطلع عليهم بكرة أو روحة بالنصر والإمداد فتناولوا بذلك غاية السعد والإسمعاد وتدخلوا فى طريق الرشيد والإرشاد وترفضوا منهج من نوى السوء وكاد ، ونحى قاصمة الظهر وأراد فكأن الله الحمد والمنة ذلك ( ١٢ — تاريخ نجد — ثان )

النصح أزال عن قلوبهم الأكنة ، وصار ذلك الوعد لهم والإيعاد مما أجدى فيهم وأفاد ، فكأنهم بعد ما انتضوا السيوف لملاقاة الختوف أعادوها في الأغمار وكأنهم انتبهوا من سنة الرقاد ووعت منهم تلك النصائح أذن واعية ، فأصبحت أركان الردة والله الحمد ذلك اليوم واهية حيث لم يقم من السياسب لهم داعية ، وانحلت عرى ذلك الإبرام ورد الله بكيده من رام . هذا والنجار بعد مأخذ الكرى والمنام في ظلام الدياجي أجفان الأنام دأبه الإقبال والادبار وتدير ما يريده في النهار ، يحيك ذلك وينسج ويدخل البلاد ويخرج ، إلا أنه على شأن السياسب لم يعرج ، وقد أعد خارج البلد في بستان هناك رجاله وسقاهم فيه من رحيق القهوة صافيه وزلاله ، وكان الوعد بينهم حين تذر قرنهما الغزالة ؛ فلم يلبث الناس بعد ذهاب الأغلام إلا قدر ما بدا من كوة الأفق ضوء السراج ، وأشرق على سطح البسيطة نوره الوهاج ، وانتشر في بطون الأزقة والفجاج أهل الفلاحة ذوو الحاج حتى سمعت الجلبة والأصوات ووقع الذعر والانزعاج ، فرجع الناس على أعقابهم ينكصون ، وقد خالط الرعب قلوبهم فهم مندعرون ولم يكونوا بذلك الأمر يشعرون ( وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ) فتعاضم الأمر وعلا وشاع شأنه بين الملا وأسفر وجه الردة وجلا وزادت القلوب وجلا (وما ربك بغافل عما يعملون - وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) وزاغت الأبصار والألباب وغلقت البيوت والأبواب ونادى منادى القضاء بالعذاب والذهاب على الذين فعلوا ولكنهم لا يسمعون (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) وتوقفت أشرار تلك القبائل ولم يكن غالبيتهم بما عنده فاعل وهم بين لائم وعاذل ، إلا أنهم للسياسب منتظرون ، وهم من كل حذب ينسلون وبادر قوم النجار لأنهم رؤوس الأشرار فقتلوا شخصا واحدا وهو عبد الله بن حسن ، وكان النجار عنده قاعدا وبتشبيطه مواعدا ، فأسرعوا إليهم يهرعون وأقبلوا عليهم يركضون ( لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون ) وجرحوا ابن كثير جرحا ولم يجعل الله لمرامهم نجحا ، وما أصابوا في المسلمين قرحا ، وقد عرفوا لو يطلبون صلحا من المسلمين لا يقبلون ( ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ) فعند ذلك شمרת تلك العصابة وندب النجار أعوانه وأصحابه ، وشيدوا الحرابة ونهضوا إلى السياسب يسرعون ( كأنهم إلى نصب يوفضون ) فدهمهم في الطريق والسكك ووقع بين البيوت

المعترك وصدق الطعن من سلك ولكنهم على الحق معتدون ( لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون ) خين أبصروا حرارة الطعان وذاقوا مرارة السنان وحامت عليهم للموت عقبان في منازلة تلك الإخوان ، وتيقنوا أنهم لما يريدون لا يدركون وأنهم أخطئوا ما يأملون ( سأريك آياتي فلا تستعجلون ) فانهزموا بأقبح الذل والنكابة وقتل منهم واحد هو الغاية ، وحف المسلمون باللطف والعناية لعلهم بأمرهم يعتبرون وعلى ربهم يتوكلون ( وإن جندنا لهم الغالبون ) وأدبروا يعضون أنامل الندم وولى كل شيطان وانهزم ، ثم اجتمعوا عند رئيسهم وعزم أنهم لجميع المشرق يرسلون ؛ فأرسلوا يحثونهم على المجيء والتعجيل حتى يفوزوا بالني والتأميل ، فلما قدمت عليهم الرسل وأخبروهم بما حصل نهد مقاتلة كل قرية واجتمعوا للحرب بلا مرية ، فلم يرتفع سلطان النهار إلا والجنود تطلب البدار وتروم لأهل المبرز الدمار ، وقد أقبل أولهم وهم النعائل والرفعة والذين حضروا بيعة النجار ، ثم أقبل بعدهم من أهل المشرق أعداد وتتابع لهم جيوش وأمداد وكل منهم لصدق الحرب في أهبة واستعداد وتأهب لوطأة البلاد إن لم يف لهم من حضر الحلف من الفرقان بذلك الوعد الذي كان ويرجعوا عن طريق الخذلان ويقتل كل فريق من عنده من أهل الإيمان ويحققوا لهم سابق ذلك الميعاد ، وينجزوا ذلك الإيعاد. هذا وقد استعد من أهل المبرز كل فريق وأحرز وجعل الأرصاد كل فريق فيما يؤتى إليه من طريق ، وشمروا للحرب سوا عدهم وأخلفوا مواعدهم بل أظهروا أعظم الإباء والامتناع وأشد الذب عن المسلمين والدفاع وتبين منهم الصدق على ذلك والاجتماع ، فبقى من عندهم من أهل الفتنة والفجور ينادى على نفسه بالويل والثبور وأبصارهم تمور وأفكارهم تخور ، وليس لهم من أهل المبرز مساعد بل كل عن الفتنة قاعد ، وهواتف البلاء عليهم يدرسون ( أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ) خين وضع واستبان ذلك الحلف والخذلان لصالح الرئيس الداعي إلى طريق إبليس ولم يجد ناصرا ولا قبيلة ولا معينا ولا كفيلا وأضحى حائرا ذليلا لم ير حيلة له إلى البقاء ولا سبيلا ولا منهجا للسلامة ولا دليلا إلا مخادعة أهل الإسلام والإيمان ، وطلب منهم الدخول معه والأمان ، فراح في ساعته بعد تدبير فكرته إلى فريق العتبان وكانوا ذلك اليوم نعم الإخوان ، جزاهم الله تعالى كل خير ورئيسهم مهوس بن شقير ، تأخذ منهم الأمان على نفسه ومن له من الإخوان ، وكان

هذا من الله تعالى حكمة باهرة وقدرة قاهرة وأمرأ قدره تقديرا ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ) أبرز خذلان أعدائه عبرة لأوليائه وتسليية لهم على بلائه لعلمهم على الفتنة يصبرون ( إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ) هذا ولم يناد المنادي لصلاة الظهر بالأذان إلا وقد أقبلت الرسل تبشر بقدم إبراهيم بن عفيصان بل هم مع الوقت كفرسى رهان ، فحصل الأنس وطابت النفس وزاد سرور أهل التوحيد والإيمان ، وزال ذلك الهم والخوف والأحزان وتم السرور وحصل الفرح والحبور وهبت رياح القبول والتهان وبدأت شمس الأمان والأمان ولم يزل أهل المشرق ومن معهم من الرفعة والنعائل وسائر سفلة تلك القبائل خلف السور مقيمين ولما قصدوهم رآهم راءين وعلى مأمولهم عازمين إذ لم يكونوا عالمين بما قد صار من حال صالح النجار وما جرى من الأخبار فلم يفجأهم إلا الخيل تضبيع والأسنة تبرق وتلمع والبيض تشرق وتسطع فكل ولي وانهمزم وتندم على ما كان عليه عزم وانتضوا بطون الأقدام ولم يكن لهم غير البيوت إقدام فوطئتهم من المسلمين خيول وخرج معهم من أهل البلد خول خالت على قطعة من الأحزاب الفرسان وجالت عليهم أولئك الرجال الشجعان فقتلوا جميعا في ذلك المكان وجروا كأس المذلة والمهوان وباءوا بالحزى والحسرة والخذلان ، وكان جملة المقتولين نحو الستين وغالبهم من أهل الجبيل والباقي من بلدان المشرق متفرقين وفات الحملى ومن معه حين أقبلت الخيل عليهم مسرعة وشرد هاربا وثار ولم يجد دون بيته من قرار وازدحموا عند دخولهم الدروازه والكل يريد من الخوف السبق واحرازه ، فلما رأى وجوه قومه وجماعته قبيح فعله وصناعته ساروا إليه سريعا وألزموه أن يخرج مع الحباني وقدومهما جميعا ، وألحوا في ذلك الأمر عليه وعرف أن القرار لاسبيل له إليه وأن وجوه الفريق والأعيان إن لم يخرجوا عنهم لم يدفعوا عنهم العدوان وأنهم يسلمونهم إليهم ولا يدفع عنهم انسان خرج هو والحباني وأناس من الأشرار حين أدبر ضوء النهار واشتد سواد الدجا وانقطع منهم الرجا ، ففاجئوا على بن حمد في قصره واستمدوا من رأيه وفكره وبقوا عنده ثلاثة أيام في أكساف حال وأشر مقام . هذا وبلدان المشرق ينهب بعضها بعضا ، وتسرع إلى القتال والقتل والنهب ركضا وتهابق

الشمس في الطلوع إلى ذلك الحال نهضا ، إبداء للندامة وطلباً للسلامة ومقدمة بين يدي سعود بهذا الأمر المعداد لعله يكون للرضا وسيله وإلى بقائهم في أوطانهم حيله ولم يروا مسلكا سواه يسلكون ، وفي تلك الأيام المذكورة والأحوال المسطورة وابراهيم بن عفيصان محاصر لفرية العمران ومعه جمع كثير وجم غفير من السياسب والعتبان وغيرهم من سائر القبائل والفرقان ، ثم في أثناء المدة المذكورة طلب الحبابي وابن عفات والحلي ومن معه من الرجال المحصوره من ابراهيم بن عفيصان الخروج إلى العقير والأمان فأعطاهم ذلك وغيرهم أناس فخرجوا من الإحصار والأحباس وأرسلهم إلى العقير مع محمد بن ديماس وكان إذ ذاك لم يتسنى ذروة الضلال والإبلاس فقطعوا في ليلتهم تلك المفاوز والقفار ، وركبوا صبيحتها متن زاهر البحار وامتطوا كواهل فلك السيارة وتيمموا أهل الزبارة ، فقدموا عليهم ولم يكن عندهم من الحال خبرة ولا اشاره حتى فاجأهم بغتة ذوو النياره وشرحوا لهم عن الحسا أخباره وصرّحوا لهم أن قصدنا بفعلنا أن نذهب وآثاره ولم يعلموا أن الله تعالى على عباده غاره وأن الله تعالى يؤيد دينه وأنصاره وينصر أهيله وأحزابه وأصهاره ويريد تبينه في أماكن الرجس وإظهاره وإثباته في الإحساء وقراره ، وأبطل الله كيدهم وما يصنعون ( أم يريدون كيذا فالذين كفروا هم المكيدون ) ولما أراد الله تعالى إبراز حكمته وتبيين آثار قدرته واستنارة البرهان والحجة وتقويم واضح المحجة ، قدم سعود مستهل ذي الحجة فنأدى لسان الحال مبشرا بالسعود والإقبال ومنذرا لدوى البدع والضلال فأعلن وقال : الحمد لله الذي أطلع شمس الكمال في مطالع السعود والشكر له على ما أعطى وأنال من الكرم والجود برؤية هذه الطلعة السعيدة والغرة المنيرة الرشيدة فأناخت بقرب النعائل ، أولئك الجنود وخفقت رايات الإسلام والبنود وأصبح جبل الحق ممدود وفاز أهل التوحيد بالمقصود ، وتلت ألسنتهم عند ذلك الحال المشهود على سبيل الهنا ونيل المنا وإبداء لشكر مولاهم الكريم وإظهارا للثناء والتبجيل والتعظيم ( وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ) ودارت كؤوس الأنس والأفراح وامتلاء القلب بالفرح وارتاح وهينمت في الأجساد والأشباح حداة النفوس والأرواح على سطح البسيطة بالطول والعرض ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ) ونصبت بذلك المحل والمكان خيام التوحيد والإيمان



فغنت بلابل السرور على الأغصان ورجعت الأغاني في الألحان وكررت قول من قال  
في غابر الزمان :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عيننا بالإياب المسافر  
وطارت قلوب أهل الزينغ والضلال حين مد فسطاطه وظلاله وأبصروا فرسانه  
وأبطاله وشاهدوا خيله ورجاله ، وقد كانوا بها يكذبون وحق بهم ما كانوا به يستهزئون  
وندموا على السلم حين فات وقالوا ياليتنا نرد وهيبات وتمنوا الموت على الحياة (أفرايت  
إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون) فلم يك إلا قدر  
حط الرحال وتسوية الأحمال والأثقال فتلقاه أهل المفهوف باستقبال ونهضوا عليه  
يسلمون ونهدوا إليه مستسلمون (قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان  
على ما تصفون) فقابلهم بالقبول والتوقير وعاملهم بطلائع التيسير ونفى عنهم صنائع  
التعسير وتلا لسان حاله على منهج التبشير لعلمهم بما أشار به لهم يفرحون (إن الله يأمر  
بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم  
تذكرون) فأعطاهم إلا من دخل في الردة الأمان وأدخلهم في دائرة أهل الإيمان  
وأخذوا يبايعونه على الإسلام بالإيمان وداعى الحق يذكرهم بآى القرآن عساهم  
به يتعظون (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم  
الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون) ثم أقبل أهل المشرق إليه أرسالا وقدموا عليه  
عجالا وقد رعبت قلوبهم مخافة وأوجالا وتغيرت وجوههم ألوانا وأحوالا لقبح ما كانوا  
له يصنعون (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون)  
وقدموا بشعائر الذل والهوان على الإساءة منه والإحسان إذ ليس عندهم منعة  
ولا مكان عن القدوم به يتحصنون (لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه  
وهم يجمعون) فشرع معهم في المبايعة والمعاهدة على المتابعة والمعاقدة والتزام حبل  
الطاعة والمساعدة وهم على الوفاء له يقسمون (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم  
ولكنهم قوم يفرقون) وأتاه أهل المبرز أهل الإيمان والاسلام لأداء واجب السلام  
وتجديدا لعهد الاسلام فقابلهم بحسن البشر والاکرام جزاء بما كانوا يعملون (ومن يعمل  
من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون) فلما انقضت أيام العهود  
وخفّ إتيان الوفود بادر إلى ما هو الأهم والمقصود وأخذ في تقويم السنن المحمود

الذى به المسلمون يأمنون ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ) وجرد مرهفه المحدود لإقامة القصاص والحدود وأورد الحمام المورد غالب من باشر الردة الثانية في يومها المشهود فعدوا لكأس الردى يتجرعون ( وما ظلمهم الله ولا كن كانوا أنفسهم يظلمون ) وأردف جماعة من المعتدين وثلة من الفساق المفسدين وزمرة من الرافضة المبتدعين الذين هم عن الصراط ناكبون ( إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ) فأففى رءوس ذوى الشر والفساد وأراح من شرهم جميع العباد وأزاح باقيهم عن البلاد لاسيما ذوى الشقاق والعناد الذين هم في الأرض مفسدون ( ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ) ودام القتل أياما واستمر ومكث مدة واستقر وكل يوم يختبر عن المفسدين الخبر ويقتل من اطلع عليه وعثر حتى استبرى الحال والخبر وعرف أنهم ليسوا بها يمحئون ( ولورحمتناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طياتهم يعمهون ) فشاد في البلاد أركان الإسلام وأذن بالتوحيد فيها بالإعلان ورفع ناسنة الأعلام التي كان الولاة لها يمحرون ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ) فبدأ بتسوية تلك القبور وإزالة ساعياتها من المخطور وقطع تلك الأوقاف والنذور التي أهل الباطل لها يصرفون ( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ) وأرسي بها قواعد الدين فأسمى أهل الباطل مشردين ، ومحا آثار الباطلين ( فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين — قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ) وضربت سرادق الأمن والأمان وأسس قصر التوحيد بأعلامه وأحكم غاية الأحكام في البنيان ونودى عليه بأفصح لسان وأهل الإسلام له منصتون ( إن الله لنوفى فعله على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ) فحينئذ نبذ الضلال ماته ونعى الشرك حزبه وأمته ، وبكى الرفض أصهاره وفئته لأنهم كانوا له يشيدون ( أنمكا آلهة دون الله تريدون ) وفقد أهل العزى عزها وجعل الخراب جزاها وأهل اللات لها يتبعون ( قد خيروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ) ومحقت رسوم البدع والأهواء والإلحاد ، وهدت دعائم الجور والعماد وأورق غصن الحق وماد وبطل ما كانوا عليه يمحفون ( والله مع الله بل هم قوم يعدلون ) وأقبلوا على ما أوجبه الله تعالى وفرضه

ودحض أهل الضلال والرفضه وكل هجر ما كان يدين به ورفضه وضل عنهم ما كانوا يزعمون (إله مع الله تعالى الله عما يشركون) فاندروست والله الحمد تلك الحقائق وعطلت تلك الطرائق ، ولم يكن لها موافق ولا مرافق ( بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ) وخرّ عرش الشرك ووهى لما علاه التوحيد ودهى وعرف بطلانه ذوو النهى وشمروا فيما أمر الله به ونهى ( وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها و ما ربك بغافل عما تعملون ) وجدّ في تعلم التوحيد الضعة والشرفا فوجدوه لمرض القلوب دواء وشفاء ( ولم يجدوا عنها مصرفا ) و ( قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون ) وقرر أصحاب الأوقاف والأحباس وحث أرباب المدارس على تعليم الفقه والتوحيد للناس ، فوجدوا عظيم السرور والإيناس واستمر علماء المذاهب يدرسون ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ) وأقر في أيدي أهل السنة جميع تلك القربات والأسباب بل زاد غالبهم من بيت المال واجتهدوا في القيام بوظائفهم بسرور بال ، فهم لهذه النعمة شاكرون ( لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ) . ولما فرغ حرسه الله تعالى من ذلك العزم والتجريد ، لإقامة سنن الدين والتوحيد ومهددا أحسن تمهيد لعل الناس لها يسلكون ( فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) شرع ينظر في الرعية بالتغيير والتبديل ، ويدبر أحوال التأديب والتنكيل على سبيل التسوية والتعديل بين أهل المفهوف وكافة القرى وهم لها يوزعون ( فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون ) وفاز أهل المبرز بحسن الحال والسلامة من الأغلال والنكال وطابت لهم العاقبة والمآل لأجل ما كانوا له يدعون ( أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون ) وشد عليهم في ذلك النكال مقابلة لما في بيوتهم من الأمتعة والأموال لأنهم دخلوا في العهد على ذلك الحال لعلهم عن مثلها ينتهون ( ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ) ومكثوا تلك الليالي والأيام يقاسون حرارة الضنك والالزام ، ويبيعون ما عندهم من الأمتعة والحطام لأداء ذلك الالتزام ( ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ) وطلب منهم جميع ألوان السلاح ومن أخفى

عليه شيئا فليس له في بلده مراح ، بل دمه هدر مستباح ، فلم يكونوا لشيء منه يخفون (وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ) ثم أمر بهدم الأسوار والبروج ولا يكون للردة منهج ولا عروج ، فأصبحوا بها يهدمون (أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون ) فهدمت أسوار قراها والبلدان مخافة أن ينزع بينهم الشيطان أو يطمع بها أحد من العدوان ويحسبون أنهم يعمنون (ولقد أهلكننا ما حولكم من القرى وصرّفنا الآيات لعلمهم يرجعون ) ولما تم بناء ذلك القصر المحكم المشيد على كل وجه من الأحكام والتسديد والفاظ وارتفاع السمك والتجويد ، ووضع فيه من آلات الحرب والطعام وما يحتاج له المرابطون (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وأعد قطعة من خيله وركابه ، وجيشا من جنده وأصحابه خارج عن القصر قريب من بابه ، لإخافة العدوان وأربابه ولتذب عن البلد من أتوا يخربون (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون) .

ثم دخلت السنة الحادية عشرة بعد المائتين والألف . سار سعاد من الإحسا إلى الله الرتبة القعسا ، لما اشتاق حرسه الله إلى نجد وصبأ ، وهيج شوقه نسيم الصبا وتواجد لها شوقا وطربا ، كيف وهى الوطن الذى به يستوطنون (ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) أمر بإشخاص قوم كثيرة وحمائل ، من ضمة الناس ، وغالبهم أمائل متفرقة من تلك القبائل ، أنهم يحلون فى الدرعية ويسكنون (يا عبادى الذين آمنوا إن أَرْضِي واسعة فايأى فاعبدون ) ثم أمر بالرحيل والترحال وأن تقدم تلك الأحمال ، وتعجل عن وجه الأثقال ، ثم شدت له الرحال فاستوى عليها وقال ما كان الساف يقولون (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) وجد فى السير إلى نجد بعد ما حاز ذلك المجد وأكثر الشكر والحمد للمولى الذى له الخلق يثنون (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) وحين قارب أن يلقي عصى السير والتسيار ، ويحط الرحال فى رفيع تلك الديار ، وشرع إليها فى النزول والانحدار من المحل الذى لها ينحدرون ، قال (رب إني أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وبدأ المسجد حين دخوله بالتحية ، ثم قصد والده والأهل والذرية ، واستقر مجلسه مع والده وأعيان الرعية ، وطفق عبد العزيز يشوقهم

لما عند الله لعلمهم في الدنيا يزهدون ( وما أوتيتهم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها  
وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ) وفيها وقعة أحزاب ثويني ؛ ولما استقر بهجر  
عمود الدين والإسلام ونشرت على رغم أنوف العدى للهدى أعلام ، وثبت أصل  
التوحيد ورسا في جميع بلدان الحسا غشى قلوب المبطلين الحزن والأسى وتمثلوا ببيت  
عسى وعسى ، فهم على تكرار الصباح والمساء لعودة الباطل مرتجون ( فأعرض عنهم  
وانتظر إنهم منتظرون ) وشوت قلوبهم حرارة الحزن ومرارة الهم والحن حين ملك  
أهل الإسلام ذلك الوطن ، وثوى فيه التوحيد وقطن ، وضاق بهم فسيح الأرض فضلا  
عن العطن ، وعرفوا أنهم متبعون ( قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا  
تستقدمون ) فأرجف الله تعالى قلوبهم خوفا وفرقا ، وسفحو ذلك دموعا وعرقا ، وازدادوا  
ذعرا وغيظا وحنقا وساروا للتخريب عليها وخدا وعنقا وقصدهم لنور الحق يطفئون  
( يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وبأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون )  
وتعاضم ذلك الأمر عليهم وأربى وسعوا في تغييره شرقا وغربا ، وتداعوا عليه عجماء وعربا  
ولم يعرفوا أن للدين ربا ( لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون - بل جئناكم بالحق ولكن  
أكثركم للحق كارهون ) وتجرعوا من سماع هذا الأمر غصة ، والكل أخذ من عظيم  
الحزن حصة ، حين رأوا أهل الإسلام على هذه المنصة ، وودوا لو يدركون فرصة ، على  
المسلمين بها ينتهزون ( لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر  
أمر الله وهم كارهون ) وشمروا ذبول المهمة بالتبديل والانقلاب ، وجدوا إلى تحصيلها  
في الأسباب والسعى في بواعث الاجتلاب ، فآبوا بذلك بشرّ مآب ، وما ظفروا بما  
يرتجون ( وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ) فملئوا بطون  
الصحف والأرقام من نفث اليراع والإقدام ، وبث ما في الصدور والأوهام ، فزخرف  
القول والكلام وأرسلوا بها إلى البشاوة والحكام لعلمهم في إزالة الدين يسمعون ( ولو  
شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ) وأقام في ذلك الصغار والكبار واجتمع عليه  
السفلة والخيار ، وشمرفيه ساعد الجد والازار فباءوا بالخيبة والأوزار مما كانوا فيه  
يمترون ( ولا تركنوا إلى الذين ظالموا فتمسكم النار ومالك من دون الله من أولياء ثم  
لا تنصرون ) وانتدب إلى هدم ما قد أسس من الدين وبان ، وإزالة ماله من أساس  
وأركان كل رئيس وعالم شيطان من جميع النواحي والبلدان ، ونمقوا في الطروس

بيح الفعل والبهتان ، وأرسلوها إلى الباشا سليمان وأقسموا له فيها أنه لا يصلح لهذا لشأن ولا يقوم بأعباء الرياسة ومصادمة الكتائب والشجعان ومنازلة الجموع والأجناد من سائر العربان ، ومقابلة هؤلاء العصاة العدوان ومقاتلة حضرهم والبدوان ، وإزالة أثرهم من الحسا ، ومحاصرتهم في البلدان سوى ثويني من الأنام إنسان ، ولا يقدر على ما ذكرناه إلا هو ذو الهيبة والشان ، فأطلقه ورأسه حتى ترى ما يسر الأعيان ويقر الناظر له في العيان ، وتحمد أثر سعيه في قريب من الأزمان ، وترى أهل الدين من سطوته يهربون ومرادهم على الدين يخربون ( واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ) فلما دعا الباشا ما حرروه ووعا ما أثبتوه وقررره وتأمل مفهوم ما قد خبروه وعرف منطوق ما سطره وخفى ما كذبوا فيه وزوروه ، أمر بإحضار ثويني عنده فأحضره وخلع عليه ورأسه وكبره ، وعقدوا له الحكم على الحاضرة والبادية وأمره ؛ ولم يقف الباشا على حقيقة ما خبروه وأنهم قد بدلوا الأمر عليه وغيره وحذروه من هذا الذي نفروه ، وما هو والله إلا كذب افتروه وأعانهم عليه قوم آخرون ( إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ) حين حظى ثويني بالرياسة ونالها وحاز من آماله منالها نادى برفيع صوته ، أنا لهؤلاء الطائفة أنا لها ، وأعطى جماعته الأيمان على ذلك وأنا لها وهم لأيمانه مصدقون ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ) وندبوه على قتال أهل الدين والتدمير وحشوه على آلات التسيير وتعجيل الظهور والمسير وحرضوه على أن لا يبقى منهم صغير ولا كبير ولا يذر شريفا ولا حقير ، وكان يسمع من اللطيف الخبير ، جميع ما به يحرضون ( فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ) فأقبل متنعسا بإزالة الدين من أساسه ، وإطفاء نوره من نبراسه وتغيير منهاجه وانتكاسه ، وقتل كافة أنصاره وأحزابه وأناسه ، واستئصال شأفة بلدانه وأعوانه وأجناسه ، واغتر بما جاء به من سواد رجسه وأرجاسه وغوغاء أجناده وأحزابه وأنجاسه ، ورام هذا المرام لقوة بأسه وما شعر أنه مسوق إلى قطع رأسه واستيفاء بقية أجله وأنفاسه ، ولم يعرف ومن معه من هم له محاربون ( فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ) وهبط من بغداد بعد مقاساته بها الأنكاد ومعاناته هم الأسر والقياد ، والغم الذي غشى الفؤاد ، فأسرع في الامتثال

والانقياد وإحكام آلات الحرب والأهبة والاستعداد ، وحشد الجيوش والأجناس والاستعانة بالأسباب والامداد من كل ناحية واطر بلاد ، وكلهم بما قدروا عليه يمدون (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ) وصحب ثوب الخيلاء والتهيه وجره ، وأوطأ سنابك خيل جيشه الحجره ، واختال بما داخله من العجب والأنس المسرة ، التي كان في ضمنها له الهلاك والمضرة ، والذل والهوان والمعرة .

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يخفى عليه اجتهاده  
فكان والعياذ بالله كالجادع أنفه بكفه ، والباحث عن حتفه بظلفه ، وهذا شأن الذين يستدرجون ( والذين كذبوا بآياتنا مستدرجهين من حيث لا يعلمون ) وحث السير يريد الفيحاً وصولاً ، وطوى بأيدي الجياد من المهامه صعباً وسهولاً ، وعزم أن يفي بعهده ( إن العهد كان مسئولا ) حتى يصادف من الباشا رفعة وقبولاً ، ولقد تكلف بما ليس والله في طوقه ( إنه كان ظلوماً جهولاً ) وشمخ بأنفه وجرلاً كبيراً ذيولاً ( إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ) ولكن أكثر الناس لا يتدبرون ( وأخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجعون ) ولما قارب دخول البصرة في الاقبال وتبين له منها رسوم وأطلال ، خرج إليه أهلها من الفرح باستعجال وتلقوه بالقبول من أميال وبأدروهم بالحشمة والإكرام والإجلال وأظهروا من التوقير والخدمة والامثال ما لا يخطر على البال ولا يحصره في البيان المقال ، فدخلها بأبهة تغشى عيون الناظرين رونقا وحسنا ، وتنجل المتأملين فيها ألبابا وذهنا ، ويهر العقول مشاهدة ذلك المقام الأسنى فتتقص عند مطالعته مهابة وجبنا ، وتقول ياليت لنا مثله ، وكذا أهل الدنيا يقولون ( ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ) ولم يستقر قراره في البصرة بل ساعة دخلها أخذ يجهز أمره ويظهر تجبره وبأسه وقهره ويمجد في أسباب الحرب والمكايد خفية وجهرة ويحذر الناس سطوته ومكره ويخوفهم لكي يساعدهو ويشدوا أزره .

ولقد بذلوا الجهد في مساعدته وحققوا عزه وغلبته ونصره وما جال في خلدكم أنه قد حفر لنفسه من الشر حفرة وهي لمصرعه بيديه قبره ، ولقد كانت حاله لدوى العقول عبرة ولكن أكثر الناس لا يعتبرون ( قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ) .



وفي حدود إتيانه البصرة ووصولها وهبوطه إليها ودخولها ومكثه فيها وحلولها أتمته  
 من رؤساء ما تليه من البلدان ومن العلماء الذين هم لهذا الدين عدوان وعلى محقه  
 من الأرض أعوان محررات الوسائل للنفوس ومحبرات الرسائل في الطروس، والصحف  
 التي أجيد في السجع منشورها والقصائد التي جلى بالهتان صدورها وأفصح بالعداوة  
 والبغى منشورها وأبان محض الحسد والاستكبار صدورها فكانت والله الحمد شؤما  
 عليه قدومها وظهورها لما بالغ فيه من الفحش بهتانها وزورها وتعدى فيه عصيانها  
 وفجورها ومضمون تلك الرسائل والقصائد ومطلوبها من الأمانى والفوائد حثه  
 على سرعة التعجيل لما هو قاصد لكي يفوز بما أملوا من المقاصد ولم يجر على بالهم  
 أن الله تعالى له بالمرصاد ( وأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون - قد قالها الدين من قبلهم  
 فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ) واستغاثوا به في منشورهم ومنظومهم وندبوه وسألوه  
 تعجيل النصر لهم وطلبوه ولم يخشوا الله تعالى في ذلك ولم يرهبوه ووعدوه الأجر  
 على ذلك ورغبوه، وتألوا في نصره على الله فيما كتبوه وليتهم لسوء هذه الجرأة يفهمون  
 ( أم يحسبون أننا لنسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ) وأعنفوا في سيرهم  
 ذلك ، ونصوا وعموا في حكمهم له وخصوا وجزموا له فيما زخرفوه له بالغلبة ونصوا  
 وما اكثرثوا بمن عليه يجترئون ( ومن يعيش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطانا فهو له  
 قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ) وقد وصل إلينا من هاتيك  
 الديار منظومة لابن فيروز من تلك الأشعار متضمنة لأقبح العار تبين فساد مبنائها  
 وبطلان مفهومها ومعناها بأول وهلة قبل التأمل والاختبار ، كيف وقد صرح فيها  
 ناظمها ومنشئها بالاستغاثة بملك جبار وظالم تعدى وجار ، والدعوة والاستغاثة حق للواحد  
 القهار كما هم في محكم التنزيل يقرءون ( والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم  
 ولا أنفسهم ينصرون ) ولقد نظمها ابن فيروز وأرسل بها إليه وقدمت البصرة عليه  
 فقابلها بالقبول التام وأبدى من حسن القبول والإعظام ما زاد على السؤل والمرام وأمدّه  
 بكثير من الخطام ، وكان بينهما قبل ذلك محبة وصحبة والتئام ومعاشرة ومواصلة وانتظام ،  
 فهم على الخلة مجتمعون ( الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عباد لا خوف  
 عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ) ، وهذا نصها :

أنا مل كلف السعد قد أثبتت خطأ      بأقلام أحكام لنا حررت ضبطا

وقد أجاب عنها المصنف وأرسل بها إليه :

## وهذا نص الجواب

على وجهها الموسوم بالشوم قد خطا  
تخطت فأخطت في المساعي مرامها  
وثارت لنار الشرك تذكى ضرامها  
لقد شوّعت ما زخرفته بزورها  
وقد جاء منشئها بزور ومنكر  
وحان به داعى العناد لمهيع  
فضلّ عن الإرشاد للحق واعتدى  
وجاوز منهاج الهداية راضيا  
يحاول تشييدا ورفعاً لما وهت  
ويسعى بتحريض وتهيج فتنة  
وربك بالمرصاد ممن يريد أن  
فلا عجب من يعيش عن ذكر ربه  
لقد خاب من مسعى غدا طول عمره  
ولا كابن فيروز يروم سفاهة  
وصار يذود الناس عما أتى به  
ويدعو إلى نهج الضلالة معلنا  
يغالب أمر الله والله غالب  
ويرجو من المخلوق غوثاً ونصرة  
وذاك من الأقدار ما فك نفسه  
لئن كان يدعو لتفريج كربته  
فبشره بالخسران والذل إن سعى  
ومن جرّب الأشياء يكفيه ماجرى  
وينظر في عقبى الحيانة والردى  
ولاشبههم في تلك القضايا مواعظ

عروس هوى ممقوته زارت الشطا  
ومرسلها عن نيل مقصوده أخطا  
وسارت فبارت والإله لها قطا  
كما أنه بالمين قد أحكت ربطا  
وخش وبهتان يعط به عطا  
تنكب عن سبل الهداية واشتطا  
وغط أناسا في طريقته غطا  
عن الدين بالهدنيا فما نالها بسطا  
قواعده فوق البسيطة وانحطا  
تصير إذا شئت لحاء العدا شمطا  
يؤسس ركن الشرك من بعد أن حطا  
يقيض له الشيطان ينشطه نشطا  
يصد عن التوحيد من دان أو شطا  
دفاعا لحق في البرية قد وطا  
أجلّ شفيع في الجزا للوى يعطى  
ومنهاج أهل الزينج جهرا به أطا  
ويندب من لا يملك الرفع والخطا  
يناديه من بعد أغثنا بلا إبطا  
ولم يغن عنه المال إذ بذل الشرطا  
فليس سوى الرحمن ندعو بلا استبطا  
بهضم لهذا الدين أو وافق الضغطا  
ويلغى أباطيلا عن الاهتدا شحطا  
فكل امرئ خان العهد غدا سقطا  
يرد بها عنه الغواية والهمطا

وكم دولة كادت وقادت جموعها  
يريدون إخفاء لما الله مظهر  
رويدا فوعد الله لا بد واقع  
ومن عارض الأقدار أو سخط القضا  
وما ذاك إلا معتد ذو حماقة  
فويل له يوم القصاص وحيث لا  
سمت عصبة التوحيد عما يشينهم  
أيوصف بالطاغوت من جدد الهدى  
وأعلن بالإسلام والدعوة التي  
وقام بأمر الحق في جاهلية  
وأطاع مولاه نجوم سعوده  
فسبحان من عم العباد بحلمه  
يكفر قوم بالكتاب تمسكوا  
وما عمموا بالكفر بل خصصوا به  
أفي محكم التنزيل تكفير من دعا  
أهل الهدى والزيغ والفرق التي  
وهل جاء في التنزيل والوحي شاهد  
ومن قد نحا في الدين سنة صحيحة  
فتبا وسحقا يالها من مقالة  
لينظر ذو الأحلام والعلم والتقى  
وفي غربة الإسلام أعظم شاهد  
وبرهانه العقلي نصره رهطه  
لقد رفعت أعلامهم بأميرهم  
بهم أسفرت شمس الدجى بعد دجنها  
ذوو الحزم والتسديد والعزم والنهى  
يذودون عن ورد الدنيا نفوسهم

فبادت وما فادت وما أدركت مسطا  
وإتمام نور الله بالحفظ قد حيطا  
وقد وعد التمكين من عمل القسطا  
فربك قهار له المنع والإعطا  
توغر في الإيلاس واغتر وانغطا  
مناص وأهل النار تسرطهم سرطا  
وعن وصفهم بالكفر لكنه الإخطا  
وأحيا أصول الدين والسنة الوسطا  
لها كشط المختار رأس العدا كسطا  
وأهل الردى والشرك تحسبه خلطا  
بآل سعود حين صاروا له سبطا  
وفي هذه الدنيا بأمهاله غطا  
وبالهدى والإجماع ما خالفوا شرطا  
أناسا من الإشراك أعمالهم حبطا  
إلى الله والتقوى وإسلام من شطا  
تحرّف وحى الله حازوا الهدى خرطا  
بتحقيق إسلام الروافض قد خطا  
ينادى عليهم أنهم خبطوا خبطا  
من الإفك والبهتان قد سحبت مرطا  
إلى أى قوم في الهدى تبعوا الخطا  
بإسلام من قد قام يدعو الورى عبطا  
وتمكينهم في الأرض أكرم بهم رهطا  
وأبناء أسد الحرب بل بأسهم أسطا  
وزال ظلام الشرك من بعد مالطا  
وأهل المعالي والفخار بهم ينطا  
ويسخون في نيل المزايا بها سفظا

فقد بذلوا في ذا النفوس فأحرزوا  
وقد ولي الحسا سعود فأسعدت  
وأبعد أهل الشرك عنها وأبعدت  
وقرر أرباب الوظائف كلهم  
مدارسهم معمورة معلومهم  
وما أبطلت أحكامهم حينما أتى  
نعم هدمت للرفض فيها كنائس  
وما كان من جور ونكث وبدعة  
ولم ينف الأكل من عمل الردي  
فليس ترى إلا مفيدا وهاديا  
وأمر بمعروف وتنكير منكر  
وحثا على فعل الصلاة جماعة  
فله رب الحمد والشكر دائما  
لقد من مولانا علينا بمنة  
وصب علينا من شآبيب بره  
بانقاذنا من غمرة الشرك والهمى  
عسى الله يعلى في الجنان محمدا  
ويحرسه عن كل سوء ونسله  
أبا عمر هنيئ بل هني الورى  
إليك القرى والمدن ترنو عيونها  
وترتاح من عاليا سعود وانصره  
جهاز لما المنصور بالبشر تلقه  
فقد طرز الإقبال آيات فوزه  
ودم شارباً كأس المسرة والهنا  
وأزكى صلاة يفضح المسك عرفها  
كذا الآل والأصحاب ماخط كاتب

به العز ياطوبى لمن أدرك القطا  
مساعيه أهل الخير فانتظموا سمطا  
مذاهم فيها وما أبصروا غمطا  
وما شاهدوا في كل أوقافهم هبطا  
وما ثبطوا عن نشر أحكامهم ثبطا  
بإبطاله الشرع الشريف وما أخطا  
وكل شعار الرفض عن أرضها ميطا  
ولهو وتابوت وكل الدعا معطا  
ومن كانت سبابا لمنطقه مسطا  
وعلموا وتحديثا بذاتسمع الالغطا  
وتنكير من قد قارف الذنب والسخطا  
وتوبيخ من عنها تخلف أو أبطا  
على نعم لم يحص نظمى لها ضبطا  
وخولنا من فضله خير ما أعطى  
سحائب رحى قد حوينا بها غبطا  
ولولاه كنا في غياها ورطا  
ويولى الرضى عبد العزيز الذى وطا  
ويبقى سعودا فى سعود وفى ابطا  
بما نلت والتوحيد حاز بك البسطا  
تمناك ترعاها فتملؤها قسطا  
وتغبط نجدا والحسا الآن والخطا  
وتفرش إكراما لإقدامه بسطا  
براياته والنصر والفتح قد خطا  
بأطيب عيش والعدا تأكل الخطا  
تعم رسولا فى الورود لنا فرطا  
ونقى فى مرسومه الشكل والنقطا

ولنرجع إلى تمام الحديث عن تويني وحاله وشرح مسيره وتدييره وتدميره ومآله وذلك أنه لما أقام في ذلك المكان في ترتيب الحال وتدير ذلك الشأن ، واجتمع عنده من أحباس الأجناد لغات مختلفة وألوان ومن عدة الحرب والمدافع وآلاتها وقاداتها وحمايتها ورماتها ما يذهل الأذهان ، ولم يجتمع قبله مثله عند إنسان ، ولا أحكت سياسته من هو في شكله من رؤساء الزمان وانتظم ذلك في قليل من الشهور وانتقادت له طوعا استدراجا صعب الأمور ، أذن مؤذن التعدي والفجور في تلك الجحافل والمحافل والعسكر المجرور بالارتحال والمسير إلى الاحساء فالنفور والمبادرة بالخروج والظهور وتردى برداء الإعجاب والغرور ، ونسى يوم البعث والنشور يوم يساقون للحساب ويحشرون ( كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ) وانضم إليه كثير من سواد البوادي والأعراب ونسلوا إليه من كل فج وباب وتنادوا بينهم أن اغدوا للأخذ والاستلاب ( جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ) وسمحت نفوسهم على المساعدة وتقوية الأسباب بما كانوا يبعضه يبخلون ( إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ) وأقبل جميع آل ظفير إليه ، ونزلوا بأجمعهم عليه وكانوا معه ولديه وخلعوا ما ادعوه قبل من ذلك اللباس وجنحوا إلى سنن الإبلas ، واستحوذ على رؤسائهم الوسواس حتى أنزل الله تعالى بهم اللباس وكانوا عن سبيل الحق يصدون ( هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ) فزحفت تريد الحسا تلك الجنود والجموع التي ضاقت منها الأودية والفجاج والوهود ، وقاد معها القنابل والقنابر والمدافع التي أصواتها كالرعود ، وجدوا يريدون أن ينالوا المقصود ففضى الله تعالى أنهم يساقون لحياض الحمام المورود ويعجلون لأجلهم المعداد في ذلك اليوم المقدر المشهود ، وأخذوا من حيث لا يظنون ( فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يرون ما يوعدون ، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ) فلما تحقق عبد العزيز الامام الخبر عن تويني بصحيح الكلام واشتهر عند الخاص والعام أنه نشر للظهور الرايات والأعلام رفع يديه لمولاه وسأله ودعاه وألح في دعائه وناداه وقال وهو من الاجابة على يقين : يا من يحيب دعاء المضطرين ولا يخيب رجاء المرتجين ويكشف السوء عن المكروبين ، أ كفنا بحولك وقوتك المعتدين واصرف عنا شر الضلال والمشركين وانزل بأسك بالمجرمين واقطع دابر

( ١٣ - تاريخ نجد - ثان )

الظالمين وشتت شملهم أجمعين واجعلهم في كل فج ممزقين ، فلم يتم حينئذ دعاءه حتى قوى في يقينه رجاؤه وغلب على ظنه أن البلا كتب على جميع ذلك الملا وأن الهلاك عليهم قد سطر والإذلال عليهم رقم وزبر وقد فرغ من ذلك وقدر فتلا ( سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ) فحقق له ذلك الرجا وأنجح له مآمله وارتمى ، ولم يكن باب الإجابة عن قبول دعائه مرتجا والله يحب الذين إليه في كل حالة يتضرعون ( أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله قليلا ما تذكرون ) ثم بعد التضرع والاقبال والدعاء والسؤال والتذلل بين يدي الله والابتهاال أمر سعوذا والمسلمين بالتجهز والخروج أجمعين لمنازلة المبطلين ومصادفة المسرفين ، وأرسل بذلك إلى كافة البلدان من هو داخل في دائرة الإسلام والإيمان البعيد والقريب والقاصي منهم والدان ، فكل أجاب طلبته ومراده ولي دعوته وإنجاده ، وخرجوا للطاعة بدارا وللجهاد شوقا واختيارا ، وقد بلام الله بذلك اختبارا ، وامتنحهم ليميز الخبيث من الطيب جهارا ، فلقد أبدى الله سبحانه وتعالى في هذه الحادثة برهانا ساطعا وحكما قاطعا من الآيات والأسرار المطوية الحفيات والأمور المكتومة الخبيثات ، والعقائد التي في الصدور منظويات والأهوية التي هي قبل مائلة إلى الردات والقلوب التي هي مملوءة بيفض هذا الدين من البريات وتربص بذلك الدوائر من أهل الشرك والضلالات والأفئدة التي هي بالإحن على أهل الدين مشحونات من البدو والحضر من غير تعداد ولا حصر ففضح الله تعالى خلقا كثيرة فافتضحوا وزين لهم الشيطان أعمالهم فما فازوا ولا ربحوا حيث رغبوا في الردة حينئذ وجنحوا فأوبقتهم الأعمال ، فأخرجوا إلى دائرة العدل والاهمال وزال عنهم الاستدراج والإمهال فانقطعت بهم الآمال في مفاوز الهلاك والوبال ، ضنوا حين رأوا قوة ذلك العدد والأسباب أن هذا إبان حلول العذاب وأوان الدمار والذهاب ، على أهل نجد بل جزموا به من غير ارتياب ولم يعلموا أن هذا هو ورب الأرباب كله على القطع سراب فكم غر قبلهم من قبائل وآل في البيداء المضلة لمعان الآل ؛ ولقد رفع أعلام الآيات الكبير المتعال لكل من له قلب سليم ولب كامل وبال ، وأبرز القواطع على تفرده بالألوهية والعبادة والكمال في تلك الحال وغيرها من الأحوال ، فأبى الا الصد والإعراض أهل الالحاد والضلال وقالوا ليس لنا عن سنن أسلافنا انتقال ولا نبرح على ما كانوا

عليه من سالف الأعمال ، وسابق ذلك المنهاج والأفعال حتى نزول الأرض أو تزال ،  
فأنزل عليهم العذاب سريع العقاب والازال فقطع دابرهم باستئصال ، وعاجلهم ذلك قبل  
حصول مأمولهم وإدراك مطلوبهم وسؤلهم ، ونودي عليهم ( أولم تكونوا أقسمتم من  
قبل ما لكم من زوال ) وخرج جيش أهل الحسا آخر شعبان وجيوش أهل نجد  
اجتمع أكثرها في شهر رمضان ، وخرج سعود بلغه الله تعالى كل مقصود في النصف  
الأول من شوال في أحسن حال وأكمل بال ، وقد أمر جيوش المسلمين وامداد  
الموحدين أن يكونوا عند العربان مجتمعين وينزلوا طرف الصمان مباراة لأولئك  
العربان وكبيرهم محمد بن معقل ، فكان أهل الاسلام كلما أقبل أولئك الطعام ونزلوا  
مكانا آخر ، ارتحل ابن معقل ومن معه وجد في ذلك وبادر حتى نزل المسلمون قرية  
ونزل أولئك بناحيها بلامرية ، وكانت تلك الجنود والأحزاب تروم السبق على الطف  
وما يليه من غير ارتياب ، فعرف أهل الدين مرادهم وممشاهم فسبقوهم على ذلك وكان  
عقباهم الخسر ومشواهم . ولما خرج سعود لذلك المنهج المحمود أقام على الحفر يجمع  
عليه الأمداد من كل أرض وبلاد ويرسلها إلى عربان المسلمين وأجناد أهل التوحيد  
المجتمعين وقد أعمل المطى والرسائل إلى جميع العربان والقبائل وإلى جميع قرى  
الإسلام وبلدانه ومن حل التوحيد بأوطانه من أهل الجنوب والشمال ، فانتظم من  
الخلق والأمم ما لا يحصره القلم ولا يعبر عنه ناطق بفم .

ولما تحقق عنده نزول ثويني وادى القرايا ، أرسل حسن بن مشاري رحمه الله  
تعالى مع جنديّة من تلك البرايا حتى يستريح منهم البال ويحسن منهم الحال ، فقد كانوا  
في كرب وأوجال لاسيما من عدم قدوم سعود عليهم بالاستعجال ونزوله عليهم تلك  
الأيام والليالي ، ولم تعبر أحلامهم ساحل الفكر والإحتيال ولم تتجار خيول أفكارهم  
للرأى في مجال ، ولم يفهموا ما ابتداه من نتائج ألباب الدهاة من الرجال ولم يسمعوا  
ماورد في صحيح المقال « الحرب خدعة » والله در المتنبي حيث قال :

الرأى قبل شجاعة الشجعان	هى أول وهو الحل الثانى
فإذا هما اجتماعا لنفس مرة	بلغت من العليا أعز مكان
ولربما طعن الفقى أقرانه	بالرأى قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم	أدنى إلى شرف من الإنسان



فقصر باع الأفهام ، أن تدرك سر التآني في ذلك المقام ، وعدم المبادرة بالإقدام وظنوا أنه إحجام ولم يتعودوا ممارسة العقول بالتدبير والسياسة ، ولم يتأهلوا للقيام بأعباء الرياسة وأضاعوا مواد الحزم وخطبوا خبط عشواء بلا يقين ولا جزم وحكموا بما لم يحيطوا به من علم ، ولم يكونوا من غامضه على فهم ، فاستحسنوا ما ليس بالحسن لكون المقدمة لم تنتج لهم المطلوب في العلن وإلا فالأناة محمودة والعجلة مذمومة مبعودة كما ورد في بعض الآثار ، ومستحسن الأخبار ، ولقد قال من سبق في هذا المضمار :

قد يدرك المتآني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزال

ولقد دبر فكره فيهم مكاييد وأقام لخداعهم رصائد ، ونصب لهم شركا وحباله تقتنصم فرسانا ورجالا ، وأحكم لهم من الآراء درعا سابغة وزرداً يوم الهياج نابغة ، وهمت عند المنازلة لكتائب الأعداء رابغة ، وأسنة مسنونة وعصبة بالنصر مقرونة لم يرقط عن الإقدام لها تأخرو ولا إحجام ، بل لاتزال للوغى طالبة وفي الجهاد راغبة والأرواح ناهبة وللهج سالبة وأراد بهم أمراً أمرا ومن القاصمة كاهلا وظهرا ، فأرسل إلى حسن بن مشاري يأمره أن يجمع عربان المسلمين وجموعهم على مياه أم ربيعة لكونها منزلا للقتال والمحل الواسع لمنازلة الكتائب والمجال ، فعسى العدو إذا رأى هذه الحال يظنها رعبا وأجفال ، فيسرع في القدوم والإقبال فتقع المصادفة والمزاحمة وتصدر المقاتلة والملاحمة فلا يطول مكث لتلك الكتائب حتى يرى سواد سوادى آيب ، فتقع حينئذ في الطعن عجائب ، وتبدو أحوال غرائب وخطوب ومصائب ، فتضحى كماء الأعداء للنجاة طوالب وتلك الأحزاب متمزقة هوارب ، ويضيق عليهم إذ ذاك فسيح المطالب ويمسى كل واحد لكأس النذل شارب ولكن صدور ماجرى تدبير من ليس له غالب ، وإرادة من لا يعجزه في الوجود هارب وخيرة بر وصول حلیم غير عجول كريم جواد يخف بالنصر والإمداد ، من أراده من العباد ، وكفى بارادته وخيرته الموحدين وعصبة الدين من خيرة ومراد ، وبإمداده وإسعاده من إمداد وإسعاد ؛ فسبحان الذي قدر الأشياء قبل الإبراز والایجاد ، فوقع في الـكون ظهورها وبدا مستورها على ما شاءه وأراد .

ولما أتى حسن بن مشاري ذلك الأمر من سعود لم يكن له بد عن الارتحال حتى يتم المقصود ، فارتحل تلك الأيام وترك الإقامة في ذلك المقام وشمر في السير بعد الرحيل من غير أناة ولا تمهيل ، وسار عن الطف وما يليه بعد ما كان له فيها مراح ومقيل

وقصد ما أمره به الأمير لكونه رأيا سديدا وتدييرا من أحسن التدبير . فعند ذلك طمع الأعدا وكافة ذوى الردى وحسبوا أن ذلك مخافة وجبنا ورعبا أطار قلبا وذهنا فزحفوا إلى المكان الأدنى فأكسبهم الله ذلا ووهنا ، وأهلكهم بما كسبت أيديهم وأورث المؤمنين المحل الأسنى ودثرهم من أموالهم وأغنى ، طمس الله تعالى على بصائرهم وأبصارهم وعمى عليهم الحيل والخداع . فلم يهتدوا لذلك بأفكارهم فألقوا أنفسهم إلى التهلكة بأيديهم وهذا شأن قائدهم يغويهم ثم يرددهم ، وقد كشف الله تعالى بالارتحال عن ذلك المكان ما أضمر في القلوب واستكن في الجنان وأبرزه سبحانه من أناس في صفحات الوجه وقلبات اللسان فنطق بالنفاق كثير من العربان لاسيما في ذلك البدوان ، فكاد أن تنفق للنفاق أسواق ويكون للباطل اعتلاق وللازور والكذب اختلاق ومالوا إلى طريق الهوى وحاولوا عن الهدى نفورا و ( إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ) وثبت الله تعالى أهل التوحيد والايان وزادهم فيه تصديقا وإيقان ( وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ) كما في القرآن وصدق الله ورسوله فأولاهم أسنى مراتب العرفان وأفاض عليهم هائل البر والإحسان ، وكانت العقبي لهم مع ما منحهم من رفيع ذلك الشان .

وفي حدود هذه الأيام أرسل حسن بن مشارى جيشا كثيرا من المسلمين . منهم محمد آل على المهاشيري وفراج وصالح بن عياش ، وأمرهم أن يطالعوا أدنى تلك الأحزاب ويرسلوا إلى براك بن عبد المحسن حتى يسرع إليهم في الإياب لأنه قد أرسل إلى عبد العزيز الإمام حدود مسيره إلى الشمال تلك الأيام يبين له ماجرى وأنه لم يرد ذلك المرام ولم تطب نفسه بذلك ولم يتقدم له فيه كلام ، وإني أريد بالمسلمين اللامع والكنى عن ذلك معوق وإن أتاني من المسلمين غزوان بادرت إلى لقاءهم من غير توان ، وكتب كذلك إلى سعود قبل ظهوره من البلد وبعده وبذل فيه جهده ، وكتب إلى حسن ابن مشارى تلك الأيام وهو غير خائف ولا ممارى بل رغبة في الإسلام والإنقياد للأحكام ، فلما سار ذلك الغزو إلى تلك الأقوام لم يحصل لبراك انتهاز فرصة ولا انهزام لكون الأحزاب به مرجفة ومنه محذرة مخوفة ، فصارت له مكشوفة فردت تلك الغزاة منحرفة ؛ وفي هذه الأيام أغار فراج كبير سبيع مع غزو المسلمين حاضرة وبادية فأصبحت خيولهم على المعادين عادية وكانوا عنهم مخبرين وعن قدومهم منذرين

فصاروا لهم مستعدين ف وقعت بينهم مطاعنة شديدة ، وكان للمسلمين فيها أحوال حميدة بعد ما أناخوا للقتال ولم يتبين فيهم رعب ولا إجمال ، فقتل بينهم رجال ، وقتل المسلمون منهم ثلاثة عشر فرسا وأخذوا عليهم آبال ورجعوا في أحسن حال .

وفي تلك الأيام أيضا ، أغار نفجان بن سند الندي مع غزو معه على الضويحي فأخذ منهم إبلا كثيرة وفزعوا يريدون ردها فرجعت أبصارهم عنها حسيرة .

وفي هذه الأيام أرسل سعود رسلا نحو القطيف ومعهم ركب آل مرة لكون الطريق يخيف ، فلما أتوا ذلك المكان وجدوا قوما من العمار العدوان ففجئوهم على غرة ونفذ الله فيهم أمره وقتلوا منهم خمسة وعشرين وأخذوا السلاح وما كانوا له مجمعين . وفيها وقع مطر عظيم وجرى سيل جسيم وكان ذلك وقت الوسمي وأوانه وحينه وزمانه وأول أيامه وإبانته ، فزاد ذلك وأربى وأشفق منه الناس مخافة وكربا وتلاطم موجه وزاد وأزال كثيرا من دكاكين أهل البلاد تعاضم جريانه وطما وصعد بعض البيوت وارتعى ، وطرح بعض نخل من البطحاء ورمى وهدم كثيرا من الركايا وأقيمت منه بيوت خوايا ونالت منه بعض الضرر الرعايا وألقى بيوت أهل الدلم وأزالها وأغرق ما فيها من الأمتعة والطعام والأموال وشالها فغير من أرباب تلك البيوت حالها، فاختطوا بعد ذلك لسكناهم خطة وكان ذلك السيل عليهم من البلاء حطة ونزل على حريم الأبرد كثير كبار لم يعرف له مثيل قتل بهائم كثيرة وكسر جمار بعض النخيل وكسر غالب الأشجار وحصل للمسلمين منه اندعار وهدم كثيرا من الجدران وأشفق منه غالب البلدان فلجئوا في رفعه إلى الله مولاهم فكشفه عنهم ومنحهم مناهم . وفيها أيضا في فصل الصيف أتى سيل أخجل الأبواب والأذهان ولم يجر قبله مثله في سابق الزمان هدم بعض حوطة أهل الجنوب، وحصل للمسلمين منه كروب وهدم من العينة والدرعية وغيرها بيوتا معودة وأغرق زروعا كثيرة محصودة ولكن أدرك الناس به نعمة منيفة ومنة من الله تعالى شريفة حيث استمر سنة يجرى من غير مطر وادى بنى حنيفة ، فطابت لهم البلاد وحسن لهم العيش والحال وأقاموا مدة هذه السنة في أنعم بال ( إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ) . وفيها كثر الجراد وعم في أكثر البلاد وانتشر في غالب الأقطار ورأى في كثير من البلدان والأمصار وحصل للناس من

خلفه الصغار الذي لا يقبل الزجر والالتزجار ولا يعتريه من الوهج اندعار أعظم ضرر وإضرار ، فأكل ذلك الدبى لما مشى ودبى ولم يشعر به الناس حتى طلع عليهم جيشه وبنا غالب ثمر الأشجار ثم ولى بقـدرة العزيز القهار . وفيها غزا ربيع بن زيد أمير وادى الدواسر بجيش من جماعته ما بين حاضر وباد فأسرع في سيره يريد بعض البدوان ذوى الشرك والضلال والطغيان فصبح فريقا يقال له أبو البؤس من شهران فشن الغارة على ذلك الفريق دون إمهال ولا تعويق ؛ فشمر حزب الفسق للقتال بالصدق وعزموا أن يكشفوا العوادي القوارح ويوقعوا من عزمهم بالمسلمين أمورا فوادح تسويلا من الشيطان واغترارا بالصبر عند الطعان حتى رأوا من بأس أهل الدين ما أكذب أمانهم ، فولوا منهزمين وقتل منهم نحو الخمسين ، وأخذ المسلمون جميع المحلة والغنم والابل ورجعوا بالأجر وحسن العمل . وفيها غزا ربيع أمير واديه بجمع من حضره وباديه ؛ فسار بمن معه من المسلمين وحزبه المتبعين يريد بلدان المشركين ، فعمد إلى بيشة ونزل على الشقيقة والجنينة وبادرهم بالقتال بعد أن أبوا الإسلام وحينه ، ثم بعد أن مضوا لهم ليالى وأيام وهو محاصر لهم في ذلك المقام رغبوا في طريق السلم والاستسلام ونزلوا للبيعة على الإسلام فعاهدوا جميعا على ذلك وحسن لهم المقام هنالك . وفيها أمر عبد العزيز أدخله الله تحت كنفه الحرير ربيع بن زيد أن يسير بجماعته إلى رنية مع من عنده من أهل ذلك المكان ومهاجرته ، فسار ممثلا لذلك الأمر حتى أناخ على رنية ، فبنى بها قصرا فلما أحكم بناؤه وتم رفعه واستعلاؤه جعل فيه آلة للحرب وكثيرا من الطعام وأمر فيه محمد بن سعيد بن قطنان ، فحين عاينوا أهل رنية ذلك العمل رجف بهم ذلك الوطن والمحل وضاق عليهم فسيح الرحاب ودهاهم أعظم الاكتراب وحل بهم الأسى والاكتئاب فلم يجدوا منهجا للدفاع ولم يكن عن الدخول في الدين امتناع وإن كانت تفر عنه تلك الطباع وليس لهم في البقاء على حالهم أطماع ، فعند ذلك أسرعوا في الإسلام على المباينة وأقبلوا للعهد متابعين ، فأبدوا أولئك الأقوام مناهج الاستسلام ودانوا لما تضمنه من الأحكام على طريق الإلزام . وفيها غزا محمد بن معقل مع جمع من أصحاب الحساء والمهاشير وأهل نجد وكانت جزيرة العمار التي بالبحر له قصد ، فسار وقد زال عنه ومن معه من الرجال رين النصب والسامة والكلال ، وقد أجهد المطى في السير والترحال ، لئلا يعلم ما دبره وهياه

من الحال ، فلم يزل يجد التسيار ويقدر بمقراض العملات القفار حتى شخص له لمع البحار وسمع زخر موجة التيار وبدأت له في الجزيرة الأشخاص ، فأسرعت الجيوش الإحسانية والأبطال المجربة النجدية إلى خوض اللجة البحرية مستمدين النصر والإعانة السرمدية من خالق البرية ، ولم تسبق قبل هذه في البحر لأهل الدين غزوة ولم يفترعوا من تياره صهوة بل لم يقصدوا نحوه وخاض معهم بعض الخيل ولم يكن لأحد عليهم قبل ذلك صدود ولا ميل ، فشمر يعوم من كان يحسن العوم من أولئك الجماعة والقوم حتى وصلوا إلى ساحل الجزيرة فساروا إليها بأعظم الجريرة ، وحين رأى من بها من الرجال مهول تلك الأفعال علم أن وراءه من القتال أحوال وأهوال ، فركبوا سيارة الأفلاك فكان لهم بها من السلامة أفلاك ولم يكن لهم سبيل ولا إدراك ، وقتل منهم بعض الرجال وأخذ المسلمون جميعا ما بها من الأموال فأدركوا فيها ستا من الخيل الأجاويد ونحو أربعين من إناث العبيد وخياما كثيرة وسلاحا وأمتعة وتقودا وأرباح وفازوا بالأجر والفلاح ورجعوا من الأمل بالنجاح . وفيها أرسل غالب الشريف رسلا إلى عبدالعزيز أصلح الله تعالى له الحال وبلغه جميع الآمال يطلب منه علما من أهل الدين والتوحيد يزعم أنه يقصد بذلك تحقيق هذا الأمر ويريد ويحرض على قدومهم مع من أرسله من البريد حتى يقف على الحال عن يقين وعيان وبحيط بعد ذلك بالعرفان وينجلي له من المناظرة في شريف ذلك المكان ما خفي عليه من مدة أزمان ، وربما تشرق له أنوار شمس البيان ويحصل منه بعد الإباء والإصرار إذعان وبعد النفرة عن عذب ذلك المنهل شرب وإدمان ، فلما عرف إمام أهل الإيمان ما قصده ذلك الإنسان ، وما حرض عليه من المناظرة لديه والتبيان ، رغب أن يكون انقذح له من الدعوة شئ أو نشر له من الحق طى وربما يبدو منه إياب وفي بعد فرط صدود وامتناع ولى ، ويقتضى من شاء عن القرب لذلك المكان ، وأيضا فالهداية والتوفيق قد يكونان في أوقات دون أوقات ، والله في دهره نفحات كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات ؛ وكان من حسن سيرة عبد العزيز وفطنته وبديع هديه وسنته وعظيم فضل الله عليه ومنته أنه يدعو إلى الله تعالى بالتي هي أحسن وأحكم ويرشد العباد للتي هي أقوم ، فرأى إسعافه بذلك المرام وإسعاده واختار أن ينيله مأموله ومراده فعسى أن يكون له سببا للسعادة ؛ فعند ذلك أرسل إليه من أهل الدين من يكشف

عنه شبه البطلين ويوضح له سبل المهتدين وهم أناس من أهل الميز والتبيين وحسن المحاضرة في المناظرة بالبراهين وكبيرهم حمد بن ناصر بن معمر وكان هو الرأس عليهم والمؤمر، فجهزهم بأحسن الجهاز وأتمه وخوّلهم من معروفه أعمه، فجردوا المسير الهمة وقطعوا تلك المهامة المدلّمة حتى أتم الله تعالى عليه الفضل والنعمة وصرف عنه البؤس والنقمة، فوصلوا بعد إنضاء الأعوجيات وإرقال تلك المهریات في سياصب الفلاة ومواصلة السرى في الدجنات بلد الله الحرام ومحلة الحج الذي هو أحد أركان الإسلام، فدخلوها معتمرين فطافوا وسعوا وأتوا بالعمرة على التمام ونحروا الجزر التي أرسلها الأمير سعود إلى بيت مولاه في المروة التي تراق فيها دماء شعائر الله، أوصل الله تعالى إليه أجر ذلك وثوابه وأناله على ذلك القبول وأثابه وبلغه في الدارين مقصوده وطلابه، فقابلهم الشريف بالإقبال وأبدى لهم طلائع الإجلال وتلقاهم بطلاقة وجه واستهلال، وأنزلهم منزل التوقير والسلامة، ووالى عليهم حشمتهم وإكرامهم وأحضرهم لديه مع علمائهم ليال وعقدوا للمناظرة مجال، وتجارّت الأذهان فيها للجدال وشرّعوا أسنة المقال وراموا أسنة الحق بالمحال، ولم يأتوا والله الحمد على كل بما يشلج لهم وهييج البال من النصوص السالمة من الضعف والاعتلال، ولم يجلبوا من البراهين المؤيدة للشرك والضلال سوى موضوعات الملحدة والضلال وأكاذيب الزنادقة وغلاة العباد الجهال التي عفت منار الحنيفية ومالها من معالم وأطلال حين جرت على مباحج مناهج محياها الأذيال؛ فلما تحقّقوا ذلك وعلموه وتيقنوا أنهم لم يجدوا في الدفع وفهموه أجمعوا رأيهم وأحكموه على المغالطة في اللفظ فأبرمّوه. فراشوا في المقال النصال وحدّوها لارمى في النصال ورصدوا للحن في اللفظ والمقال، لما تبين منهم الخذلان والإذلال، فلم يعثروا في سرد صحيح السنة القائمة لهم والأنقال على مافيه لبس لدى مصنف وإشكال سوى لفظة جرى اللسان فيها على اللحن في الإعراب والإشكال، فارتفع من بعضهم عند ذلك التخطئة بالمبادرة والاعتجال، وناهيك بهذا من نقض في اللب والاختلال وسخاوة في العقل وخيال ووسوسة من الشيطان أبرزها له في الخيال، وحسبك كونه في الفلج بالحجة لم يبال ولم يبد منه فضيحة واعتجال، مع أنهم بذلك الإلزام والفلج لم يدعنوا ويحجدونه وهم به مستيقنون (وكذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون).

وصفة ماجرى مهم أنهم حضروا بيت الشريف تجاه بيت الله المنيف

وجالت خيول الأذهان لدى غالب ، والكل جرى في ذلك المضمار لإدراك المآرب فأول ما افتتحوا به التكلم والتخاطب وأجمعوا عليه في المطالب ، وصدر منهم البذاءة والتنافر ووقع منهم بتلك المجالس وجرى منهم التحاور والمفاوضة والتخاطب فيه والمراوضة مسألة قتال الموحدين الناس والكشف عن وجهها حجب الالتباس، فطلب من حمد بيان الحجة والدليل والبرهان السالم من الأعالي والنص القاطع للاحتمال والتأويل والقامع لسائر الأقاويل على ذلك المنهج والسبيل ، فأتى لهم جزاء الله تعالى الثواب الجزيل من النص القاطع القامع لكل أذن واعية وسماع وأصل لهم من الأصول فيها ما تؤدي بالمراد ويكفيها، وجلب من الأحاديث الصحيحة الراجحة والأدلة الباهرة اللامحة ماشفى وكفى ، وصيرهم من قطع اللسان والحجة على شفا ، وأزاح عن محياها القتام ونفى فقصف على بيت عنكبوتهم نسيم الحق فهفا، ومزق آثارهم ومنازمهم بعد ما هب عليهم وسفا وأوقفهم على المنصوص فأقروا وسلموا لتلك النصوص ، وصدر منهم الإذعان بعد ما حملهم الشيطان على كون تلك لم تكن في الكتب مسطرة ولا موصولة فيها ومقررة، وتفوّتوا بحضرة الشريف بذلك حتى أوقفهم أحمد على ما هنالك ونقل من الكتب التي عندهم ما وضع وجددهم وجلب عليهم علمهم وجهدهم ، فوطفت جباههم من العرق لما داخلهم من الخجل ، والفرق فلم يكن لهم حينئذ بد ولا حيلة حين قرءوا حجته ودليله ولم يستطع منهم إنسان على جحود ذلك البرهان بل صار منهم إقرار بذلك وإعلان ، ولم يكثرثوا بما صدر قبل من الكتمان وما ابتدءوا به من الزور والبهتان فأمسوا بذلك يقرون وبمضمونه يصدقون ( ولقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ) ثم تفاوضوا بعد ذلك في مجالس عديدة في دعوة الأموات فأبدى لهم من النصوص العادلة السديدة والآثار الراجحة المفيدة والأقوال الصحيحة العديدة بمن له الفكرة بالتحقيق من أقوال الأئمة الكبار والأتباع المتقدمين الأخيار ما أدهش العقول والأفكار مما لا يسع المنصف له إنكار ولا كنههم جحدوا وقوع ذلك في الوجود وأنكروا أن يكون ذلك في الأقطار موجود وذلك عندهم واقع مشهود وهم على ذلك كل ساعة شهود فالعياذ بالله تعالى من هذا الإنكار باللسان مع أنهم متيقنون في الجنان ويشاهدونه الخلق عندهم بالعيان فنقول ( سبحانه ) لا بدع فيما جرى وصدر ، فقد قال



كبيرهم أول من حضر وتأهب للمناظرة واتزر وجرد ذيول الخيلاء وافتخر واختال من الكبر والأشر : اعلم أتى أقول ولا أمارى ولا أخاصمك ولا أناظرك ولا أبارى إن أتيتنى بالدليل من الكتاب أو سنة النبي التي هي خصم لكل كذاب ، ولا أجاريك ولا أطالب بما قاله علماء المذاهب سوى ما قال به إمامي أبو حنيفة لأنى مقلد له فيما قال فلا أسلم لسوى قوله من قال ولو قلت قال رسول الله أو قال الله ذو الجلال لأنه أعلم منى ومنك بأولئك وأدل بابتهاج تلك المسالك والأخذ بغير قول الأئمة هو عين اقتحام جرائم المهالك ؛ فليقف العاقل على هذا المقال ويقضى منه العجب حيث صدر من هذا المدعى للعلم مع الله سوء هذا الأدب ، فيابئس ما اقترفه من الاثم واكتسب ، لم يخف الله ولم يراقب ولم يخش سوء العواقب ، وحاول بذلك في الدنيا المراتب حتى يكون من الجاه والرياسة فيها متوسط الكاهل والغارب ، فلما انقضت تلك الأيام والليال وتقضت ساعات المناظرة والجدال ، طلبوا من حمد بن ناصر بن معمر تأصيل ما برهن به واحتج به وقرر ، وكتب ما سجله عليهم وسطز ؛ فانتدب لذلك أدام الله نفعه وكثر من الفوائد جمعه فخر من الكتب التي عندهم في ذلك المكان ما أراده من ذلك الأمر والشان ، بعد طلبه منهم تلك الكتب وتسميتها بالأعيان ، فجمع لديهم عجالة وعجل لهم في سوجهم رسالة أوجز فيها مقاله وأتى فيها بما فيه كفاية في الحجة والدلالة يدعن بعد سماعها كل منصف عاقل ويشهد بفضل قائلها كل فاضل ويقر بصدقها وصحة مضمونها الأمائل ، ولا عبرة بمناق أو عبي أو جاهل بنى للحق المبين على أساسها صرحا وأجاد فيما أحكمه من التحرير إيضاحا وشرحا فأفاد ، فيما نحاه من التحبير صدعا وصدحا وترك مناظريه يعانون في الجواب عنها كدحا ، فلم يدركوا من سعيهم رجحا بل زادوا فيما زخرفوه عن الصواب بعدا ونزحا وهي عليك مجلوة وحججها مقروءة ومتلوّة ممبطة لوضىء حسنها النقاب، سافرة الوجه للنقاد والنقاب خالية من شين الإسهاب والإطناب جالية التجرين والارتاب ولكن عيبها سلامتها من الإعجاب .

وهذا نص الرسالة المزبورة والعجالة المنقحة المسطورة وأتيت بها على تأصيلها ووضعها ولم أغير بديع منوالها وصنعها :

بسم الله الرحمن الرحيم

المسألة الأولى . ما قولك فيمن دعا نبيا أو وليا واستغاث به في تفريج الكربات كقوله : يا رسول الله أو يا ابن عباس أو يا محبوب أو غيرهم من الأولياء والصالحين ؟ .

## الجواب

الحمد لله أستعينه وأستغفره ، وأعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ومن يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان واقتفى آثارهم إلى آخر الزمان .

أما بعد : فإن الله تعالى قد أكمل لنا الدين ورسوله قد بلغ البلاغ المبين قال الله تعالى ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ) وقال تعالى ( ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ) وقال تعالى ( يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ) وقال تعالى ( فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ) وقال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن واتبع مافيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، وقال تعالى ( ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ) الآية روى مالك في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله » وعن أبي الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بمدى إلا هالك » وقال صلى الله عليه وسلم « ما تركت من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به ولا شيء يقرب إلى النار إلا وقد حدثتكم به » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » فمن أصفى إلى كتاب الله وسنة رسوله وجد فيهما الهدى والشفاء ؛ وقد ذم الله تعالى من أعرض عن كتابه ودعا عند التنازع إلى غيره وقال تعالى ( وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ) .

إذا عرفت هذا فنقول : الذى شرعه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة والاحسان إلى الميت بالدعاء له والترحم له والاستغفار له وسؤال العافية كما فى صحيح مسلم عن بريدة قال « كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى المقابر يقول : السلام عليكم يا أهل الديار  
وفي لفظ : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا بكم إن شاء الله لآحقون  
نسأل الله لنا ولكم العافية » وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال « إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » وعن عائشة رضى الله عنها  
عن النبي صلى الله عليه وسلم « مامن ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة  
كلهم يشفعون له إلا شفّعوا فيه » رواه مسلم فإذا كنا على جنازته ندعو له لاندعوه  
ونشفع له لانستشفع به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدل أهل الشرك قولاً غير الذى  
قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التى شرعها  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إحساناً إلى الميت سؤال الميت وتخصيص تلك البقعة  
بالدعاء الذى هو مخ العبادة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعن أنس رضى الله  
عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذى وعن  
النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون  
عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه .  
ومن المحال أن يكون دعاء الموتى مشروعا ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يوفق له الخلف الذين يقولون مالا يفعلون ويفعلون  
مالا يؤمرون ، فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه طريقة الصحابة والتابعين  
لهم باحسان ، هل نقل عن أحدهم نقل صحيح أو حسن أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة  
فصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا عن أن يسئلوا أصحابها جلب الفوائد  
وكشف الشدائد ، ومعلوم أن هذا مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله .

وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد  
كثير متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر ولا دعاه ولا استشفى به ولا انتصر  
به ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم من بعد موته ولا بغيره  
من الأنبياء ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأولياء ولا الصلاة عندها ، فإن كان  
عندكم فى هذا أثر صحيح أو حسن فأوقفونا عليه بل الذى صح عنهم خلاف ما ذهبتم  
إليه . ولما قحط الناس فى زمان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال :

اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ونحن نتوسل إليك بعم نبينا فامسقنا فيسقون كما ثبت ذلك في صحيح البخارى ذكره في كتاب الاستسقاء من صحيحه ونحن نعلم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمة أن يدعوا أحدا من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور وأن ذلك من الشرك الأكبر الذى حرمه الله ورسوله قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (ولا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) وقال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الآية وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وقال تعالى (قل ادعوا الذين رزقتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) قال مجاهد (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) هو عيسى وعزير والملائكة وكذا قال إبراهيم النخعي قال : كان ابن عباس يقول : أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة هو عزير والمسيح والشمس والقمر . وعن السدى عن أبي صالح عن ابن عباس قال عيسى وأمه والعزير ، وعن عبد الله بن مسعود قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم فنزلت هذه الآية ثبت ذلك عنه في صحيح البخارى ذكره في كتاب التفسير . وهذه الأقوال كلها فى معنى الآية حق فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابدا لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر؛ فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوا وذلك المدعو يبتغى إلى الله الوسيلة ويرجوا رحمته ويخاف عذابه فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين فقد تناولته هذه الآية ، ومعلوم أن المشركين يدعون الصالحين بمعنى أنهم وسائط بينهم وبين الله ، ومع هذا فقد نهى الله تعالى عن دعائهم وبين أنهم لا يملكون كشف الضر

عن الداعين ولا تحويله ولا يدفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع كتغير صفته أو قدره ولهذا قال ولا تحويلا فذكر صيغة تعم أنواع التحويل فكل من دعا ميتا من الأنبياء أو الصالحين أو دعا الملائكة أو دعا الجن فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله ، وهؤلاء المشركون اليوم منهم من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه ولا يذكر إلا اسمه ، قد لهج به كما لهج الصبي بذكر أمه ، فإذا تعمس أحدهم قال يا ابن عباس أو يا محبوب ، ومنهم من يحلف بالله ويكذب ويحلف بابن عباس أو غيره ويصدق ولا يكذب فيكون المخلوق في صدره أعظم من الخالق ، فإذا كان دعاء الموتى يتضمن هذا الاستهزاء بالدين وهذه المحادة لله ولكتابه فأى الفريقين أحق بالاستهزاء والمحادة لله من كان يدعو الموتى ويستغيث بهم أو من كان لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له كما أمرت به رسوله ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ما جاء به ونحن بحمد الله من أعظم الناس إجابة لرعاية جانب الرسول تصديقا له فيما أخبر وطاعة له فيما أمر واعتناء بمعرفة ما بعث به واتباع ذلك دون ماخالفه عملا بقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقوله تعالى ( وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واطقوا لعلمكم ترحمون ) ومعنا والله الحمد أصلان عظيمان : أحدهما أن لا نعبد إلا الله فلا ندعو إلا هو ولا نذبح النسك إلا لوجهه ولا نرجو إلا هو ولا نتوكل إلا عليه . الأصل الثانى أن لا نعبد إلا بما شرع لا نعبد بعبادة مبتدعة وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن شهادة أن لا إله إلا الله تتضمن إخلاص الإلهية فلا يتأله القلب ولا اللسان ولا الجوارح غيره تعالى لا يحب ولا بخشية ولا إجلال ولا رغبة ولا رهبة ، وشهادة أن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه في جميع ما أخبر به وطاعته واتباعه في كل ما أمر به ، فما أثبتته وجب إثباته وما نفاه وجب نفيه . وقد روى البخارى من حديث أبى هريرة قال « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى فقالوا ومن أبى يا رسول الله ، قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » إذا عرف هذا فالذى نعتقه وندين به الله أن من دعا نبيا أو وليا أو غيرها وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أن هذا من أعظم الشرك الذى كفر الله به المشركين حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار بزعمهم قال الله تعالى ( ويعبدون

من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ( فمن جعل الأنبياء أو غيرهم كابن عباس والمحجوب أو أبي طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله ؛ كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لفريقهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لكونهم أقرب إلى الملك ، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال ، وقد نص العلماء رحمهم الله على ذلك وحكوا عليه الإجماع قال في الإقناع وشرحه : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعا لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام قائلين (مانعبدكم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى) انتهى . وقال الإمام أبو الوفا على بن عقيل الحنبلي رحمه الله تعالى : لما صعبت التكليف على الجهال والطعام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها وإلزامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها : يامولاي افعل بي كذا وكذا وأخذ تربتها تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى . وقال الإمام البكري الشافعي رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى ( والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدكم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى ) وكانت الكفار إذا سئلوا : من خلق السموات والأرض ، قالوا الله وإذا سئلوا عن عبادة الأصنام قالوا مانعبدكم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى لأجل طلب شفاعتهم عند الله وهذا كفر منهم انتهى كلامه .

فتأمل ما ذكره صاحب الإقناع وكذلك ما ذكره ابن عقيل من تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وهو كفر . وقال الحافظ العماد بن كثير رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى ( والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدكم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى ) أي إنما يحملهم على عبادتهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا . فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد ( إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى )

أى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم إذا حجوا فى جاهليتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك .

وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله عليهم بردها والنهى عنها والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن هذا شئ اخترعه المشركون من عند أنفسهم ، لم يأذن الله فيه ولا رضى به بل أبغضه ونهى عنه ، قال تعالى ( ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) وقال ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) فأخبر أن الملائكة التى فى السموات من المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنه فيما أحبه الملوك أو أبغضوه ( فلا تضربوا لله الأمثال ) تعالى الله عن ذلك انتهى كلامه .

وقال الإمام البكرى رحمه الله عند قوله تعالى ( قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ) الآية . فإن قلت إذا أقروا فكيف عبدوا الأصنام : قلت كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله تعالى والتقرب إليه لكن بطرق مختلفة . ففرقة قالت ليست لنا أهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة اعظمته فعبدناها لتقربنا إليه زلفى . وفرقة قالت الملائكة ذوو وجاهة ومنزلة عند الله تعالى ، فاتخذنا لنا أصناما على هيئة الملائكة لتقربنا إلى الله زلفى . وفرقة قالت جعلنا الأصنام لنا قبلة فى العبادة كما أن الكعبة قبلة فى عبادته . وفرقة اعتقدت أن لكل صنم شيطانا موكلا بأمر الله ، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله ولا أصابه شيطان بنسكة بأمر الله انتهى كلامه .

فانظر إلى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله وتأمل ما ذكره ابن كثير وما حكاه عن زيد بن أسلم وابن زيد . ثم قال وهذه الشبهة التى اعتقدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهى عنها ، وتأمل ما ذكره البكرى رحمه الله عند آية الزمر أن الكفار ما أرادوا إلا الشفاعة ثم صرح بأن هذا كفر ، فمن تأمل ما ذكره الله فى كتابه تبين له أن الكفار ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله فإنهم لم يعتقدوا فيها أنها تخلق الخلائق

( ١٤ — تاريخ نجد — ثان )



وتنزل المطر وتنبت النبات بل كانوا مقرين أن الفاعل لذلك هو الله وحده قال تعالى ( قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ) إلى قوله ( فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ) وقال تعالى ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ) وقال تعالى ( قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ) الآيات إلى غير ذلك من الآيات التي أخبر الله فيها أن المشركين معترفون أن الله هو الخالق الرازق وإعما كانوا يعبدونهم ليقرّبوهم ويشفعوا لهم كما ذكره سبحانه في قوله ( ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ) فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه إله آخر، فأخبر أن الشفاعة كلها له وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه وأنه لا يؤذن إلا لمن رضى قوله وعمله وأنه لا يرضى إلا التوحيد ، فالشفاعة مقيدة بهذه القيود قال الله تعالى ( أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يعلمون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا ) وقال تعالى ( ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ) وقال تعالى ( من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ) وقال تعالى ( وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ) وقال تعالى ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ) وقال تعالى ( ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ) وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله أنه قال « آتى تحت العرش فأخبر الله ساجدا ويفتح على بمحمد لا أحصيها الآن فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم قال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع قال فيحدث لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أَدْعُو فذكر أربع مرات « صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء .

وقال الإمام البكرى الشافعى رحمه الله عند قوله تعالى ( وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ) نفى الشفاعة وإن كانت واقعة في الآخرة لأنها من حيث إنها لا تقع إلا بإذنه كأنها غير موجودة من غيره وهو كذلك لكن جعل ذلك لتبيين الرتب وجملة النفي حال من ضمير يحشروا وهي محل الخوف والمراد به المؤمنون العاصون انتهى .

وقال عند قوله تعالى ( يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا ) دل على أن الشفاعة تكون للمؤمنين فقط . قال الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير عند قوله تعالى ( قل من رب السموات والأرض قل الله ) يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو لأنهم معترفون أنه هو الذى خلق السموات والأرض وهو ربها ومدبرها وهم مع هذا قد اتخذوا من دون الله أولياء يعبدونهم ، وإنما كان عبد هؤلاء المشركون مع الله آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة عبید له كما كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وكما أخبر عنهم بقوله ( ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ) فأنكر تعالى ذلك عليهم حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم يزجرهم عن ذلك وينهاهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم انتهى .

والمقصود بيان شرك المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله وبيان أن طاب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم فى الشدائد أنه من الشرك الذى كفر الله به المشركين وبيان أن الشفاعة كلها لله ليس لأحد معه من الأمر شيء وأنه لا شفاعة إلا بعد إذن الله تعالى وأنه تعالى لا يأذن إلا لمن رضى قوله وعمله وأنه لا يرضى إلا التوحيد كما تقدمت الأدلة الدالة على ذلك ، ومعلوم أن أعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عند الله هم الرسل والملائكة المقربون وهم عبید محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئا إلا بعد إيدنه لهم وأمرهم فيأذن سبحانه لمن شاء أن يشفعوا فيه فصارت الشفاعة فى الحقيقة إنما هى له تعالى والذى شفع عنده إنما شفع بإذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه وهى إرادته أن يرحم عبده وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتها المشركون ومن وافقهم وهى التى أبطلها سبحانه فى كتابه بقوله تعالى ( واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ) وقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ) ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد كما صرحت بذلك النصوص .

فروى البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أسعد الناس

بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه » وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاني آت من عند ربي يخبرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا » رواه الترمذي وابن ماجه ، فأسعد الناس بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من التعلقات الشركية وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال الله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا) فأخبر سبحانه أنه لا يحصل شفاعاة تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع له وإذنه للشافع . وأما المشرك فانه لا يرتضيه ولا يرضى قوله ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بأمرين : رضاه عن المشفوع له وإذنه للشافع متى لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعاة، وهذه الشفاعاة في الحقيقة هي منه فانه هو الذي أذن والذي قبل والذي رضى عن المشفوع له والذي وفقه لفعل ما يستحق من الشفاعاة فمتخذ الشفيع مشرك لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب إلهه وحده ومعبوده هو الذي يأذن للشافع أن يشفع فيه قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) إلى قوله (قل لله الشفاعاة جميعا) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبثون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) فبين أن المتخذين شفعاء مشركون وأن الشفاعاة لا تحصل باتخاذهم وإنما تحصل بإذنه سبحانه للشافع ورضاه عن المشفوع له كما تقدم بيانه والمقصود أن الكتاب والسنة دلا على أن من جعل الملائكة والأنبياء أو ابن عباس أو أبا طالب أو المحجوب وسائط بينهم وبين الله يشفعون له عند الله لأجل قربهم من الله كما يفعل عند الملوك أنه كافر مشرك حلال المال والدم وإن قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم بل هو من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. ومن تأمل القرآن العزيز وجده مصرحا بأن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق وأن السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت قهره وتصرفه كما حكاه الله تعالى عنهم في سورة يونس وسورة المؤمنين وسورة العنكبوت وغيرها من السور ووجده مصرحا بأن

المشركين يدعون الصالحين كما ذكر تعالى عنهم في سورة سبحان والمائدة وغيرهما من السور، وكذلك أخبر عنهم أنهم يعبدون الملائكة كما ذكر ذلك في سورة الفرقان وسبأ والنجم ووجده مصرحاً أيضاً بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا الشفاعة والتقرب إلى الله تعالى كما ذكر ذلك عنهم في سورة يونس والزمر وغيرهما من السور. فإذا تبين لكم أن القرآن قد صرح بهذه المسائل الثلاث ، أعنى اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية وأنهم يدعون الصالحين وأنهم ما أرادوا منهم إلا الشفاعة ، تبين لكم أن هذا الذي يفعل عند القبور اليوم من سؤالهم جاب الفوائد وكشف الشدائد أنه الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين ، فإن هؤلاء المشركين شبهوا الخالق بالخلق ، وفي القرآن العزيز وكلام أهل العلم من الرد على هؤلاء ما لا يتسع له هذا الموضع فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة :

إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه ومن قل إن الله لا يعرف أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الأنبياء أو غيرهم من الأولياء والصالحين فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

الثاني : أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعاونونه فلا بد له من أعوان وأنصار لئله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ولي ولا ظهير من الدن وكل ما في الوجود من الأسباب فهو سبحانه ربه وخالقه ، فهو الغنى عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم ، والله سبحانه ليس له شريك في الملك بل لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ولهذا لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرها فإن من شفع عنده بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب أثر فيه بشفاعته حتى يفعل ما يطلب منه والله لا شريك له بوجه من الوجوه .

الثالث : أن يكون الملك ليس مریداً لنفع رعيته والإحسان إليهم إلا بمحرك يحركه من خارج فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه وينخافه تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته والله تعالى رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الأسباب إنما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو سبحانه إذا أجرى نفع العباد بعضهم على يد بعض

فجعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له أو يشفع له فهو الذي خلق ذلك كله وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي إرادة الإحسان والدعاء ، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعلمه مالم يكن يعلمه والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون عنده إلا بإذنه كما تقدم بيانه ، بخلاف الملوك فإن الشافع عندهم يكون شريكا لهم في الملك وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم وهم يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته إليهم وتارة لجزاء إحسانهم ومكافأتهم حتى إنه يقبل شفاعته ولده وزوجته لذلك فإنه محتاج إلى الزوجة والولد حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ويقبل شفاعته مملوكه فإنه إذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ويقبل شفاعته أخيه مخافة أن يسعى في ضرره وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس فلا أحد يقبل شفاعته أحد إلا لرغبة أو لرغبة ، والله تعالى لا يرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغني سبحانه عما سواه وكل ماسواه فقير إليه ، والمشركون يتخذون شفعاء مما يعبدونه مثل الشفاعاة عند المخلوق قال تعالى ( ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ) إلى قوله ( سبحانه وتعالى عما يشركون ) وقال تعالى ( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ) فأخبر سبحانه أن ما يدعى من دونه لا يملك كشف الضر ولا تحويله وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه ، فقد نفى سبحانه ما أثبتوه من توسط الملائكة والأنبياء . وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله . وأما من أراد الله فتنه فلاحيلة فيه و ( من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وائيا مرشدا ) .

وأما المسألة الثانية وهي : من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ولم يصل ولم يرك هل يكون مؤمنا ؟ فنقول : أما من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فهذا مشرك كافر حلال الدم والمال وإن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم كما تقدم بيانه . وأما إن وحد الله تعالى ولم يشرك به شيئا ولكنه ترك الصلاة والزكاة تكاسلا عنها فهذا قد اختلف العلماء في كفره والعلماء إذا أجمعوا فإجماعهم حجة لا يجتمعون على ضلالة

وإذا تنازعوا في شيء ردوا ما تنازعوا فيه إلى الله وإلى الرسول إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) قال العلماء الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بعد وفاته. وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) وقد ذم الله من أعرض عن كتابه ودعا عند التنازع إلى غيره فقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) .

إذا عرف هذا فنقول : اختلف العلماء رحمهم الله في تارك الصلاة كسلا من غير جحود ، فذهب الإمام أبو حنيفة والشافعي في أحد قوايه ومالك إلى أنه لا يحكم بكفره واحتجوا بما رواه عبادة بن الصامت . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خمس كتبهن الله على العباد من أتى بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » .

وذهب إمامنا أحمد بن حنبل والشافعي في أحد قوايه وإسحق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعي والحنفي وأيوب السختياني وأبو داود الطيالسي وغيرهم من كبار الأئمة والتابعين إلى أنه كافر وحكاه إسحق بن راهويه إجماعا وذكره عن الشيخ أحمد بن حنبل في شرح الأربعين وذكره في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر عن جمهور الصحابة رضي الله عنهم والتابعين . وقال الإمام محمد بن حزم : سائر الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن بعدهم يكفرون تارك الصلاة مطلقا ويحكمون عليه بالارتداد منهم أبو بكر وعمر وابنه عبد الله وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة ولا نعلم لهؤلاء مخالفا من الصحابة . وأجابوا عن قوله صلى الله عليه وسلم « ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » أن المراد عدم المحافظة عليهن في وقتن بدليل الآيات والأحاديث الواردة فيها وفي تركها واحتجوا على كفر تاركها بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » وعن بريدة بن الحصيب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « العهد بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها

فقد كفر» رواه الامام أحمد وأهل السنن وقال الترمذى حديث حسن صحيح إسناده على شرط مسلم وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بين العبد والكفر والإيمان الصلاة فإذا تركها فقد أشرك » وإسناده صحيح على شرط مسلم ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا وبرهاناً ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » رواه الإمام أحمد وأبو حاتم بن حبان في صحيحه . وعن عبادة بن الصامت قال : أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لا تشركوا بالله شيئاً ولا تتركوا الصلاة عمداً فمن تركها عمداً خرج من الملة » رواه ابن أبي حاتم في سننه . وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله » رواه الإمام أحمد ، وعن أبي الدرداء قال « أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أترك صلاة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة » رواه ابن أبي حاتم . وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة » الحديث ، وعن عبد الله بن شقيق العقيلي قال « كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة » رواه الترمذى ، فهذه الأحاديث كما ترى صريحة في كفر تارك الصلاة مع ما تقدم من إجماع الصحابة كما حكاه إسحق بن راهويه وابن حزم وعبد الله بن شقيق وهو مذهب الجمهور من التابعين ومن بعدهم . ثم إن العلماء كلهم مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلاً إلا أبا حنيفة ومحمد بن شهاب الزهرى وداود فإنهم قالوا يحبس تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب ، ومن احتج لهذا القول بقوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قوتوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » فقد أبعد النجعة فإن هذا الحديث لا حجة فيه بل هو حجة لمن يقول بقتله كما سيأتى بيانه إن شاء الله ، واحتج الجمهور على قتله بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة نخلوا سبيلهم » فشرط الكف التوبة من الشرك وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فإذا لم توجد الثلاث لم يكف عن قتالهم قال ابن ماجه حدثنا نصر بن على



ثنا أبو أحمد ثنا الربيع بن أنس عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة مات والله عنه راض » قال أنس وهو دين الله الذى جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر ما نزل ( فإن تابوا ) قال خلع الأوثان وعبادتها ( وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة نخلوا مسبلهم ) وقال فى آية أخرى ( فإن تابوا وأقاموا وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ) .

وأما السنة . فثبت فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فعلق العصمة على الشهادتين والصلاة والزكاة .  
وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه « من محمد رسول الله إلى أهل عمان أما بعد : فاقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وأدوا الزكاة وخطوا المساجد وإلا غزوتكم » أخرجه الطبرانى والبرار وغيرها ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلى فى شرح الأربعين .

وروى ابن شهاب عن حنظلة عن على بن الأشجع أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه بعث خالد بن الوليد وأمره أن يقاتل الناس على خمس فمن ترك واحدة منهم قتله عليها كما تقاتل على الخمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام . وقال سعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب : لو أن الناس تركوا الحج لقتلناهم على تركه كما نقاتل على الصلاة والزكاة . وبالجمله فالكتاب والسنة دالان على أن القتال ممدود إلى الشهادتين والصلاة والزكاة ، وقد أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة من شريعة من شرائع الإسلام فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله كالمحاربين وأولى انتهى .

وأما حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فهذا لا إشكال فيه بحمد الله وليس لكم فيه حجة بل هو حجة عليكم ، قال علماءنا رحمهم

الله إذا قال الكافر لا إله إلا الله فقد شرع في العاصم له فيجب الكف عنه فان تم ذلك تحققت العصمة وإلا بطلت ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد قال حديثاً في وقت فقال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كف عنه وصار ماله ودمه معصوماً ، ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى الشهادتين والعبادتين فقال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» فبين أن تمام العصمة وكاملها إنما يحصل بذلك ، ولأن لاتقع الشبهة بأن مجرد الإقرار بعصم على الدوام ، كما وقعت لبعض الصحابة حتى جلاها أبو بكر الصديق ، ثم وافقوه رضى الله عنهم انتهى .

ومما يبين فساد قولكم وخطأ فهمكم في معنى حديث أبي هريرة أن الصحابة رضى الله عنهم أجمعوا على قتال مانعي الزكاة بعد مناظرة حصلت بين أبي بكر الصديق وعمر رضى الله عنهما ، واستدل عمر على أبي بكر بحديث أبي هريرة فبين صديق الأمة رضى الله عنه أن الحديث حجة على قتال من منع الزكاة فوافقه عمر وسائر الصحابة وقاتلوا مانعي الزكاة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون . ونحن نسوق الحديث ، ثم نذكر كلام العلماء عليه ليتبين لكم أن فهمكم الفاسد لم يقل به أحد من العلماء وأنه فهم مشثوم مذموم مخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

فنقول : ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال « لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، قال أبو بكر لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق للمال فوالله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ، فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق » وهذا الحديث خرجه البخارى في كتاب الزكاة ، ومسلم في كتاب الإيمان وهو من أعظم الأدلة على فساد قولكم فإن الصديق رضى الله عنه جعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب وقد تكلم النووى رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم فقال باب الأمر بقتال الناس

حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأن من قال ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ووكلت سريره إلى الله تعالى وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام واهتمام الإمام بشرائع الإسلام ، ثم ساق الحديث ثم قال : قال الخطابي في شرح هذا الكلام كلاما حسنا لا بد من ذكره لما فيه من الفوائد . قال رحمه الله مما يجب تقديمه في هذا أن يعلم أن أهل الردة كانوا إذ ذاك صنفين : صنف ارتدوا عن الدين ونابدوا الملة وعادوا لكفرهم وهم الذين عني أبو هريرة بقوله من كفر من العرب ، والصنف الآخر فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ووجب أدائها إلى الإمام وقد كان في ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدّوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أيديهم في ذلك كبنى يربوع فانهم جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم ، وفي أمر هؤلاء عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر رضي الله عنه فراجع أبا بكر رضي الله عنه وناظره واحتج عليه بقول النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله » وأن هذا كان من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل أن ينظر في آخره ويتأمل شرائطه فقال له أبو بكر الزكاة حق المال يريد أن القضية قد تضمنت عصمة دم ومال معلقة بإيفاء شرائطها والحكم المعلق بشرطين لا يحصل بأحدهما والآخر معدوم ، ثم قايسه بالصلاة وردوا الزكاة إليها وكان في ذلك من قوله دليل على أن قتال الممتنع من الصلاة كان إجماعا من الصحابة رضي الله عنهم ولذلك ردوا المختلف فيه إلى المتفق عليه فلما استقر عندهم صحة رأى أبي بكر رضي الله عنه وبان لعمر صوابه تابعه على قتال القوم وهو معنى قوله « فلما رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال عرفت أنه الحق » يريد انشراح صدره بالحجة التي أدلى بها والبرهان الذي أقامه نصا ودلالة انتهى .

فتأمل هذا الباب الذي ذكره النووي رحمه الله تعالى وهو إمام الشافعية على الإطلاق تجده صريحا في رد شبهتهم : أن من قل لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يباح دمه وماله وإن ترك الصلاة والزكاة فالترجمة نفسها صريحة في رد قولكم فانه صرح بالأمر بالقتال على ترك الصلاة ومنع الزكاة ، وتأمل ما ذكره الخطابي أن الذين منعوا

الزكاة منهم من كان يسمح بها ولا يمنعها إلا أن رؤسائهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أيديهم كبنى يربوع فانهم أرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر فمنعهم مالك ابن نويرة من ذلك وفرقها فيهم ، وأنه عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر في هؤلاء ، ثم إن عمر وافق أبا بكر على قتالهم وتأمل قوله واحتج عمر بقول النبي صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وكان هذا من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل أن ينظر إلى آخره ويتأمل شرائطه وتأمل قوله إن قتال الممتنع من الصلاة كان إجماعا من الصحابة ، وقد أشار الخطابي إلى أن حديث أبي هريرة مختصر ، قال النووي رحمه الله قال الخطابي وبين لك أن حديث أبي هريرة مختصر ، أن عبد الله ابن عمر وأنس رضي الله تعالى عنهما روياه بزيادة لم يذكرها أبو هريرة ، ففي حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» .

وفي رواية أنس «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماءهم وأموالهم إلا بحقها لهم مال المسلمين وعليهم ما على المسلمين» انتهى . قلت : وقد ثبت في الطريق الثالث المذكور في الكتاب من طريق أبي هريرة وروايته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» .

وفي استدلال أبي بكر واعتراض عمر رضي الله عنهما دليل على أنهما لم يحفظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن عمر وأنس وأبو هريرة وكان هؤلاء الثلاثة سمعوا الزيادة في رواياتهم في مجلس آخر فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فإن هذه الزيادة حجة عليهم ، ولو سمع أبو بكر هذه الزيادة لاحتج بها ولما كان احتج بالقياس والعموم والله أعلم انتهى كلام النووي .

فتأمل ما ذكره عن الخطابي تجده صريحا في رد قولكم ، وتأمل قوله فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فإن هذه الزيادة حجة عليهم .

وبالجملة فحديث أبي هريرة عليكم لا لكم ولو لم يكن فيه إلا قوله إلا بحقها لكان كافياً في بطلان شبهتكم فإن الصلاة والزكاة من أعظم حقوق لا إله إلا الله بل هما أعظمها على الإطلاق . ومما يدل على بطلان قولكم وفساد فهمكم في معنى هذا الحديث أعنى حديث أبي هريرة « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » أن جميع الشراح والمحشين لم يؤولوه على هذا التأويل الذي ذهبتم إليه فإنه حديث صحيح مخرج في الصحاح وهؤلاء شراح البخاري وكذا شراح مسلم هل أحد منهم استدل به على ترك قتال من ترك الفرائض بل الذي ذكروه خلاف مذهبهم إليه ولو لم يكن إلا احتجاج عمر به على أبي بكر ثم موافقته لأبي بكر على قتال مانعي الزكاة لكان كافياً . ونحن نذكر لكم كلام الشراح عذرا ونذرا قال النووي رحمه الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إذ بحقه وحسابه على الله تعالى » قال الخطابي معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف . قال ومعنى وحسابه على الله تعالى أي فيما يسرونه ويخفونه قال ففيه أن من أظهر الإسلام وأسر الكفر أنه يقبل إسلامه في الظاهر وهذا قول أكثر العلماء وذهب مالك إلى أن توبة الزنديق لا تقبل ويحكي ذلك عن أحمد بن حنبل هذا كلام الخطابي . وذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى معنى هذا وزاد عليه وأوضحه فقال اختصاص عصمة المال والنفس ممن قال لا إله إلا الله تبير عن الإجابة إلى الإيمان وأن المراد مشركو العرب وأهل الأوثان ممن لا يوحدهم ، كانوا أول من دعى إلى الإسلام وقوتلوا عليه ، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده فلذلك في الحديث الآخر « وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة » هذا كلام القاضي ولا بد من الإيمان مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به » انتهى كلام النووي . فتأمل ما ذكره الخطابي وما ذكره القاضي عياض أن المراد بقول لا إله إلا الله التعبير عن الإجابة إلى الإيمان واستدل لذلك بالحديث الآخر الذي فيه « وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة » وتأمل قوله إن المراد بحديث أبي هريرة مشركو العرب وغيرهم ممن لا يوحدون . وأما الذي يقر

بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده وتأمل قول النووي ولا بد من الإيمان بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبالجملة فقوله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» لم نعلم أحدا من أهل العلم أجراه على ظاهره وقال إن من قال لا إله إلا الله يكف عنه ولا يجوز قتاله وإن ترك الصلاة ومنع الزكاة هذا لم يقل به أحد من العلماء ولازم قولكم أن اليهود لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله وأن الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله وأن الصحابة مخطئون في قتالهم مانعي الزكاة لأنهم يقولون لا إله إلا الله ، ولازم قولكم إن بني حنيفة مسلمون لأنهم يقولون لا إله إلا الله . سبحان الله وما أعظم هذا الجهل ( كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ) ومن العجب أنكم تقرأون في صحيح البخاري هذا الباب في كتاب الإيمان حيث قال باب ( فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ) .

حدثنا عبد الله بن محمد المسندي ، قال حدثنا شعبة عن وافر بن محمد سمعت أبي يحدث عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا أو يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى» ثم بعد ذلك هذه الآية والحديث اللذين ذكرهما البخاري وبأى شيء تدفعون به هذه الأدلة . وقال الإمام أبو عيسى الترمذي في سننه في باب «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» حدثنا هنا أنبأنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» الحديث ثم أردفه بحديث أبي هريرة في قتال أبي بكر لما نعى الزكاة وساق الحديث بتمامه ، ثم قال باب ما جاء «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة» حدثنا سعد بن يعقوب الطالقاني أن ابن المبارك أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويستقبلوا قبلتنا ويأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا ، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ولهم مال المسلمين وعليهم ما على المسلمين» وفي الباب عن معاذ بن جبل وأبي هريرة هذا

حديث حسن صحيح والمقصود بيان ذم هذه الشبهة التي زينها من يدعي أنه من العلماء على الجهالة من الناس ، أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو مسلم لا يجوز قتله ولو ترك فرائض الإسلام وهذا كلام الله وهذا كلام رسوله وهذا كلام العلماء صريحاً في رد هذه الشبهة ، بل قد دل الكتاب والسنة والإجماع على أن الطائفة الممتنعة تقاتل على ترك الصلاة ومنع الزكاة وإن أقروا بالوجوب كما تقدمت النصوص الدالة على ذلك بل قد صرح العلماء أن أهل البلد إذا تركوا الأذان والإقامة يقاتلون وصرحوا أيضاً بأنهم لو تركوا إقامة صلاة الجماعة يقاتلون وكذا لو تركوا صلاة العيد ، وعلماء حرم الله الشريف يقولون من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ونفسه وإن لم يصل ولم يزك ، فسبحان مقلب القلوب والأبصار وهل هذا إلا معارضة لكلام الله ورسوله وكلام أئمة المذاهب وهذا كلامهم موجود في كتبهم يصرحون بأن من ترك الصلاة قتل . وأن الطائفة الممتنعة من الصلاة والزكاة والحج تقاتل حتى يكون الدين كله لله ويحكمون عليه الإجماع كما صرح بذلك أئمة الحنابلة في كتبهم ، فإذا كانوا يصرحون أن من ترك بعض شعائر الإسلام كأهل القرية إذا تركوا الأذان أو تركوا صلاة الجماعة أو تركوا صلاة العيد فانهم يقاتلون ، فكيف بمن ترك الصلاة رأساً وهؤلاء يقولون من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم نفسه ودمه وإن كانوا طائفة ممتنعين من فعل الصلاة والزكاة بل يصرحون بأن البوادي إسلام حرام علينا دماؤهم وأموالهم مع العلم القطعي بأنهم لا يؤذنون ولا يصلون ولا يزكون بل الظاهر عندهم أنهم كافرون بالشرائع وينكرون البعث بعد الموت ، سبحانه الله ما أعظم هذا الجهل ، وقد ذكرنا من كلام الله وكلام رسوله وكلام شراح المحدثين ما فيه الهدى لمن هداه الله ، وبيننا أن العصمة شرطها التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فمن لم يأت بهذه الثلاث لم يكف عنه ولم ينحل سبيله وقد قال الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقال تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» . وأما كلام الفقهاء في كتبهم فنذكره على التفصيل . أما كلام المالكية فقال



الشيخ على الأجهورى فى شرح المختصر : من ترك فرضا آخر لبقاء ركعة بسجديها من الضرورى قتل بالسيف حدا على المشهور . وقال ابن حبيب وجماعة خارج المذهب كافر واختاره ابن عبد السلام انتهى .

وقال فى فضل الأذان قال المازرى فى الأذان معنيان : أحدهما إظهار الشعائر والتعريف بأن الدار دار إسلام ، وهو فرض كفاية يقاتل أهل القرية حتى يفعلوه إن عجزوا عن قهرهم على إقامته إلا بالقتال .

والثانى الدعاء للصلاة والإعلام بوقتها . وقال الأبي فى شرح مسلم : والمشهور أن الأذان فرض كفاية على أهل المصر لأنه شعار الإسلام ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم يسمع الأذان أغار وإلا أمسك ، وقول المصنف يقاتلون عليه ليس القتال من خصائص القول بالوجوب لأنه نص عن عياض فى قول المصنف والوتر غير واجب إلا أنهم اختلفوا فى التماؤ على ترك السنن هل يقاتلون عليها ؟ والصحيح قتالهم وإكراههم لأن فى التماؤ على تركها إمامتها انتهى .

وقال فى فضل صلاة الجمعة : قال ابن رشد : صلاة الجمعة مستحبة للرجل فى نفسه فرض كفاية فى الجمعة ، ويعنى بقوله فى الجمعة أنها فرض كفاية على أهل المصر ولو تركوها قوتلوا كما تقدم انتهى . وعبرة غيره وإن تركها أهل بلد قوتلوا وأهل دار أجبروا عليها انتهى كلام الشيخ رحمه الله على الأجهورى . فانظر تصريحهم أن تارك الصلاة يقتل باتفاق أصحاب مالك وإنما اختلفوا فى كفره وأن ابن حبيب وابن عبد السلام اختارا أنه يقتل كافرا ، وتأمل كلامهم فى الطائفة الممتنعة عن الأذان وعن إقامة الجماعة فى المساجد وأنهم يقاتلون ، فأين هذا من قولكم إن من ترك الفرائض مع الإقرار بوجوبها لا يحل قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله . وأما كلام الشافعية فقال الإمام العلامة أحمد بن حمدان الأذرعى رحمه الله فى كتاب [قوت المحتاج فى شرح المنهاج] من ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر إجماعا وذلك جاريا فى كل جحود مجمع عليه معلوم من الدين ضرورة فإن تركها كسلا قتل حدا على الصحيح والمشهور . أما قتله فلا أن الله تعالى أمر بقتل المشركين ، ثم قال ( فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ) فدل على أن القتل لا يرفع إلا بالإيمان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولما فى الصحيحين «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا

الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» ثم قال إشارات منها قتله ردة ووجد لشرذمة منهم منصور التميمي وابن خزيمة وقضية كلام الرونق أنه كلام منصوص حيث قال : فإذا قتل في ماله ودفنه بين المسلمين قولان : أحدهما مارواه الربيع عن الشافعي أن ماله يكون فيئا ولا يدفن بين المسلمين . والثاني مارواه المازني عن الشافعي أن ماله لورثته ويدفن في مقابر المسلمين وقال في المستعمل : سألت الربيع ما يصنع بماله إذا قتله ؟ قال يكون فيئا . ومنها قال في الروضة تارك الوضوء يقتل على الصحيح جزم به الشيخ أبو حامد ، وفي البيان لو صلى عريانا مع القدرة على السترة أو الفريضة قاعدا بلا عذر قتل ، وكذلك لو ترك التشهد أو الاعتدال ، حكاه ابن الأستاذ عن البحر ، فان صح اطردي في سائر الأركان والشروط ، ويجب أن يكون محله فيما أجمع عليه . ومنها لو امتنع من الصوم والزكاة حبس ومنع من الفطر وقال إمام الحرمين . يجوز أن يكون الممتنع مما يضيق عليه كالممتنع من الصلاة يجبر عليه ، فان أبي ضربت عنقه قال المصنف والصحيح قتله بصلاة واحدة بشرط إخراجها عن وقت الضرورة انتهى كلام الأذرعى . فانظر كلامه في قتل من ترك الصلاة كسلا وأن الربيع روى عن الشافعي أن ماله يكون فيئا ولا يدفن في مقابر المسلمين . وتأمل كلام أبي حامد وكلام صاحب الروضة في قتل تارك الوضوء وكلام صاحب البيان فيمن صلى عريانا مع القدرة على السترة أو صلى الفريضة قاعدا بلا عذر إنه يقتل فأين هذا من قولكم ان من قال لا إله إلا الله كف عنه ولا يجوز قتاله بوجه من الوجوه ، وقال الشيخ أحمد بن حنبل الهيثمي في التحفة في باب حكم تارك الصلاة إن ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر بالاجماع أو تركها كسلا مع اعتقاد وجوبها قتل لآية ( فان تابوا ) وخبر « أمرت أن أقاتل الناس » لأنهما شرطا في الكف عن القتل والمقاتلة بالإسلام وإيتاء الزكاة لأن الزكاة يمكن الإمام أخذها ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا فكانت فيها على حقيقتها بخلافها في الصلاة فانه لا يمكن فعلها بالمقاتلة وقال في باب صلاة الجماعة : وقيل هي فرض للرجل فيجب بحيث يظهر بها الشعار فان امتنعوا كلهم أو بعضهم كأهل محل من قرية كبيرة ولم يظهر الشعار إلا بهم قوتلوا يقاتلهم الإمام أو نائبه لإظهار هذه الشعيرة الكبيرة وقال في باب الأذان والإقامة سنة وقيل فرض كفاية فيقاتل أهل بلد تركوها أو أحدها بحيث لم يظهر الشعار ، وقال في باب صلاة

( ١٥ - تاريخ نجد - ثان )

العبيدين هي سنة ، وقيل فرض كفاية فعليه يقاتل أهل بلد تركوها انتهى كلامه في التحفة . فانظر إلى كلامه في قتل تارك الصلاة كسلا وتأمل قوله : إن الآية والحديث شرطا في الكف عن القتل والمقاتلة الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن الإمام يأخذ الزكاة ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا . وتأمل كلامه في باب صلاة الجماعة وأنها تجب بحيث يظهر الشعار في ذلك المحل حتى في البادية وأنهم يقاتلون إذا امتنعوا ، بل كلامه في الأذان والإقامة وأن الإمام يقاتل على تركهما وعلى ترك أحدهما على القول بأنهما فرض كفاية . وتأمل كلامه في الطائفة إذا امتنعوا من صلاة العبيدين فأين هذا من كلام من يقول إن أهل البلد والبوادي إذا قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يجز قتالهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا ، فسبحان الله ما أعظم هذا الجهل . وأما كلام الحنابلة فقال في الاقناع وشرحه في كتاب الصلاة : من جحد وجوبها كفر ، فإن تركها تهاونا وتكاسلا لاجحودا يهدده ، فإن أبي أن يصلها حتى ضاق وقت الذي بعدها وجب قتله لقوله تعالى ( فاقتلوا المشركين ) إلى قوله ( فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ) فمتى ترك الصلاة لم يأت بشرط التخلية فيبقى على إباحة القتل ولقوله عليه الصلاة والسلام « من ترك الصلاة عمدا متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله » رواه أحمد عن مكحول وهو مرسل جيد ، ولا يقتل حتى يستتاب ثلاثة أيام كالمرتد نصا فإن تاب بفعلها وإلا قتل بضرب عنقه ، لما روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » رواه مسلم ، وروى بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من تركها فقد كفر » رواه الخمسة وصححه الترمذي انتهى .

وقال في باب الأذان والإقامة : فإن تركهما أى الأذان والإقامة أهل بلد قوتلوا أى قاتلهم الإمام أو نائبه حتى يفعلوها لأنهما من أعلام الدين الظاهرة فيقاتلوا على تركهما كسلا كصلاة العيد . وقال رحمه الله في باب صلاة الجماعة : وهي واجبة وجوب عين فيقاتل تاركها وإن أقامها غيره لأن وجوبها على الأعيان بخلافه .

وقال في باب صلاة العبيدين : وهي فرض كفاية إن تركها أهل بلد يبلغون الأربعين بلا عذر قاتلهم الإمام كالأذان فإنه من شعائر الإسلام الظاهرة وفي تركهما تهاون بالدين وقال في باب إخراج الزكاة : ومن منعها أى الزكاة بخلافها وتهاونا أخذت منه قهرا كدين الآدمي ، وإن غيب ماله أو كتمه وأمكن أخذها بأن كان في قبضة الإمام

أخذت من غير زيادة وإن لم يكن أخذها استتيب ثلاثة أيام وجوبا ، فإن تاب وأخرج كف عنه وإلا قتل لاتفاق الصحابة على قتال مانعها ، وإن لم يمكن أخذها إلا بالقتال وجب على الإمام قتاله إن وضعها موضعها ، انتهى كلامه في الإقناع وشرحه .

فتأمل كلامه فيمن ترك الصلاة كسلا من غير جحود أنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا ، وتأمل كلامه في أهل البلدان إذا تركوا الأذان أو الإقامة أو صلاة العيد أنهم يقاتلون بمجرد ترك ذلك ، فهذا كلام المالكية وهذا كلام الشافعية وهذا كلام الحنابلة الكل منهم قد صرح بما ذكرناه ، فإذا كانوا مصرحين بقتال من التزم شرائع الإسلام إلا أنهم تركوا الأذان وتركوا صلاة الجماعة وتركوا صلاة العيد فكيف بمن ترك الصلاة رأسا كالبوادي ولا يزكون ولا يصومون بل ينكرون الشرائع وينكرون البعث بعد الموت ، هذا هو الغالب عليهم إلا من شاء الله وهم القليل وإلا فأكثرهم ليس معهم من الإسلام إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله ومع هذا يجادل علماء مكة ويقولون إنهم مسلمون وإن دماءهم وأموالهم حرام بحرمة الإسلام وإن لم يصلوا ولم يزكوا ولم يصوموا لأنهم يقولون لا إله إلا الله وهل هذا إلا رد على الله حيث يقول ( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة نخلوا مسيلهم ) وهؤلاء يقولون يخلى سبيلهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا ، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام » وهؤلاء يقولون من قال لا إله إلا الله فقد عصموا دمهم ومالههم وإن لم يصلوا ولم يزكوا ( كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ) فهذا كتاب الله وسنة رسوله وهذا إجماع الصحابة على قتال من ترك الصلاة أو منع الزكاة . قال صدّيق الأمة أبو بكر رضى الله عنه « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » وفي رواية « عناقا لقاتلتهم على منعها » وهذا إجماع العلماء ، قال في شرح الإقناع أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة من شريعة من شرائع الإسلام فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون فتنة كالمحاربين وأولى انتهى .

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : القتال واجب حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون

فتنة ، فمضى كان الدين لغير الله فالقتال واجب ، فأى ممتنعة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج أو عن التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والزنا والميسر أو نكاح ذوات المحارم أو عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب أو غير ذلك من التزام واجبات الدين أو محرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها التي لا يكفر الواحد بتركها بجحودها فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها وهذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء ، وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة إذا أصرت على ترك بعض السنن كركعتي الفجر أو الأذان أو الإقامة عند من لا يقول بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر ، فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا فأما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها انتهى .

فتأمل كلام الحنابلة وتصريحهم بأن من امتنع عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة كالصلوات الخمس أو الصيام أو الزكاة أو الحج أو ترك المحرمات كالزنا أو شرب الخمر أو المسكرات أو غير ذلك فإنه يجب قتال الطائفة على ذلك حتى يكون الدين كله لله ويلتزموا جميع شرائع الإسلام وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين ببعض شرائع الإسلام وإن ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف فمن بعدهم ، فأين هذا من قولكم إن من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه وإن ترك الفرائض وارتكب المحرمات ؟ بل من تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده عرف أن قولكم هذا مصاد لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وما فعله الخلفاء الراشدون من بعده ، فيا سبحان الله أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وهم يقولون لا إله إلا الله وسبى نساءهم واستحل دماءهم وأموالهم ؟ أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يغزو بني المصطلق عند قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا؟) أما علمتم أن علي بن أبي طالب حرّق الغالية مع أنهم يقولون لا إله إلا الله؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا الخوارج بأمر نبيهم صلى الله عليه وسلم مع أنه عليه الصلاة والسلام أخبر أن الصحابة يحقرون صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم وقراءتهم مع قراءتهم وقال أينما لقيتموهم فاقتلوهم ؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويؤذنون ويصلون ؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بني يربوع لما منعوا الزكاة مع أنهم

مقرون بوجوبها وكانوا قد جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة، وفي أمر هؤلاء صرخت الشبهة لعمر رضى الله عنه حتى جلاها الصديق أبو بكر وقال : والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق ، وقد تقدم ذلك مبسوطا وذكرنا لفظه في شرح مسلم في باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ؟ أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث البراء إلى رجل تزوج امرأة أبيه كما رواه الترمذى في سننه حيث قال باب فيما جاء فيمن تزوج امرأة أبيه حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا حفص بن غياث عن أشعث عن عدى بن ثابت عن البراء قال «مرىي خالد أبو بردة ومعه لواء فقلت إلى أين تريد فقال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن آتية برأسه» حديث حسن غريب انتهى .

ولو تتبعنا الآيات والأحاديث والآثار وكلام العلماء في قتال من قال لا إله إلا الله وترك بعض حقوقها لطال الكلام جدا، فكيف بمن ترك الإسلام كله وكذب به واستهزأ على عمد ، إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله كهؤلاء البوادي، وفيما ذكرناه كفاية لمن طلب الإنصاف فقد ذكرنا الأدلة من كلام الله وكلام رسوله وإجماع الصحابة وإجماع العلماء فإن كان هذا الذي ذكرناه له معنى آخر غير ما فهمناه فبينوه لنا من كلام الله وكلام العلماء ورحم الله امرأ نظر لنفسه وعرف أنه ملاق الله الذي عنده الجنة والنار .

وأما المسألة الثالثة وهي مسألة البناء على القبور فنقول : ثبت في الصحيح والسنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه نهى عن البناء على القبور وأمر بهدمه» كما رواه مسلم في صحيحه حيث قال : حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي ليلى عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي عليّ «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا حفص بن غياث عن أبي جريح عن ابن الزبير عن جابر رضى الله عنه قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه» وقال أيضا حدثنا هارون الأبلق قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمر بن الحارث أن ثمامة بن شفي حدثه قال : كنا مع

فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبْره أن يسوى ثم قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها» وقال الترمذى باب ما جاء فى تسوية القبور حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن حبيب عن أبي ثابت عن أبي وائل «أن عليا رضى الله عنه قال لأبي الهياج الأسدى أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته» قال وفى الباب عن جابر وقال ابن ماجه باب ما جاء فى النهى عن البناء على القبور وتجسيصها والكتابة عليها حدثنا أزهر بن مروان حدثنا عبد الرزاق عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجسيص القبور» حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا حفص بن غياث عن أبي جريح عن سليمان بن موسى عن جابر قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب على القبر شيء» حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشى بنا وهب حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن القاسم ابن مخيمرة عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم «نهى أن يبنى على القبر» قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم قال الشافعى فى الأم : رأيت الأئمة فى مكة يأمرؤن بهدم ما يبنى ويؤيد الهدم قوله «ولا قبرا مشرفا إلا سويته» وقال الأذرعى رحمه الله تعالى فى قوت المحتاج : ثبت فى صحيح مسلم النهى عن التجسيص والبناء ، وفى الترمذى وغيره النهى عن الكتابة قال القاضى ولا يجوز أن يبنى عليها قباب ولا غيرها والوصية عليها باطلة قال الأذرعى ولا يبعد الجزم بالتحريم فى ملكه وغيره من غير حاجة على من علم النهى بل هو القياس الحق والوجه فى البناء على القبور المباهاة ومضاهاة الجبابرة والكفار والتحريم يثبت بدون ذلك . وأما بطلان الوصية بالبناء والقباب وغيرها من الأبنية العظيمة وإنفاق الأموال الكثيرة عليه فلا ريب فى تحريمه ، والعجب كل العجب ممن يلزم بذلك الورثة من حكام العصر ويعمل الوصية بذلك انتهى كلام الأذرعى رحمه الله تعالى ، ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما أتم عليه من فعلكم مع قبر أبي طالب والمحجوب وغيرها وجد أحدهما مضاوا الآخر مناقضا له لا يجتمعان أبدا ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم على البناء على القبور كما تقدم ذكره وأنتم تبنون عليها القباب العظيمة والذى رأيت فى المعلاة أكثر من عشرين قبة ، ونهى رسول الله صلى

الله عليه وسلم أن يزاد عليها غير ترابها وأنتم تزيدون عليها غير التراب التابوت الذي عليه لباس الجوخ ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والجص ، وقد روى أبو داود من حديث جابر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يخصص القبر أو يكتب عليه أو يزاد عليه . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكتابة عليها » كما تقدم من صحيح مسلم . وقال أبو عيسى الترمذي باب ما جاء في تخصيص والكتابة عليها حدثنا عبد الرحمن بن الأسود أخبرنا محمد بن ربيعة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تخصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ » هذا حديث حسن صحيح وهذه القبور عندكم مكتوب عليها القرآن والأشعار . وقال أبو داود باب البناء على القبر حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني ابن جريج قال حدثني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يقعد على القبر وأن يخصص وأن يبنى عليه » انتهى « ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرجها » والذي رأيته ليلة دخولنا مكة شرفها الله تعالى في المقبرة أكثر من مائة قنديل هذا مع علمكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن فاعله ، فقد روى ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » روى هذا أهل السنن ، وأعظم من هذا كله وأشد تحريما الشرك الذي يفعل عندها ودعوة القبور وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، لكن تقولون لنا إن هذا لا يفعل عندها وليس عندنا أحد يدعوها ويسألها ونقول اللهم اجعل ما ذكروا حقا وصدقا ونسأل الله أن يطهر حرمه من الشرك ، ولا ريب أن دعاء الموتى وسؤالهم جلب الفوائد وكشف الشدائد من الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين كما تقدم بيانه في المسألة الأولى وقد قال الله تعالى ( وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ) وقال تعالى ( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ) وقال تعالى ( ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فانك إذا من الظالمين ) وقال تعالى ( والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ) الآية وقال تعالى ( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ) الآية وقال تعالى ( له دعوة الحق ) إلى آخره ، وقد روى الترمذي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الدعاء مخ العبادة » وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم



« الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » رواه أحمد وأبو داود والترمذي . قال العلقمي في شرح الجامع الصغير حديث « الدعاء مخ العبادة » قال شيخنا في النهاية : مخ الشيء خالصة وإنما كان مخها لأمرين : أحدهما أنه امتثال لأمر الله تعالى حيث قال ( ادعوني أستجب لكم ) فهو محض العبادة وخالصها ، والثاني . إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع عمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده وهذا هو أصل العبادة ولأن الغرض من العبادة هو الثواب المطلوب عليها وهذا هو المطلوب من الدعاء وقوله « الدعاء هو العبادة » قال شيخنا قال الطيالسي أتى بالخبر المعروف باللام ليبدل على الحصر وأن العبادة ليست غير الدعاء . وقال شيخنا قال البيضاوي : لما حكم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة من حيث إن فاعلها مقبل على الله معرض عن سواه ولا يرجو ولا يخاف إلا منه . واستدل عليه بالآية يعني قوله ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ) فإنها تدل على أمر مأمور به إذا أتى به المكلف قبل منه لا محالة وترتب عليه المقصود ترتب الجزاء على الشرط والسبب على المسبب وما كان كذلك كان أتم العبادة وأكملها ، انتهى كلام العلقمي رحمه الله تعالى . وليكن هذا آخر الكلام على هذه المسائل الثلاث ، فان وافقتمونا على أن هذا هو الحق فهو المطلوب ، وإن زعمتم أن الحق خلافه فأجيبونا بالكتاب والسنة فإنهما بين الناس فيما تنازعوا فيه كما قال تعالى ( فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ) وقد ذكرنا لكم الأدلة من الكتاب والسنة وكلام الأئمة ، فإذا أجبتكم على هذه المسائل الثلاث أجبتكم عن بقية المسائل إن شاء الله تعالى . ولنختم الكلام بقوله تعالى ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الدين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ) والحمد لله أولا وآخرا كما يحب ربنا ويرضى صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

ثم دخلت السنة الثانية عشرة بعد المائتين والألف . وفيها أظهر الشريف غالب عثمان المضايقي مع كثير من العساكر والجيش وذوى السفاهة والطيش وقصد عربان الإسلام لكون جرودهم عند سعود ولم يكن عند الأهل كثير من أهل الاقدام بل كانوا غزاة حماة تلك الأقوام ، فظن أنه يحصل منهم على مرام ، فأسرع الوصول إليهم

وقدم وهم على ماء عقيلان آل روق من قحطان وغيرهم من سائر العربان وكبيرهم مسفر بن نقيحان ، فأغارت عليهم فرسان الشريف بقوة ترعب وتخيف ، فثبتت لهم أولئك العرب ولم يكن أحد منهم عزم على الهرب ، وصبروا على الجلاء خوفا على الأموال والأولاد حتى أعانهم الرحمن ، فانهزم ذوو الطغيان وتبعهم أولئك البدوان وقتلوا منهم فوق الخمسين ونار الباقي مدبرين ومات كثير منهم من الظمأ متفرقين وأخذوا كثيرا من السلاح والركاب وخسر جميع الأحزاب .

هذا ، ولنرجع إلى تمام الحديث عن تويني وإكماله وما لقي في طريقه من سوء أعماله؛ وذلك أن الله تعالى الولي الحميد المبدئ المعيد المنتقم من كل جبار عنيد لما أراد فيه إنفاذ الوعيد وأن يولي المسلمين من فضله المزيد ويجري لهم عادته من النصر والتأييد ويخذل كل رائم لهم الهوان ومزيد من كل باغ وشيطان مرید ، أقبل يقطع المفاوز ويعقب وراءه كل مهمه ويجاوز ويروم أنه بالحساء فائز وأنه لولايتها منأهنر ، وعن مصادمة المسلمين في بلدانهم بعد ذلك غير عاجز ، يعمل بذلك نفسه إذا مدجى الدجى ويحقق له الغرور ذلك الرجا ، يولى في تلك المسامرة ويعزل ويحكم بما شاء على من شاء ويفصل ولم يدر أن الله تعالى له بمرصد وأن القضاء له بمقعد فلم يطل له على تلك الأمواه مقام بل أسرع في المسير والاقدام ، ولم يكن له عن أرض الشباك إحجام ، لما قضى عليه بشرب كئوس الحمام وأن الله تعالى بحكمته التي بها للسموات والأرض القيام وحسن لمن فيهن بها الانتظام ، وقدرته التي قهرت جميع الأنام وإرادته التي تم بها الوجود واستقام ، اختار أن يبين للناس مافيه آية عظيمة يستدعى بها إذعانا لوحدانية الله ذوو العقول السليمة وسالكو المناهج القديمة المستقيمة ولكن الله تعالى إذا طبع على القلوب بطابع الحجاب وسلب الإدراك والمعرفة من الأبواب فلا تحس بما يصدر من العجاب وتتمادى فيما هي فيه من الزيغ والارتباب .

فلما نزل تويني في رياض أراضى الشباك مدت له من الحبال شباك ونصب له من أسباب الحمام أشراك حتى تخمد نار الغواية والإشراك وترجع خاسئة على أعقابها أولئك السلاك ، فناداه منادى القضاء المجيد إلى أين تذهب وتريد ، وقد حان هلاكك غير بعيد (قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فلم تمض له إلا أيام قليلة فصاح به أخرى وأسمعه قبيله وناداه ولكن لا يسمع

ولا يجب ( ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ) وجعل الله تعالى منية ذلك الضرغام الذي لا استطاع بأسه ولا يرام على يد أذل وأضعف الأنام ، وذلك أن الأسرار الغيبية والمصالح التي نيط بها نظام البرية وجميع العوالم العلوية والسفلية لا تدركها جياذ الأفهام والأذهان بل تحجم دون ذلك الميدان ولا يكون لها فيه جولان ويقصر باعها عن ذلك ولو أطلق لها عنان فترجع حينئذ ألباب أهل العرفان وصفوة أهل التوحيد والإيمان حين تشاهد تلك الحكم التي ظهرت في غاية البيان وأبرزها من ( كل يوم هو في شأن ) في وقتها المقدر لها بحسبان إلى زيادة الإقرار والإذعان لمكون الأكوان ومقدر الآجال والأزمان ، ومحتم الفناء على كل إنسان وملك وجان ، بمصداق ( كل من عليها فان ) ومما يفتح هذا الباب لدوى البصائر والألباب ويحث على التوحيد وإخلاص الدعوة لرب الأرباب هذا البرهان الذي شاهده أولو الأبصار والحكم العادل الصادر من قاصم كل جبار المبرز في مساق النصر والانتصار صونا لزال الشريعة عن الأكدار وقدر زعاف الأشرار ليستيقن أهل الدين بعد التتبع والاعتبار ، ويزيد أهل الإيمان بذلك الاستبصار فلا تبدر العقول والأفكار إلى امتطاء كاهل الإنكار ولا تدخل في ضنك القنوط فتزيغ منها الأبصار ، فما في الغيب من خفي الأسرار أجل من أن تحيط به البصائر المستضيئة بالأنوار ، فتبارك الذي أقصى من شاء من العباد ونحاه إلى بيداء الأبعاد وقسم له الطرد والحرمان ، وأضله على علم لإرادته به الهوان ، وسبحان الذي قرب أوليائه إلى جنابه ومنح أصفياه لذيذ خطابه . وحاصل بيان هذه النقبة وتهيئة أسبابها الموجبة وإشراق أنوار هذه الموهبة أن ثويني لما ظهر للحراية وكان منه إليها تلبية وإجابة وفتح من الشر بابا وارتد من البدوان كثير من العربان كما قدمناه عن آل ظفير وكل أقبل إلى الفتنة يسير جاء بنو خالد الذين في الشمال وأسرعوا إلى براك بن عبد المحسن ومن معه من قومهم وأعلموهم بالحال وخوفوهم من ثويني وما أتى من الكيد الذي لم يسبق له مثال ، وأراد براك الامتناع فهددوه بالأسر والاعتقال فأشمل بعد ذلك هو ومن معه وكانوا إلى لقاء ثويني في استقبال وهاجر من قوم براك جماعة كثيرة وقصدوا الدرعية بعد صدور تلك القضية ، ثم بعد ذلك خرجوا مع أهل الجهاد وكان طعيس ممن هاجر وأبى الارتداد، وخرج للغزو مع تلك الأمداد وكان يكثر الدعاء لمولاه والسؤال ويدب

لتضرع والابتهاال ويتمنى ذلك فى كل حال ويتفوه بذلك بين الرجال حتى يظن سامعه أن به وسواسا وخبال ، ويستبعد أن يكون للأسود والأشبال إلى حمى ثوينى صول واتصال ، أو تدرك منه مراما أو منال ، فضلا عن مثل هذا المهان الذى لا يلقى إليه بال يجسر على هتك تلك الأبهة العديمة المثال ووطء بساط تلك الحضرة التى دون حبثها خطوب وأهوال ، فلا يرام الوقوف عندها ولا تنال ، فأراد الله الكبير المتعال ، أنه يغزو مع مناع أبارجلين وهم أهل أربع ركاب يريدون اختلاس بعض لآبال ، فوافقهم أناس من آل ظفير ذوى الضلال فأخذوهم وبقي طعيس عند أولئك الجنود وأخذت نفسه تحذثه بتلك الآمال ويصمم على ذلك ويدعو بتيسيره فى البكور بالأصال ، فاستعد للإقدام وباع نفسه وأبرم الاحتيال وأخذ حربته وقد قوى الله عزيمته فجاءه وهو قاعد مع بعض الرجال فأنفذ فيه الحربة وكان منه له اغتيال ، فلما أحس بالطعنة جرد صارمه فضرب به طعيسا وقام عليه مع غيره رجال ، فقتل بعد ذلك فى الحال ولم يكن له ساعة إمهال ، عليه رحمة الله تعالى . وبقي ثوينى ذلك اليوم إلى العصر ثم كان له إلى القبر انتقال ، فضجت تلك الأمم مما حل بهم ودمهم ، وذعرت وارتجت وماجت قلوبها بعد ما رعبت وعجت وحقا بها مدلهم الخطب وعراها وقراها الزمان ما أوهى قراها وضاق عليها فسيح الفجاج والرحاب وأحاط بهم رجز من العذاب وانهمزم منهم براك ونار ، وأرسل المسلمين بالأخبار وتبعه أناس من قومه وجد فى الهروب من يومه ولم يثبت لهم قوة ولا قلوب ولا قرار بعد ما صدر من براك وجماعته ذلك الفرار ، وحاول قوم ثوينى وناصر أخوه فى الثبات واجتماع الحال فلم يحصل له ما يرجوه وأبت تلك العربان وندت أسلاف البدوان وشمرت فى الانهزام والذهاب جميع طوائف الأعراب وشنت الله شمل أولئك الأحزاب واستمر كل واحد منهم فى الهزيمة لا يلوى أحد على أحد ولا يجيب (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا فى شك مريب) .

ولما تحقق المسلمون ما صدر وجرى وتبين لهم صدق ما نزل بهم وعرا بادر حسن بن مشارى وجميع أهل الإسلام فى طلب أولئك الجموع العظام وشمروا فى أعقاب أولئك الأقوام يأخذون ويقتلون والأعداء منهزمون ولا يلوون وتركوا جميع ما عندهم من الغنم وما ثقل من الطعام والنعيم ولم يكن لهم على جر المدافع الكبار

حيلة ولا وسيلة ولا اقتدار، فأخذ المسلمون جميع المدافع ولم يكن دونها مدافع وغنموا من جميع الأموال مالا يخطر على البال واستمروا في آثارهم على ذلك المنوال إلى قريب الجهر يجمعون الأموال ويقتلون الرجال ، فقتل منهم في الصبيحة جماعات من تلك البرية ورجع المسلمون بعد نيل الآمال في أنهم عيش وبال ، وأقبل سعود بلغه الله المقصود في حدود ظهور أنوار تلك الآية وقد رفع طالع الإقبال على رأسه للنصر راية، فأحاطت به من جوانبه الألفاف والتوفيق والعناية وحفه السعد والحفظ والرعاية ، ونوى أن يغزو أولئك الجنود ويبذل فيهم المجهود وعزم على ذلك وصمم وأجمع عليه رأيه وتقدم وقال لا بد في أرضهم من الوطأة والمجال حتى يكون ذلك أردع وأقمع لدوى الضلال ، فانتدب إليه من كبار المسلمين رجال وقالوا هذا صعب المنال والركاب والجياد لا يستطيع السير بحال ، وكفى ما وقع بهم من القتل والإذلال وما نالوا من الشر والوبال وعسى أن يتم لك المراد على الامهال فجنح إلى قولهم وراض وكان له عن عزمه إعراض ، وأقام سعود حرسه الله في تلك الأرض يجمع الغنائم ويأخذ منها الخمس الفرض . ويقسم الباقي على المجاهدين حتى وزعت بينهم أجمعين ، وكان جميع ما حصل من الإبل ثلاثة آلاف من غير مبالغة ولا إسراف والذي جمع من الغنم فوق مائة ألف وأكثرها عاجلة الهلاك والختف ولم يدرك من الخيل إلا قليلا ونال أهل الإسلام عزا جليلا ونصرا مؤيدا جميلا وثوابا عظيما وأجرا جزيلا ورجع حزب البغي ذليلا وقد نكله الله ( والله أشد بأسا وأشد تنكيلا - سنة الله في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ) وأقام سعود على تلك الأمواه أيام ، وأطال بها المقام ثم بعد ذلك سار إلى الحساء ونزل عن المبرز شمالا وقد انشرح صدره ونعم بالامكان يدبر شؤوننا وأحوالنا ويعاقب من تبين فيه رعب ، وأبدى خفة عند تلك الأحزاب واعتجالا ويؤنب من نار إلى البحر ويوبخه مقالا ويحثهم على الاجتهاد والاجتماع والمساعدة في الجهاد والدفاع عند نزول طوارق الفتن وحلول عوارض المحن حتى ينالوا بذلك الدرجة العليا في الآخرة والدنيا ويحوزوا أسمى المراتب السنية ويفوزوا بأسمى المطالب السمية ، واجتهد بعض أهل الحساء على بعض وصار لهم في السعاية عنده إسراع وركض ، ولم يقفوا عند حدود الله تعالى بالترك والرفض وراموا بذلك إليه تقريبا ووصولا ومنزلة وتمكيننا لديه وحصولا ، وجمعوا له في ذلك الميدان من قبيح

للزور والبهتان جملة وفصولا ( ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ) فدأبوا في السعاية لديه بالنائم والكل من أهلها للحظوظ الدنيوية رائم ولم يخشوا عاقبة المآثم ومن هو بخفي حالهم عالم وكاد أن يكون سوقها قائم لولا أن من الله عليه بلطفه فزجر أهل تلك المظالم وأصبح لمناهجها يزيل عنها تلك المعالم ولجميع موادها حاسم ، وينشد قول شاعر عالم :

كذبت مناكم صرحوا أو جمعوا الدين أمتن والسجية أكرم  
لا زدتمو تضيق صدر لم يضق والسمر في ثغر الصدر تحطم  
وزحفتو بمجالكم لمجرب ما زال يثبت للمحال فيهزم  
أنى رجوتم غدر من جربتو منه الوفاء وجور من لا يظلم  
ونهاهم عن تعاطى تلك الخصلة القبيحة الذميمة والكبيرة التي لا يرضاها فضلا  
عن كونه يتعاطاها من له مسكة من الدين أو شيمة ، فيالها من كبيرة في الدين عظيمة  
لو لم يكن فيها من الإغلاظ والإعظام إلا قوله عليه الصلاة والسلام على سبيل التهديد  
والتحذير والإعلام لكافة ذوى الدين والإسلام من سائر الأنام « لا يشم عرف الجنة  
نعام » وقول الله تعالى في الذكر الحكيم ( ولا تطع كل حلاف مهين هاز مشاء بنميم )  
لكفى عن افتراقها وسرعة الهجوم عليها والإقدام ، وقد جاء فيها من الوعيد ما ليس  
عليه مزيد من صحيح قول الأنام مما لا تحيط به الأفهام ولا تحويه الأرقام وتكل  
من سرده الأعلام ، ولا يليق باستقضائه هذا المقام .

قال المصنف مهنا للأمر سعود ولأبيه عبد العزيز  
في قدوم سعود الحساء بعد قتل ثويني بهذه الآيات :

تلاأ نور الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشرك مزقه الظهر  
وشمس الأمانى أشرقت في سعودها ولاح بأفق السعد أنجمة الزهر  
وجلا ظلام الخطب بيض صنائع كأن سناها في غياهبه بدر  
وأسفر وجه الوقت بعد تعبس وحالت ب صنع الله أحواله الكدر  
فأيامه بالأنس بيض شوارق تضىء كما أضوى بديجوره فجر  
وهبت رياح النصر والفوز والهنا حق لنا منها البشار والبشر  
وروح روح الأنس كل موحد ففي قلبه مكر وما مسه خمر

كأنّ به من نشأة اللطف نشوة  
وغنت بروضات السرور بلباب  
فأصل التهانى دانيات قطوفه  
ونادى منادى الحق بالخلق معلنا  
فما قلب ذى ظهر بفيضا أضله  
بأفرح منا بالبشير وقوله  
أذيق العدا كأس الردى فما الهدى  
وفلت جنود المعتدين ومزقت  
فمن حامد منا ومثن وساجد  
لقد أقبلوا والأرض ترجف منهمو  
وساروا بأسباب المكائد والردى  
وقد زاغت الأبصار واحتك الفضا  
فآبوا وقد خابوا وما أدركوا الى  
جنود فساد وابتذاع وفتنة  
يريدون أن يطفوا مصاييح نوره  
أبى الله أن يسمى الضلال على الهدى  
وتعلى البواعى والطواعى وحزبها  
وينسخ آيات الكتاب وحكمه  
لقد قلّ غضب الشرك بل ثلّ عرشه  
وحالت مغانيه وأثوت ربوعه  
كأن لم تكن فيه الملائه مرة  
نعى الشرك أحزاب الضلالة بعدما  
وقامت نواعى الرفض يندبن أهله  
رمى الله أحزاب الضلال كما رى  
أديرت عليهم فى الشباك رضى الردى  
وحاق بهم ما أضمرنا من طوية

ترنج منها العطف واستحكم السكر  
يرجعن ألحانا يهش لها الصخر  
وفرع الى غض وأوراقه خضر  
ألا فليحل الحمد وليعظم الشكر  
وفاجأه عند التوى ذلك الظهر  
أتى الفتح والإقبال والعز والنصر  
وشلت يمين الشرك وانقصم الظهر  
وزال ظلام الشرك وانحق النكر  
لمولاه شكرا بعدما انكشف الأمر  
وقد أدبروا يقفونم الذل والصغر  
إلينا فما أغنهم الكيد والجور  
علينا كأنّ الأرض مما بنا شبر  
وبادوا وما سادوا وعقباهم الحسر  
يقودهم الإضلال والبغى والفجر  
ويخفوا قويم لا يرام له ستر  
ويطمس أعلام الخيفية الكفر  
على عصابة فى الدين شرعهم الذكر  
لحون الغنا والعود والطبل والزمر  
وسل حسام الدين واندرس الشر  
وزالت مبانيه فساحته صفر  
ولم يجتمع للهو فى ساحه سمر  
تغشاهم الإذلال والعار والوزر  
بحرقة قلب فيه من فقدم جمر  
ذوى الفيل إذ أعياء عن مكة الحصر  
ودارت كؤوس للننايا ولهم حمر  
وخانهم المغوى وخانهم المكر

فمنهم مئات بالصبيحية اغتدت  
 مرابع فيها للطيور مراتع  
 إذا مرها المجتاز يلقى موائدا  
 رب طعيس لاطعيس تقشعت  
 لقد حق وعد الله واعتز جنده  
 تولى إله الخلق نصرة دينه  
 أرانا بهذا البطش ذو العرش آية  
 رأى جزعا منا فأبدى انتقامه  
 على أن مولانا أبان بصنعه  
 عيون القضا ليست نياما وسهمه  
 وحسن الرجا للعبد أقوى وسيلة  
 تمنى رجال أن ينالوا مناله  
 فهم في انتظار النجب يرجون فوزهم  
 فمن مبلغ عنى العداة رسالة  
 أتيتم إلينا راعين قطيعة  
 ورمت ذرى السمحا وجب سنامها  
 وناوأتهم الإسلام والله دونه  
 تقامتم الأحساء قبل منالها  
 أمانى من أردى العباد بمكره  
 تعستم فهجر دونها خطة البلا  
 ومن دونها يوم به يعرف القنا  
 بها الأسل كالأجام والأسد حولها  
 أنيبوا سراعا قبل أن يهتك الغطا  
 أفيةوا فأتتم فى دجى غمرة الردى  
 ألم ينهكم عنى مهيع الغى ما جرى  
 ألم يأن أن تأووا إلى مقل الهدى

تراوحها الأشبال والذئب والنحر  
 وترقص فيها النسر والحر والصقر  
 وليس بها إلا كمة العدا جزر  
 سحائب رجز بالمنايا لها شر  
 فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر  
 فأعلى منار الحق وانشرح الصدر  
 وذكرى لنا فى ضمنها يظهر البشر  
 وذكرنا للوعد إذ جاءنا الصبر  
 لنا أن جند الحق لم يدره الحجر  
 مصيب فما يغنى عن القدر الحذر  
 إلى قصده والعسر يتبعه اليسر  
 وقد عاهدوا بالبيع أن سامهم سعر  
 وقد سمحوا بالعمر إن حارب العمر  
 أنيبوا فما يأويكم السهل والوعر  
 فخل بكم بأس وعاجلكم حذر  
 وهدم دعائم عليها رسى قصر  
 وأحزابه والسمر والبيض والبتر  
 فللروم شطر والبوادي لهم شطر  
 وما وعده إلا الأباطيل والغدر  
 ودون حماها يقطع الهام والنحر  
 وتروى المواضى والمثقة السمر  
 مثال الرواسى والنجيع به بحر  
 ويكشف عن وجهه المخدرة الحذر  
 وأبصاركم عمى وفى سمعكم وقر  
 ففيه لدى الأبواب عن غيهم زجر  
 فقد جاءت الآيات واستتبع النذر



فليس لمن ينجو سبيل الردى عذر  
يقصر عن تعدادها الضبط والحصر  
وراياته لا يستطاع لها كسر  
ويتبعها التأييد والنصر والقهر  
ولم تبق أرض ليس فيها له ذكر  
وعم سحاب العفو من ضمه القبر  
عفى رسمه والأرض من نوره قفر  
من الحق والبرهان يكشفه السبر  
وصار إليه الفلج والورد والصدر  
لملة آباء عليها مضى العمر  
فما ناله مما أرادوا به ضر  
فألواه بل سواه من خصه البر  
بآل سعود حين شد له الأزر  
شبه بهام المعتدين له طر  
من الدين مطويا فلاح له نشر  
وضوح نبت الشوك وانقطع البذر  
أضاءت نواحيها فأرجاؤها سفر  
فقد تم للدين القويم به نخر  
موات والفردوس وافتخرت هجر  
جباه الملوك الصيد واتضع الكبر  
تهلل وجه الدهر وابتمس الثغر  
فليس بمحص فضله النظم والنثر  
وهزت به البلدان وارتعدت مصر  
يعززه بالبيض أبناؤك الغر  
بعدل وإحسان لكى يعظم الأجر  
بهم قول واش جل مقصوده التبر

تبين نهج الحق والرشد للورى  
وقامت على الدين القويم شواهد  
فآياته محفوظة عن معارض  
يشيعها التسديد حيث تيممت  
تشعشع من خمسين عاما ضياؤه  
سقى قبر من أحياء شؤبوب رحمة  
فقد جاءنا يدعو إلى الدين بعدما  
جفاده الأخبار فيما أتى به  
ونوظر حتى ألزم الخصم عجزه  
فعودى بغيا واهتظاما ونصرة  
وهموا بما لم يدركوا من وقعة  
نفته العدا لما جفته أقارب  
جاهد حتى أطلع الله بדרه  
فهم أنجم للمهتدين وصارم  
لقد أحرزوا خصل الفخار وأبرزوا  
فأضحت بهجر شرعة الحق غضة  
بهدى إمام المسلمين ومهده  
تهنّ بهذا الفتح يابن محمد  
هنيئا لك الفتح الذى فتحت له الس  
هنيئا لك الفتح الذى طأطأت له  
فهذا هو الفتح الذى بضياؤه  
وهذا هو الفتح الذى جل قدره  
قلله فتح طبق الأرض صيته  
بك الدين يا عبد العزيز مؤيد  
فراع جناب الحق فى الخلق وارعهم  
وأحسن إليهم واعف عنهم ولا تطع

يسارع في سخط الإله تقرّبا  
ولا تصطفى للنصح إلا مجرّبا  
فلا بد من حشر ونشر وموقف  
وبالعدل والإحسان والعفو والتقى  
أُنابك مولاك الكرامة في الجزا  
سعود بهذا الفتح هنيئ فليكن  
وإسبال ذيل العدل والصفح والرضى  
أساء الأعدى ظنهم فيك فاعتدوا  
فظنوا سفاهها أن حزمك رازم  
وأُنك وان بعد إدلاجك السرى  
وقد عرفوا منك الشهامة والدها  
فأنسأهم الشيطان ما يعرفونه  
وما جحدوا ما استيقنوا منك في اللقا  
وما غرهم إلا تأنيك عنهمو  
فبرد الوغى مالم يجد نسجه الحجا  
وأصل الوغى الندير والرأى ساقها  
فلبثك عن صدم الأعدى خديعة  
وتالله ما اخترت المقام على اللقا  
وما أنت إلا مسعر الحرب إن خبت  
بربك أركان الشريعة قيد رست  
لئن زادت الأحسا بنصرك بهجة  
وإن لم تكن زاحفتهم بعد رجفهم  
وقابلهم بأس الإله ورجزه  
فولوا سراعا مدبرين وخلفهم  
عصابة توحيد إذا اشتبك القنا  
نخوض عباب القمع والموت ناقع

إليك لكي يدنى فينمو له الوفر  
تقيا تقيا ليس في قلبه وحر  
مهول به التقوى تكون هي الذخر  
ينال الرضى والملك يبقى له الخبر  
وجادك من هطال سحب الرضى قطر  
يقابله منك التجاوز والغفر  
لجان فان العفو يسمو به الحرّ  
وما علوا ما ينتج الرأى والفكر  
وعزمك معقول اليمين به حصر  
وحدك من بعد المضاء به دثر  
ومن بأسك المشهور عندهم الخبر  
ليقطع منهم حيث أغواهم الدبر  
ولكنهم من شؤم أعمالهم غرّوا  
ولم يفهموا أن الأناة لها سرّ  
ويحكمه التدبير قبل اللقا طم  
وأغصانها صبر وأثمارها نصر  
ومكر فما يلقي عليك به سخر  
لجبن والكنّ المراد بهم فقر  
وخوّاض حاميا إذا حمى الدسر  
وقوّم منها ما تخلله العصر  
فقد زانت الدنيا بوجهك والعصر  
فقد زاحفت عنك المهابة والذعر  
وصاح بهم صوت الفضاء ألا فروا  
ليوث شرى من طبعها الفتك والأسر  
وضاق مجال الخيل وانتفخ السحر  
كأنّ حياض الموت عندهم نهر  
( ١٦ - تاريخ نجد - ثان )

أدام لهم ربى بك النصر والهنا كما للعدا منك النكابة والقسر  
وأولاك مجدا يحسر الطرف دونه ويقصر عن إدراكه البدو والحضر  
ولا زلت فى الدنيا عزيزا مؤيدا لك النقض والإبرام والنهى والأمر  
ودونك من خرد القريض خريدة يجلّ سناها أن يماثله الدرّ  
نحتك وخمر التيه يهصر عطفها عسى أن يرى حسن القبول لها مهر  
وأزكى صلاة يهر البدر حسنها على خير مبعوث به رفع الأصر  
كذا الآل والأصحاب ماجدت الصبا على الروض مطلولا فعطرها الزهر  
وفى غزا ربيع بأهل الوادى ومن يرعى فجاج تلك الأرض من سائر البوادرى،  
فسار حتى نزل فى أرض بيشة فأعد عند الجنينة والشقيقة ، وكانتا للمسلمين هناك  
جنده وجيشه ، فاستمر يغير على أهل تلك البلد والقرايا وينالون منها عظم البلايا  
فيصبحهم بالغارة كل ساعة وحين ، فليسوا من مقاساة القتال بمستريحين ، فأقاموا  
على تلك الأحوال مدة يقاسون منه تضيقا وشدة ، فلم يحسن لهم تلك الأيام فى بلدانهم  
سكنى ولا مقام ، ولا يهنئون بطعام ولا يجدون راحة منام حتى أقبلوا على القسر منهم  
والإرغام إلى منهج الاستسلام ، فطلبوا الدخول فيه ولا يجوز لأحد أن يبعد من أراد  
ذلك وينفيه ، فدخل الإسلام كثير من أولئك الأنام ، وعاهد على ذلك كثير من القرى  
حتى جرى عليهم من الردة ماجرى .

وسبب ذلك : أن غالبا الشريف لما تحقق عند ماجرى على أهل بيشة تكدر  
حاله وتنقصت عليه المعيشة فدبر فكرته وحيلته وحقق قصده ووسيلته ، فأظهر جيشا  
كثيرا وجما غفيرا واستمد سائر البوادرى ، فكل بالاسراع أجاب ذلك المنادى ، فرأس  
فيهم الشريف فهيد فخرج بأعظم الكيد وسار حتى نزل على الجنينة وكانت للإسلام  
سابقة ، وتلك القرى بعدها لاحقة ، فدعاهم إلى النزول بالأمان أوقف تلك البوادرى  
الحسان ، فأجابوه لذلك من غير توان وظهروا عليه من ذلك المكان ، فأوقع بهم الخزى  
والهوان ، وقتل منهم كثيرا من أهلها ممن يدعى الدين وينتسب للموحدين ، وأسر  
أناسا كثيرة ونهب البلاد وعابثوا أقبح الفساد ، ثم بعد مضى ذلك وانقضائه وصدور  
قدر الله وقضائه على أولئك العباد وما نالوا من النال والأنكاد ، سار إلى رنية عاجلا  
وكان لنيل المأرب منها آملا ، فأناخ على النخيل والحلل ورام أن يقطعها على مهل ، وظن

أهلها إليه لا يخرجون ، وإذا رأوه يقطعها يزعمون ، ويخنون عليها حينئذ الثكلى وكفى بذلك تنكيلا ونكلا ، أن لا يدركوا منها أكلا ؛ حينئذ نزل قريبا منها خرجوا إليه سراعا فنحوه عنها وطال بينهم مجال القتال وصبر على البأس أولئك الرجال وطاعنوا دون الحلل والنخيل وليس عندهم سوى الرجا تأميل ، فأمدهم بالنصر والظفر من علم حالهم وأعان فرسانهم ورجالهم وكبت على أعدائهم خذلانهم وإذلالهم بعد ماسول لهم الشيطان وأملى لهم ، فقتلوا منهم مائة رجل ثم انهزم فهيد ومن معه على عجل . وفيها غزا هادى ابن قرملة مع كثير من قومه قحطان وقليل من سائر العربان ، فسار حتى انفلق له ضياء الأمل وتفتح عنه قتام النصب والكسل ، فأبصرت البقوم عيونه فحققت ظنونه ؛ فعند ذلك كسا تلك الأقوام من تقع الغارة قتام ، ودجى عليهم من سنايك الجياد ظلام ، فاشتد لزحام وحانت المضاجع فى الرجام فاجتلدوا لحظة ، وكل أخذ من النجدة حظه ، ثم بعد ذلك انهزم الأعداء وحامت على رؤوسهم عقبان الردى ، فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل المسلمون منهم نحو الستين وأخذوا منهم كثيرا من الإبل ورجعوا بحسن الأمل . ثم بعد مضي شهرين عاد عليهم طائف البين . فأغار عليهم هادى بن قرملة فأدرك منهم فوق مائمه ، وتلاحمت بعد الغارة فرسان البوادر فكان طالع الإقبال لهادى ، فصدقت أبطاله ونصحت رجاله خسنت عند ذلك حاله . فانهزم أعداؤه ونجح رجاؤه ، فأخذ من الغنم ألوف وجرع أربعين رجلا الختوف ، وأدرك بعض الآبال فنعّم له البال . وفيها رأس سليمان باشة بغداد حمود بن ثامر بعد ما قتل الله ثوينى وانهزمت تلك الجيوش والعساكر ، وكتب الله عليهم التزيق والشتات فتفرقوا أيادى سبا فى الفلاة ولم يكن لهم بعد ظهور البراهين والآيات ، صبرولا اجتماع ولا التفات ، وظن الباشا سليمان أن تلك الأحزاب والعربان إذ رأس حمودا على البصرة والبلدان تقبل عليه وتجتمع لديه ويكون لهم فى التخريب أمر وشان ، فأرسل إليه النجب والبريد بذلك للترئيس والتأييد مصحوبا بخدمة فاخرة جميلة وصلات وافرة جزيلة ، فترنح عطفه بخمرة الملك ، فاستضاءت رحابه حين انتظم واسطة لذلك السالك ، وأشرق نأديه بعد ذلك الحلاك ولم يدرك أنه طوق بأطواق من الشر والهلاك .

فلما أدرك الرياسة واحتوى ، وكرع فى مواردها حتى تصلع وارنوى ، وما خبطار على باله ما كمن فى ضمنها وانطوى وتسمن كاهل السياسة وارتقى ، واختار من أعوانها

وانتقى وتقلد أعباءها وتطوق وتحلى بحلأها وتحقق أقبل إليه كل من تشتت وتفرق والتأم عليه كل من تقطع وتمزق ، وأسرع لديه كل من خاف من المسلمين وأشفق وكل من صد عن التوحيد والحق ورام للدين وأهله مغالبة وأنه يدرك منهم مطالبه وسيعلم من تكون له العاقبة، وأنها كما نطق به الكتاب المبين من غير شك لعباده المتقين وحزبه المؤمنين وجنده الموحدين .

وفيه اغزا من أهل الحساء غزو وأميرهم أبا رجلين مناع، فلم يكن لهم دون الكويت اقتناع ولا حيلولة ولا دفاع ، فصبحوا تلك البلد بعد حث وإسراع ، فأغار ذلك الجيش على أطراف البلاد بعد ما جعلوا لهم كميناً للجلاذ فأخذوا غنائم كثيرة وفزع أهل البلاد بجموع غزيرة وعدة عظيمة شهيرة ، فوقع بينهم قتال من بعيد والرمي يصيب فيهم ويجيد وكل من الفئتين ليس له على الثبات من محيد حتى طلع ذلك الكمين المعداد فانهمز أهل البلد وكان لهم إليها ورود وما كان لهم دون ذلك صدود ؛ فملك المسلمون أعقابهم وكانت كؤوس الردى شرا بهم وعجل الله تعالى لهم عذابهم فقتل منهم نيفا وعشرين وأخذ ما معهم من سلاح وولى الباقي منهم منهزمين . وفى تلك الغزوة صادف منصور ابن فضيل مع ركب معه من العماثر وهو إذ ذاك للقظيف سائر، فقتل ومن معه وجرع حمامه فجرعه. وفيها أيضا وافق مناع أبا رجلين وغزو أهل الحساء ما جلب لهم السرور والإيناس وهو ركب معهم محمد بن ديماس ، فقتل من معه وخاضت البحر بمحمد بن ديماس فرسه مسرعة فدعا عند ذلك بالأمان لكونه لم يعرفه من المسلمين إنسان ، فأقبل بعد ذلك سريعا ونال ذلا شنيعا فقيده وأسر بعد ما ملك وقهر ثم بعد صدور القضية أتى به مناع أمام المسلمين فى الدرعية فحاول على قتله حجة شرعية وطريقا يبرى ذمته عند رب البرية ، فكأنه حرس الله تعالى من المكروه مهجته وأدام توفيقه ونعمته وبهجهته تورع فى المسارعة إلى قتله مع ما صدر من قبيل ففعله ، فقد كان وقافا عند الحدود وكان يدرؤها بالشبه كما للنص بذلك ورود ، ولكنه ترك ابن ديماس يعانى هم الأحباس. وفيها أغار مشاري بن عبد الله آل حسين على فريق من زعب فقرب الله تعالى له الهلاك والحين وكان غازيا من الكويت مع أهل عشرين مطية وبعض من الخيل، فلم يدرك إلا الرزية ومفاجأة الحمام والمنية معاقبة لأفعاله الردية وشؤم صنعه فى البرية ونفوته عن التوحيد وموالاته لكل شيطان مريد وبذل جده فى مصادمة

الحق والهدى ومساعدته لأهل الضلال والردى وقيامه مع من تعدى وجار من سائر طوائف الفساق والفجار ( ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ) . وفيها أرسل كثير ممن حول مكة من البدو إلى عبد العزيز يطالبون منه الإسلام والأمان وجعلوا بينهم الواسطة حمود بن ربيعة ، فأجابهم إلى ذلك الإمام وشرط عليهم النكال فالتزمه أولئك الأنام وجعل على كل بيت شيئا من الدراهم وعلى كل سلف ركابا وسلاحا وخيلا جيادا كرائم لكونهم قد نزعوا حلية الدين ونزعوا إلى طريق المبطلين ، وكان التنكيل بالمال مما لاخفاء في جوازه ولا إشكال والمعاقبة بذلك جائزة واردة والنصوص عليه شاهدة ولا عبرة بمن كانت بصيرته جامدة وفكرته لذلك جاحدة ، وكانت هذه سنة عبد العزيز حرسه الله فيمن عدل عن الحق والمنهاج وركب طريق الزيغ والاعوجاج ، فراض على ذلك الاشتراط من كان له بالمسلمين ارتباط ، وفي الإسلام رغبة واغتيباط وهم كثير من أولئك العربان وأعظمهم كثرة فرقان العتبان ، ولم يبق ممن يسم مواشي الآبال في تلك الشعاب والتلال سوى البقوم من أهل الضلال ، فشق ذلك على غالب وكان عليه من أعظم المصائب ، وهمه ذلك وأقلقه ، وأزعجه ما جرى وأرهقه وأحزنه ما صدر من حالهم ودخلهم في الإسلام بعد ضلالهم وتحقق أن ذلك عليه داء عضال وأنهم يحجرون عليه الهوان والإذلال ، فلم يلف بعد معاودة الفكر والبال طريقا إلى التوصل في بقائهم عنده على تلك الحال إلا الخروج والاستعداد للقتال ومصادمة الأعراب والبدو ومكابرتهم بالجيوش والعوادي ، فعند ذلك شمر في الأمر وسعى ونادى على الاغاثة ودعا وأقبل إليه أحزابه شيعا وخرجوا معه تبعا ، فجد في وجهته مسرعا فوافي عيوننا لابن قرملة فأخذهم وتهددهم حتى دلوه على ما أرادوه وأمله ، فلم يشعر هادى إلا بغالب عليه عادى وتطاعنت الفرسان ولم يحضر من فرسان قحطان سوى ثلاثة عشر فارسا من الشجعان ، فخمى بينهم سعيير الوغى ولم يكن دون الجلال مبتغى ، فقتل من قوم الشريف خمسة أفراس ، وأقام ابن قرملة معهم في غاية الجلال والمراس ، وهزم أكثر الإبل ، فلم يدرك منها غالب غاية الأمل ، وأخدمها بعضها في ذلك المجال وأخذ كثيرا من بعير الظهر ذى الأثقال ، ثم حصل بينهم المفارقة والانفصال .

ثم بعد ذلك عمد هادى ومن معه إلى رنية وأقام غالب على ماء القنصلية ، ثم سار

إلى رنية من غير ونية فنزل عليها ليالى وأيام ، وحاصر من فيها من الأنعام ممن دان للإسلام ، وحاول نزول أهلها بلبين الكلام ورغبهم في نبذ العهد والندام ، فلم يفز منهم بسول ولا مرام ، فأخذ يقطع النخيل وزين له الشيطان أنه يفوز بتأميل ، فعند ذلك أسرع أهل البلاد إليه وصمموا في البيعة عليه ، فالتقوا ذلك اليوم وحملوا القتال بين القوم وقتل بينهم رجال ثم وقع التفرق والانفصال وأقام على تلك الحال أياما وليال ، ثم أراد الله تعالى ذله وهوانه وخزيه وأعوانه . وذلك أنه في بعض تلك المواطن وأهل البلاد يقاتلونه في بعض الأماكن ، ونار الوطيس بينهم حامية وعيون الجراح منهم دامية عدا عليهم ابن قرملة مع أناس من جماعته فوقع بينهم قتال وقتل كثير من أحزاب الشريف في ساعته ، وكان جميع من قتل من قومه قبل ذلك اليوم وفي يومه مائة وزيادة فانصرف ولم ينل منها مراده ولم يرد تعالى إسماعده ، بل سلب منه مدده وإمداده ولما أتى الخبر عبد العزيز بما صدر من غالب الشريف أرسل إلى حجيلان أن يسير مع أهل القصيم حتى يتم لابن قرملة المطالب ويسلك معه ما أراد من المذاهب ويعينه على ذلك العدو المحارب ، وكان سعود بلغه الله المقصود إذ ذاك مقيا بالأجردي ، يريد أن يعزو أهل الشمال ويعتدى ، فأتاه الخبر اليقين بما صار من المعتدين وحزب غالب المسرفين ، فأرسل ربيعة أمير الوادي مع جمع من المسلمين ممن كانوا معه مجتمعين وللغزو في تلك الأيام صريدين فأمرهم أن يعجلوا المسير ويساعدوا ابن قرملة حتى يحصل بهم له الفرج والتيسير ويشمروا ساعد الهمة والعزيمة أتم التشمير ، فساروا منه وهو في ذلك المكان ، فصار لله الحمد له شان ولهم شان وحصل لكل منهم بهجة وسرور وانتصار واستعلاء وتمكين من الكفار ، فقصد سعود السهي وجعله أمامه ، وقصد ربيع ومن معه أهل تهامة فنال كل من المسلمين مراده وأدرك العز والكرامة وبعد ما صار من غالب تلك الأفعال جر من الفخر الأذيال ، فشمر إلى بيشة سائرا وعلى من بها من المسلمين غائرا ولمن له فيها من الجماعة معينا وناصرا ، فرجعه الله تعالى ذليلا خاسرا مهانا مشتتا لله الحمد عائرا ، وذلك أنه لما أتى إليها وأناخ بجمعه عليها هرب من فيها من المسلمين ولم يكونوا في تلك البلدان مقيمين وقد هاجر قبل قدومه إليهم ووفوده عليهم ناس من أهل بيشة كثيرة كان لهم في الدين بعض بصيرة فتفرقوا في رنية والوادي وكان الله تعالى لهم مرشدا وهادي ، وحملهم على الهجرة والهرب والفرار عن المسكن

الذى هو للنفوس مطلب سبب هو أعظم السبب . وذلك أن غالب تلك البلاد يرغبون في منهج الغنى والفساد وأنهم أنفوا من أهل الدين وكانوا لعداوتهم مضمرين ، وتبين وظهر وتحقق واشتهر أنهم أرسلوا إلى غالب الشريف يأتى إليهم بلا توقف ولا توقف ، ويقتل من دان بالتوحيد حتى يرجف غيرهم ويخيف ، فأتاهم سريعا لذلك الحال فأقام عندهم أياما وإيال يرتب ما أراد من الأحوال . ثم لما عزم على السير والارتحال أخذ أناسا معه فى الاعتقال وقادهم معه فى السلاسل والأغلال فشمر عن ساعد السير لما يريد من الحزم والعزم والتدبير ، فقال أعظم الهلاك والإذلال والتدمير ، فالحمد لله العلى الكبير وذلك أنه أسرع فى تسياره يريد قضاء بعض أوطاره حتى يرجع متبججا عند رعيته وأنصاره ويدخل متبخترا بحضرة بلده وأهل داره ، فنزل على قرية يقال لها الحرمه وفيها سكن قليل من الناس مسلمة ، فلما علموا بقدومه لتلك القرية هربوا وندوا وطلبوا النجاة لأنفسهم وشدوا فتعلقوا البدوان وساروا مع العربان ، فساعة أناخ بهار كابه ومد بها أطنابه وقر له بها القرار أشعل فى تلك القرية النار وعجل الله لها بالدمار ، وكانت عقباه فى يومه ذلك البوار وأظهر الملك القهار والمنتقم الجبار فيه للمسلمين آية الانتصار وعلمنا من أعلام الأقدار وبرهاننا على الوحدانية لا يعرف له مقدار ولا يحاط بكنهه فى الفكر والاعتبار ، يجل عن القيام بحق حمده وشكره وتقصر الألسنة عن الثناء عليه وذكره ، فمواهبه سبحانه لأهل الدين وفواضله على كافة الخلق أجمعين ونصرته لعباده المؤمنين وإعزازه لأوليائه المفلحين ، ودفعه عنهم صروف الحادثات والنوب وتفريجه عنهم الشدائد والكرب أكثر من أن يعد ويحصر وأشهر من أن يحصى ويذكر ، ولكن أين الألباب التى تعى ذلك وتفهم وتخلص التوحيد وتسلم وتحزن على ماجرى منها وتندم وتذكر ذاك الضلال الأعظم والغى الأقيح الأقدم فى ذلك الزمان الذى مضى وتقدم .

فنسأله أن يوزعنا شكر نعمائه ويوالى علينا فيض بره وآلائه وأن يصرف عنا مضلات فتنه وابتلائه ويحقق لنا سؤلنا ومأمولنا فى حسن رجائه .

وتحقيق الحديث والخبر عما جرى على غالب وجنده ممن شاهد الأمر وحضر ، أنه لما نزل بذلك المكان والمحل وفعل بالأحراق له ما فعل لم يكمل له أنس ولم تغب له فيه شمس حتى دهاه فيها ما أزهق الروح والنفس . وذلك أنه لما عمّر إلى ذلك المكان وسار لفصد ذلك الشأن



أتى خبره ربيعا أمير الوادى وابن قرملة أمير قحطان فاستعانوا بالرحيم الرحمن فى الغزو عليه بأثره حتى ينالوا بذلك الثواب من الله والإحسان ويوقعوا به بعض النذل والهوان، ولم يقع فى روعهم أنهم لجنده منازلون ولجيشه مصابرون ومقاتلون ولكن كما قال تعالى ( وإن جندنا لهم الغالبون ) جحدوا السير بأثره يطلبون ولبعض النصرة عليه من مولا هم مؤملون ، فلم يفجؤهم إلا وفرسانهم عليه مشرفون وذكر له أن هؤلاء ربيعا وهادى وقومهم متبعون ، فركض برجله الأرض وفحص وقال الآن افترس الضرغام واقتنص ولكن لا تروم السنابير الأشبال ولا يروم السرحان على الرئبال ولا تحوم بغاث الطيور على العقبان والنسور ، أياكى طنين الذباب زئير ليث الغاب ولئن حكمت صولة الأسود فى الانتفاض الهرة والقروود ، فلا تناظرها فى البأس والورود والإقدام والهورود :

ومن رام فى الهيجا لقاء جحافل	وخوض لظى بأسى يوم التنازل
فقد ضل فى قفر السفاهة والردى	وألقى فى قعر الظنون السوافل
وأضحى ينادى بالحماسة جهرة	ويرفل فى ثوب من الجهل نافل
أتسمو إلى مجدى وذروة مفخرى	جميع الورى أو يدركون منازل
مجاز تمنى دون ذاك مناله	فأين الثريا من يد المتناول
أمان كلع اللال لم يرو صادًا	ويحسبه الظمان عذب المناهل
لقد عدمتنى الكمت يوم مجالها	ولا وسطت بى الجمع يوم التناضل
ولا أروت الأسلى الظما	

هذا آخر ما وجد من التاريخ والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

بلغ مقابلاته على عدة نسخ وقد صححناها على نسخة مقروءة على حجة نحمد الشيخ الثبت صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ومتع المسلمين بمؤلفاته ونفعهم بإفاداته آمين

الناشر

عبد المحسن أبا بطين

١٣٦٨ / ٥ / ٢٠

# فهرس

## الجزء الثانى من تاريخ نجد

المسمى : روضة الأفكار والأفهام

الصفحة	الموضوع
٢	كتاب الغزوات الببانية ، والفتوحات الربانية ، وذكر السبب الذى حمل على ذلك .
١١	بيان الحوادث التى وقعت فى سنة إحدى وستين بعد المائة والألف .
٢٠	فصل فى ذكر أحداث صحيحة .
٢٨	» » بيان الشراك الأصغر .
٣٧	باب » وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين .
٥٢	الحوادث التى حدثت فى السنة الحادية والسبعين بعد المائة والألف .
٥٤	» » » » الثانية » » » »
٥٦	» » » » الثالثة » » » »
٥٧	» » » » الرابعة » » » »
٥٩	» » » » الخامسة » » » »
٦١	» » » » السادسة » » » »
٦٣	» » » » السابعة » » » »
٦٤	» » » » الثامنة » » » »
٧١	قصيدة للمصنف .
٧٣	الحوادث التى حدثت فى السنة التاسعة والسبعين بعد المائة والألف .





شركة كبرى ومطبعة في البناية الجبلية ولاه مصر